سمفونية الألوان

الأوتار العشرة

الصقعبي، فهد عبدالله عبد العزيز
سمفونية الألوان (الأوتار العشرة)/ إعداد: فهد عبدالله عبد العزيز الصقعبي/ ط ١/ القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ٢٠١٧م.
ص؛ ١٧×٢٤سم
تدمـــــك:
رقم الإيداع:

دار النشر: مركز الكتاب للنشر
عنوان الكتاب: سمفونية الألوان (الأوتار العشرة)
اسم المؤلف: فهد عبدالله عبد العزيز الصقعبي
رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الطبع: ٢٠١٧
تنسيق عام: سلوى الكشكي
التصميم الداخلي: سامح غريب



مركز الكتاب للنشر

شارع الهداية بلوك ١٨ قطعة ١ - حى السفارات - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٠١٢٢٧٣١٠٠٤٢ - ٢٣٥٢٢٠٩٥
فاكس: ٢٣٥٢٢١٥٤ - ٢٢٦٣٦٨٥٠

E.mail: markazelkitab@hotmail.com

سمفونية الألوان

الأوتار العشرة

إعداد

فهد عبدالله عبد العزيز الصقعبي

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى

٢٠١٧

إهداء

إلى كل من شتتهم الحياة من مهجرين ومغتربين وبؤساء

هناك ثمة أمل بنتظارك ..

طالما أنت على قيد الحياة

سلطان منصور



مدخل

من الأشياء المدهشة.. أنه لازال الكتاب على قيد الحياة؛ رغم الثورة الأنتروبولجيا للمعرفة والتقنية الحديثة لوسائل المعلومات والسوشل ميديا.

قبل البدء..

لكي لا تختلس منك الأفكار الرائعة؛ يجب الإحتفاظ بها بصندوق فولاذي .. واستخراجها للناس.. فالفكرة إحتكار خاص لك..

لأنني لم أدرك اللي بعد مرور ثلاث أعوام.. وقبل صدور كتابي وتأخره.. أن تقتبس الفكرة بشكل أو بآخر!!

مقدمة

بينما نحن نتجاذب أطراف الحديث عن أهمية الكتاب والثقافة بشكل عام مع بعض أصدقائى من شرفة أحد المطاعم فى العاصمة الرياض وذلك فى مطلع ديسمبر لعام ٢٠١٠م وهي الفترة التي أبحث خلالها لإنتاج كتاب من تاليفي وفى هذه الاثنا همس لى ابن عمتي أحد اشهر الكتاب بالمملكة العربية السعودية قائلًا: إذا اردت ان تتميز أبحث عن الفكرة أولًا وطورها باسلوب ملفت وغذيها بالمعلومات.

فى الحقيقة أنا لا أريد أن أكون مشهورًا كاكاتب بقدر ما أكون ناجحًا..

وبينما كنت غارقًا فى غابات التفكير «للبحث عن إنتاج الكتاب الذى هو بمثابة الغزال الشارد» متى أضع الرصاص فى الزناد لاقتنصه «رن الجوال» منبهني لذهاب للمطار «للمغادرة لمدينة دبي» وفى إحدى الأماسي كنت مع أعداد هائله من السواح حول العالم نصطف حول البحيرة الاصطناعية قرب برج خليفة الشاهق وكانت النوافير الراقصة التي تتمايل مع الموسيقي وكأنه حفل للاوبرا وعلى ضفاف البحيرة من الجهة الغربية الاسواق والمقاهي جذبني شيئًا «ليس بغريب» ولكن ادهشني وكأني أشاهده لأول مرة فى مياه النوافير التي تعلو ثم تتحطم «كالبلور المكسور» فى سطح المياه الزرقاء للبحيرة «بألوان مثيرة ورائعه للغاية وفى هذه اللحظات اصطدت الغزال الشارد، الذى كان يسرح دومًا فى مخيلتي .. لقد وضع صديقي الرصاص في زنادي، ومنها جاء «الايحاء» لفكرة (سمفونية الألوان) لإنتاج هذا الكتاب الذي هو الآن بين يديكم.

منذ طفولتي وأنا لدي شغف ونهم كبيرين فى القراءة وحب الإطلاع، حتى امتلات غرفتي بالكتب، وبعد مرحلة من العمر، وبعد تخرجي من الجامعة الذى جاء متأخرًا «بسبب الزواج والأولاد» إلا أن الأفكار كانت تحاصرني دومًا كما يحاصر الثوار قصر الرئيس ..

بتاليف كتاب. وخلال رجوعي لأرض المملكة بعد رحلة دبي وبينما نحن نقترب بالطائره نحو الأرض كانت الامطار والغيوم بشكل كثيف والشمس تطلع كالعذراء باستحياء من خدرها، وهناك تظهر مجموعة من «ألوان الطيف» وهي من النوادر التي أشاهدها حينها تذكرت قول الشاعر:

ولاح قـوس اللـه مـن تلقائها فى افق الشمس يزوق من نظر
قـد ظلـت بحمـرة وخـضرةٍ وصفـرةٍ كأنهـا بـرد حـبر

بدأت رحلتي مع هذا الكتاب الذى استمتعت به مثلما استمتعت مع الألوان فى الطبيعة ولا سيما الحدائق بخضارها وزهورها الملونة والمياه الزرقاء الصافية «والأسماك المتدرجة بالألوان» والمرجان والاصداف ورمال الشواطئ الذهبية «والطيور البيضاء» و«الليل والنجوم» و«القمر والكواكب» و«الشمس الصفراء وشروقها الجميل» وغروبها الليلكي الآخاذ ولكم أن تتخيلو هذا العالم بدون ألوان حتمًا سوف تكون الأشياء كئيبة وليس لها طعم أو نكهه أو مذاق خاص فالأحاسيس والمشاعر سوف تصبح «صامتة» دون فعالية أو متعه أو حتى إثارة. إذًا فالألوان هي «روح الطبيعة» .

يقول أحد الفلاسفة أن العين تتذوق الألوان تمامًا كما يتذوق اللسان الطعام.

ويقول أحد الفنانون العظام أن لكل لون كيمياءه الخاصة هذه الكيمياء لا إراديًا تتغلغل فى احاسيسنا بتعابير الجمال أو القبح فالألوان خيال ومشاعر..

والألوان ذاقة لجميع الحواس..

بل هي تدخل فى عالم «الحب» التي تجتاحنا وبذلك تكون الألوان مؤشر وعلامات ورموز ودلالات كايقونة أو تبدو كقطعة من المنمنمات الأثرية الرائعه.

ففي أكتوبر ٢٠٠٢م تأكد الأطباء فى جامعة زيورخ من وجود حالة نفسية غريبة تدعى (سينا ستيجا) لدى طالبه من الجامعة نفسها، (فهذه الشابه ترى في راسها كافة ألوان الطيف حين تسمع صوت البيانو، في حين أنها تسمع نغمات البيانو حين ترى ألوان الطيف).

وهذه الحالة الغربية تدعي اختلاط أو تداخل الحواس: (synae sthesis)

وقد يمر الإنسان بحالات مشابهه لهذه الحادثة أو التجربة فى حياته، وهي ربما تمر فى مراحل الطفولة غالبًا، هذا ما فسره علماء النفس بذلك، والسينا ستيجا تنتشر بين النساء بنسبة أكبر من الرجال وبين الكتاب والموسيقين والمبدعين بنسبة تفوق الثمانية أضعاف عامه الناس، فهي أعمق وأوسع مشاعر فى إدراك الأبعاد الفنية والجمال للأشياء.

فالرسام مثلًا قد يمزج بين الأشكال المعبرة والألوان الصماء ليبدع لوحة مثيرة فى حين قد يترجم الموسيقار مناظر الطبيعة الخلابة إلى نغمات موسيقية مميزة !!

يصف الشاعر العباسي ابن المعتز الطبيعة وألوانها كالنساء وحسنهن فيقول:[١]

انظـر إلى الدنيـا ربيـع اقبلـت   مثـل النسـاء تبرجـت لــ.....[١]
والورد يضحك من نواضر نرجس   فديـت وأذن حبهـا بمـات

وهنا يصف البحتري الربيع وجمال الطبيعة وألوانها التى تكاد تتكلم من الحسن:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا   من الحسـن حتـى كاد أن يتكلما

أما أبو العتاهية يصور الألوان كمشهد درامي، فيقول:

وللدهـر ألـوان تـروح وتغتدي   وإن نفوسًـا بينهـن تسـيل

صنع الله والألوان

لشاعر أبو نواس:

تفكـر فى نبـات الأرض وانظر   إلى أثـار مـا صنـع المليـك
عيـون مـن لجـين شـاخصات   بأبصـار هـي الذهب السـبيك
على قضب الزبرجد شـاهدات   بـأن اللـه ليس لـه شريـــك

(١) حذفت الكلمة تادبًا مع القارئ (المولف).

وجمال الطبيعه وألوانها في فصل الربيع.. يصورها لنا الشاعر صفي الدين الحلي بأبيات غايه في الرقه والعذوبه:

خلـع الربيع على غصـون البان حلـلا، فواضلهـا عـلى الكثبان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها متبايـن الأشـكال والألـوان
مـن أبيض يقـق وأصفـر فاقع أوأزرق صـاف، وأحمـر قـاني
والشمس تنظرمن خلال فروعها نحـو الحدائـق نظـرة الغـيران

الألوان في الطبيعه سحرٌ وفتنةٌ وجمال يحيط بنا، ويبهرنا تميزها وتجانسها وانسجامها لتشكل سمفونيه موسيقيه رائعه.. لذا اعتبرت أن لكل لون «وتر» أو «نغم» فريد تمتزج معا... ليعطينا مزيدًا من الحب والأمل والتفائل والإبداع.

ومن خلال بحثي في أرجاء الوطن العربي لم اتوصل إلى كتاب يتحدث عن الألوان في (الطبيعه) بشكل مفصل وشامل، مما أعطاني مزيدا من التحفيز للكتابه عن هذا الموضوع وساهم جليا في إنتاج كتابي الذي يضم عشرة ألوان كل لون في زاويه.. لتكون نوته يستمتع بها القارئ العزيز.

المؤلف

«أسطورة الأخضر»

زمانـك بسـتان وعـصرك أخـضر

وذكراك عصفور مـن القلب ينقر

(نزار قباني)

الأخضر

قال تعالى ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

الأخضر لون تطمأن النفس عند رؤيته، وهو امتع للعين وتستكين به الروح وكان قديمًا شعار الملوك وهو لباس أهل الثراء، أما ما اشارت إليه الايتان السابقتان: أن أهل الجنة لباسهم من صنفين السندس والأستبرق، فالسندس: ديباج رقيق لونه أخضر، أما الاستبرق فهي كلمة فارسية أصلها: استقر وهو نسيج فارسي «ديباج غليظ» وهو لباس الملوك.

يقول النابغة الذبياني يمدح ملوك الغساسنة:

يصونـون أجسـادًا قديمًـا نعيمهـا ... بخالصـة الأردان خـضر المناكب

وفى مرثية الشاعر العباسي أبو تمام فى الوزير محمد بن حميد الطوسي بيت رائع يقول فيه:

تـردى ثيـاب الموت حمـراء فما أتي ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

ولهذا اللون جمال وخصوصية، فهو رمز للشهادة، لذا وصف الشاعر انتهاء حياة الوزير وصعود الروح لباريها فى أزهى حلة وهي لباس أهل الجنة السندس الأخضر، هذه الصورة الشاعرية الخضراء تقودني إلى لحظات حاسمة في التاريخ الإسلامي وحقبة مهمة فى عهد الدولة العباسية لما خاطب السلطان السلجوقي «ألب أرسيلان» الجيش الأسلامي وقال كلمته الشهيرة قبل المعركة الفاصلة ضد الصليبين وجمع هائل من الجيش الفرنسي والألماني والمرتزقة من الروس فقال: (أنا احسب عند الله نفسي و إن سعدت بالشهادة ففي حواصل

الطيور الخضر «من حواصل الطير الغر رمسي، و إن نصرت فما اسعدني وأنا امسي و يومي خير من أمسي») .

فكتب الله النصر للمسلمين، وأسر لأول مره فى التاريخ «ملك الروم» الإمبراطور «رومانوس»

روي مسلم فى صحيحه من حديث قال «سألنا عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية» { ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩].

قال: أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال: «**أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة، بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل**».

قال تبارك وتعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦].

رفرف خضر: مجلس أهل الجنة.

والرفرف كما قال إبن عباس: فضول الفرش والبسط وايضًا هي ثياب خضراء اللون.

الأخضر لون الحياة، لون الطبيعة «الأخضر فى المدن هو نبض الحياة»، فالبيوت نملأها بالزروع والمساحات بالأخضر الطبيعي لنشعر معها بالأرتياح، لانها الصحة والأنتعاش، ففي المسارح الإنجليزية القديمة تطلى غرف تبديل الملابس للممثليين باللون الأخضر لترتاح عيونهم من أثر الإضاءة وفى إنجلترا ايضًا تغير لون الجسر اللندني المشهور للون الأخضر فنخفضه نسبة الانتحار لـــ ٣٤٪.

أما «إيرلندا» فاللون الأخضر هو رمزها وهو الجزء فى ألون العلم «الإيرلندي»، كما توجد جزيرة يطلق عليها «الزمردة» وهي دلالة على «الأخضر» .

الأخضر عند الصينيين القدامى فهو يرمز إلى الترف «أما فى اليابان فهو رمز السلامه، والسهم الأخضر الموجه للأعلى دلالة على ارتفاع المؤشر فى الأسواق الأقتصادية والمراكز البنكية» ففي الولايات المتحدة الأمريكية والعملات النقدية «الدولارات» تحمل اللون الأخضر، والأخضر مسمى يطلق على اللغة «الإسبرانتو».

واللون الأخضر حظوره الطاغي في المجال العسكري فملابس أفراد قطاعاته خضراء تصنع الملابس بلون الآخضر وهو لون زي الجيش فى المناطق التى تكثر فيها الغابات والزروع وذلك من أجل التمويه اما من خلال الرسومات «الافلام الكرتونية» فنشاهد بعض الكائنات المتوحشة وسلاحف النينجا والمخلوقات الغريبة بالون الأخضر واللون الأخضر لباس طبيب (العمليات) .. وتطلى به غرف العمليات لكي لاتتأثر العين من مشاهدة الدماء الحمراء، فهو أكثر الألوان المهدئة للاعصاب والدماغ، مصفي للمزاج والذى تطمان به الروح وهذا ما نلاحظه حينما نكون وسط الطبيعه الخضراء والحدائق وبين الزروع.

ومن جمال الطبيعه يقول ابن سهيل الاشبيلي:

الأرض قـد لبسـت رداءً أخـضرا والطـل ينـثر في رباهـا جوهـرا
هاجت فخلت الزهر كافورا بها وحسبت فيها التراب مسكًا اذفرا
والنهـر مـا بـين الريـاض تخاله سـيفًا تعلـق فى نجـادٍ أخـضرا

أما ملك بلنسبة بالأندلس(١)، فيصف هذه المدينة الجميلة:

كأن بلنسـية كاعـب وملبسـها سندس أخضر

فهذه المدينة تتمتع بمساحات شاسعه من الأشجار وخاصة الزيتون والتين.

أما الشاعر أبو الفضل القيرواني فيقول عن مدينة برجة بالأندلس التى تكتظ بالزرع والاشجار الخضراء ومروج من الأزهار:

رياضٌ تعشـقها سندس توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فـوق خدي ربا لها نظـرة فتنت من نظر

«الحدائق الخضراء منذ الحضارات القديمة»

ظهرت بما يعرف قديمًا بأعشاب الحدائق وهي ترمز إلى الفخر والأبهة ودلالة على

(١) هومروان بن عبد الله صاحب بالنسيه خلال فترة المرابطين بالأندلس.

المركزية وهي عبارة عن الأف من أنواع النباتات كقصب السكر والبامبو والرز والذرة والحنطة والشوفان والجاودار..

فالحديقة الإغريقية مثلًا هي عبارة عن بقعة أرض تضم خليطًا من الحشائش والأعشاب تقوم بجانبها الأعشاب البرية تفترض سقايتها ورعايتها عملًا يوميًا طويلًا يستنفد في الإبقاء على المروج الصغيرة غاية في الترتيب وذلك في عام ٤٠٠ ق.م لنشئتها.

أصبح الفرس بعد مئتي عام يحتفلون بأزهار حدائقهم الصغيرة والمتداخلة بشكل يثير الدهشة إذ كانت بقع العشب الأخضر تتخللها الأزهار لتجميل المروج، وكان العشب مجرد خلفية للمنظر العام.(١)

كما أبدع الصينيون في تزين الحدائق الخضراء بالأشجار المتنوعة كالتوت والبرتقال والتفاح والخوخ والمشمش وغيرها، فالإمبراطور الصيني «أنجدي» كانت له حديقة تضم أشجار متنوعة ومنها أشجار التوت الخاصة التي أكتشف من خلالها الحرير وذلك في عام ٢٧٠٠ ق.م.(٢)

ولنتأمل قصة أحد عجائب الدنيا السبع القديمة «حدائق بابل المعلقة» التي أكتضت بالاشجار والنباتات والزهور على شكل مدرجات ضخمة شيدها الملك البابلي «نبوخذ نصر الثاني» الذي حكم بين عامي ٥٦٢ - ٦٠٥ ق.م، وذلك من أجل زوجته «اميتس الميدونية» وهي إبنة أحد قادة الجيوش التي تحالفت مع أبيه والذي بذل الجهد الكبير في قهر الأشوريين.(٣)

أما المصريون ومنذ فجر التاريخ أهتموا كثيرًا بالحدائق المزينة بالزهور والورود،

---

(١) انظر كتاب - قصة العادات والتقاليد - لتشارلز باناتي، ص١٩٧.

(٢) أكتشاف الحرير وصناعته تجده في زاوية الأبيض من هذا الكتاب.

(٣) بابل/دولة ذات حضارة عظيمة كانت تقطن في بلاد ما بين النهرين (دجله والفرات) أسسها حمورابي عام ١٧٦٣ق.م، وبابل تعني بالاكدية (بوابة الإله) كانت لهم حروب طاحنة طويلة الأمد مع الأشوريين الذين سكنوا هذه المنطقة قبل الأف السنين ما قبل الميلا د حتى أنشأ فيها دولة أزدهرت في القرن ١٤ق.م، فبسطت سيادتها ما بين النهرين وأجزاء من فارس وبلاد الشرق الأوسط.

لأنها تتواكب مع اعتقادهم بأن بداية الخلق كانت في يوم شم النسيم، لذلك كانوا يخرجون إلى الحدائق حاملين أدوات اللعب والآت الموسيقية..

نقل الفرس فن تصميم الحدائق من الأشوريين الذين نقلوه أصلًا عن الفراعنة بمصر وذلك مطلع القرن الخامس قبل الميلاد .. حيث تجلي هذا الفن الكلاسيكي بمزيد من الطراز الهندسي الفريد والأشكال العبقرية ومربعات وسداسيات رائعة تجري خلالها الينابيع المائية والبرك وأحواض المياه .. واصطحاب الحيوانات والطيور الكاسرة..

ومن خلال الحدائق برزت صناعة السجاد والنقوشات الفارسية المميزة..

التي تأثرة بمناظر الحدائق الجميلة كالتي بمدينة «شيراز» وحديقة الملك كسرى في فصل الربيع، وبها النخيل وأشجار التين والعنب والرمان وأشجار الزينة كالاتل والسرو والصنوبر وزهور شقائق النعمان والورد والسوسن والاقحون والبنفسج..

- ❑ ربما طغت في الحدائق الرومانية العامة والخاصة في عصر النهضة تحديدًا بالمنحوتات والمجسمات لملوك وأباطرة وشعراء وفلاسفة رومان في قلب الحدائق العامة والخاصة، وكان هذا الفن سائدًا في تلك الفترة حتى قدوم أحفادهم من الأيطاليين، وهم أول من استعمل مقاعد الجلوس وسط الحديقة الممتلئة بالنباتات والزهور وأحواض البرك المائية والنوافير وبها ومجسمات لطيور ونساء يحملن أباريق أو أسود أوغيرها..

أما الفرنسيون وفي القرن الخامس عشر تحديدًا كان تأثرهم بالحدائق الرومانية واضحًا وخاصة التي تعرف بأسم حدائق «الأديرة» وبعد عودة الملك شارل الثامن (١٤٩٤م) من معسكراته بإيطاليا اقتبست الحديقة الفرنسية بعضًا من مميزات الحديقة الرومانية ودخلت التارسات والتماثيل والأحواض المائية التي تملائها الاسماك، وخنادق المياه التي تحيط بالقلاع والحصون للدفاع عنها إلى قنوات مائية واسعة تحيط بالحديقة وتتخلالها ..

وتلك الحقبة التاريخية ذكر المؤرخون أنها كانت ارستقراطية للمجتمع الفرنسي التف فيها الشعوب حول الملك وحاشيته وظهرت معالم الثراء والعظمة.. وهي حدائق خالدة مثل

حدائق قصر فرساي التي شيدها الملك لويس العاشر[١] وكانت هذه الحديقة عبارة عن ممر ممهد من القصر إلى الغابة وهو طريق الرحلات الصيد..

وما يميز الحدائق الفرنسية اليوم وجود المقاهي التي تلتف حولها والمسارح وقاعات وحفلات الأوبرا .. وحفلات الزواج كما يفعل الأنجليز والعائلات الملكية حيث تقام هذه الأفراح والمناسبات في حدائق قصورهم الفاخرة مثل حدائق المتعة التي شيدت في عصر الملكة اليزابيث التي أعتلت العرش خلفًا لوالدها الراحل الملك جورج السادس حين وضعت الحرب الثانية أوزارها لتو ..

وتعد الحديقة عندهم تحفة ملكية بحق ومنتزه غاية في السحر والجمال ..

أما الحدائق في العصر الأسلامي التي أمتدت لرقعة هائلة في القرن السابع الميلادي وشملت حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال افريقيا وجنوب أوروبا الأندلس وجنوب فرنسا أما في المشرق فوصلت لحدود الصين وسمر قند وكاخستان والهند وفارس..

فقد تميزت الحدائق الإسلامية بفنون رائعة وبنيت فيها المباني والقصور وزينتها النقوشات الإسلامية والايات الكريمة وعبارات التوحيد والقصائد العربية الجميلة التي أضافت عليها جمالًا على جمال..

رسخ مفهوم الجنان عند المسلمين الفكرة لحدائق مثالية المليئة بالنخيل والاشجار والفواكه المتنوعة والزهور الملونة العطرة والمياه العذبة والأنهار النقية الشفافة والخمور والعسل المصفى..

واللؤلؤ المنثور والتربه الزعفرانية والمسك والحرير والذهب والفضة جميعها تذكر حين توصف الجنة كما قال تعالى: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا﴾ [النباء: ٣٢].

أهتم المسلمون بالحدائق وسوروها ووضعو الاشجار والنباتات والنخيل والاعناب، وغلب عليها أشكال الفن الهندسي.. واستخدموا أحواض المياه والبرك والنوافير بصورة متنوعة ومتميزة..

(١) انظر كتاب «لقطات من العالم» - أشهر الحدائق - ص١٧٩.

حيث يصف المؤرخون العرب دمشق وغوطتها بأنها جنتان وكذلك مدن العراق الواقعة على نهري دجلة والفرات وأنها فينسيا الحقيقة حيث تتشابك فيها القنوات المائية وتقطعها الحدائق والبساتين..

يصف أبي الطيب المتنبي جمال الحدائق والجنان ببلاد فارس وذلك حين مروره بمدينة (شيراز) التى تذكره بجنان الشام.

مغاني الشعب طيبًا في المغاني منزلة الربيع من الزمان
ملاعب جنة لوسار فيها سليمان لسار بترجمان
غدونا تنفض الأغصان فيه على أعرافها مثل الجمان
إذا غنى حمام الورق فيها أجابتها أغاني القيان

يقول خليل جبران خليل..

هل جلست العصر مثلي بين جفنات العنب
والعناقيد تدلت مثل كريات الذهب

ويصف محمود درويش الحدائق «بالون الأخضر» فيقول:

الأخضر أنت الأخضر الطالع من معركة الألوان..... والغابات ريش في جناحك، كما أمتازت الحدائق في العديد من المدن الإسلامية الشهيرة في مصر وتونس وتلمسان ومراكش.. وفي «الأندلس» ويا لهذا العقد المفقود من روائع.. كلما نطقت باسمة أكاد أشرق.. ويالها من ذكريات لتراث وحضارة ومجد طويل.. ولت.. ولم تنتهه من الذاكرة لتجبرنا على البكاء بصمت ففي أروقة الحدائق والجنان في قرطبة والزهراء والزاهره وأشبيلة وغرناطة وقصور الحمراء ..ينشد الشاعر الأخيطل الأهوازي حدائق الأندلس والربيع فيقول:

الروض ينشر رفرفًا وحريرًا ومطارفا من سندس وحبيرًا
حل الربيع نقاب كل خميلة فأراك من صور النبات سفورًا
غيد القوام إذا النسيم أمالها ألفين عند صدروهن نحورًا

ينحــل عنهن النــدى فتخال   مــا ينحل عنها لؤلــؤا منثورا

اما الحدائق الستة قصائد الشعرية «بطوكيو باليابان» وهي حديقه تحفها النباتات الخضراء الخلابه، المتنوعه وما يميزها تنظيمها ونظافتها بدء بناءها فى عام ١٦٩٥م وتم الانتهاء منها فى عام ١٧٠٢م، وفى سنغافوره حديقة غاية فى الجمال وهي اية من ايات الله على الأرض انشئت عام ١٨٥٩م وتقع على مساحة ١٢٨ فدان داخل حدائق الاورشيد الوطنية فى سنغافورة وهى اروع الحدائق النباتية فى العالم، أما حدائق قصر سانسوسي بوتسدام بالمانيا فهي اعجوبة من الاعاجيب وهي أحد اشهر المعالم التاريخية فى العالم لدرجة ان منظمة اليونسكو اعلنت عام ١٩٩٠م على أنه ميراث حضاري عالمي بناه فريدريك الأكبر فى مدينة بوتسدام عام ١٧٤٤م واحاطة بهذه الحديقة الأكثر من رائعه وهي تذكرنا حين مشاهدتها للمره الاولي بحدائق بابل المعلقة وهذه الاخيرة تعد من أعاجيب الدنيا السبع لجمالها، وفى هولندا «حدائق الكوكينهوف» فهي اسطورة، ويعني اسمها حديقة المطبخ وتعرف ايضًا باسم حديقة اوروبا وهي من اجمل حدائق اوروبا واشهرها على الاطلاق" تقع فى قرية ليز جنوب غرب هولندا (بلد الزهور) ولا يتمكن الهولنديون من الاستمتاع بجمالها سوى ثلاثه اشهر فقط فى العام لأنها محمية طبيعية تضم مجموعه من أندر الزهور والطيور، تخيلوا ان هذه الحديقة الساحرة تحتوي على أكثر من ٧ ملايين زهره وان عدد زوارها وصل فى آخر يوم قبل أغلاقها عام ٢٠٠٩م إلى ٨٢٥ ألف زائر.

أما حدائق قصر ستورهيد الخضراء فى انجلترا فهي تعود للقرن الثامن عشر وتتميز بمناظرها الطبيعية الخلابة التى تذكرنا بالروايات والقصص الرومانسية وبها قصور رائعه على بحيرة ساحره تحيط بها الاشجار والازهار من كل الاتجاهات تم انشاء الحديقة فى عام ١٧٤٠م وبناها هنري هوار الثاني.

النباتات الذكية

النباتات عالم ملئ بالأسرار والغموض «لها أحاسيس ومشاعر حب وحزن بعضها يتميز بالعبقرية» بل بعضها يساعد البعض فى التداوي من الأمراض التى تطرأ عليها

وتساعدها «بعضها يحذر الاخر أن ثمة خطر قادم «أو عدو أثم»!! وهي تسبح الله تعالى وتعبده بكرةً وعشيا».

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذا ما لا ندركه أو عاجزون عن فهم تسبيحها و إستيعاب ما يجري لها فى أرجاء الكون الفسيح.

و يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦].

وهذه الأية تدل على سجود النبات وهي العبادة التى تمارسها والإنحناء لهذه المخلوقات بأشكال متعددة، كما تسجد النجوم والشمس والقمر وكافة المخلوقات لله تبارك وتعالى «وبما أن النباتات لا تملك جهاز عصبي متطور» إلا أنها صاحبة أحاسيس ومشاعر عالية التأثر جدًا، فبعد التجارب اثبتت أن لديها الشعور الذى يتم على مستوي الخلية حتي فى الأجزاء المفصولة عنها. ويعود الفضل فى التنبه إلى حساسية النبات وشعوره الفائق إلى خبير فى أجهزة الكذب يدعي « كليف باكستر» ففي عام ١٩٦٦م[١] فكر باكستر فى قياس المقاومة الكهربائية فى أوراق نباتات الضل (بواسطة جهاز لكشف الكذب) ففوجي بظهور ذبذبات ناعمه ورتيبة حين بدأ فى سكب الماء فى الحوض وعلى الفور تذكر بأن ذلك النوع من الذبذبات يظهر فى الإنسان لدي شعوره بالرضا والإطمئنان.

أما الطريقة أو الخطوة التى أستخدمها «باكستر» وعلى الرغم أنها طريقة سيئة، حينما أشعل النار لحرق أحد الأوراق وما إن أشعل النار حتى رسم الجهاز إشارات صاخبة تدل على الخوف والاضطراب.

حتى أشتهر هذا الرجل «باكستر» بهذه التجارب واثبت فى حالات كثيرة أن النبات يطمئن و ينزعج و يفرح ويحزن..

(١) انظر كتاب حول العالم للكاتب فهد الأحمدي، ص١٢٧.

إذا فالنبات منذ مراحل نموها تتميز بحساسية فائقة فحين تهب ريح باردة أو تقرب من النار تنكمش أوراقها فجاة وتتجعد، والنباتات أكلة الحشرات تطبق بأوراقها على أي حشرة تشعر بها وتحولها إلى عصارة مغذية، وذلك لقلة البروتين فى التربة، أما الأحساس بالخطر فهو حالة ليست آحادية إنما تكون بين النباتات المجاورة لبعضها البعض حيث أثبت الدكتور كيت روبرتس م «من معهد جون إبنز الإنجليزي» فى تقرير نشر فى مجلة نيش عام ١٩٩٢م، أن النباتات تتناقل فيما بينها إشارات كهربائية معقدة للتحذير من هجوم الحشرات .

وهي ذبذبات «إخطار» النباتات المجاورة لتتخذ إجراءات دفاعية!!.

وما توصل إليه باحثون أمريكيون من نتائج مثيرة بعد التجارب التي أجروها على اربعين شجرة، فلاحظوا أن الأشجار تتخاطب فى ما بينها عبر إشارات لم تزل مجهولة، وقد لاحظوا مثلًا أن الشجرة التي تصاب بمرض ما، تخبر وبسرعة رفيقاتها، فتقوم بإفراز سائل معين يزيد من مناعتها[١].

وفى الوقت الذى أثار اندهاش الباحثون العاملون فى مركز الاجواء الامريكي عند أكتشافهم أن النباتات تنتج مادة كيميائية شبيهه بالاسبرين يعرف باسم «ميثيل ساليليت» وحينما قاموا ايضًا بعملية قياس فى مزرعة قرب ديفيس فى كاليفورنيا بهدف مراقبة الانبعاث الصادرة عن النباتات الموجودة هناك التى يمكن أن تلوث البيئة عثروا على كميات مهمة من مادة «ميثيل ساليليت» .

أما الاحساس بالشعور الحانى «الحنون» لدى النباتات فهو شي مثير فحادثة الكاتب يوسف إدريس[٢]. تجربة شهيرة فى مشاعر النباتات، فقد كانت زوجته لديها أحواض من النباتات تربيها وترعاها بعناية شديدة تسقيها بنفسها وتلامسها بلطف وتمسح أوراقها وتقطع الذابل منها وكانت النباتات تزدهر بتلك الرعاية وتكثر أوراقها وتزداد نضارتها وذات يوم اضطر الكاتب وأسرته للسفر إلى الخارج وكلفوا إحدى جارتهم المخلصات

---

(١) انظر كتاب لقطات من العالم لإبراهيم وعلي شرف الدين، ص٧٧.

(٢) هذه الحادثه ذكرتها الكاتبه ولاء حماده فى مجلة الجزيرة السعودية، العدد ٨٨ (بتصرف).

بالعناية بالنباتات وسقيها وعندما عاد الزوجان وجدا أن معظم النباتات قد ذبلت أو فى طريقها للموت والجفاف «فسألا الجارة التى اكدت مواظبتها على الحضور والعناية» ولكن الأحساس لدى النباتات تغير؟! وما قام به العالم السوفيتي «بوشكين» بتجربته لما أمر طالبة تدعي «تانيا» بالبكاء بقرب حوض للنباتات وأثبت لبقية الطلاب كيف أن النبات أبدي «تعاطفه» مع الفتاة وحزنه لأجلها.

كما أن النباتات تتمتع بحس «وذائقه» المعزوفات الموسيقية وتطرب وتنتشي معها.

ومن جهة أخري يبدو أن الشعوب البدائية ادركت قدرة النباتات على التاثير والإحساس بالظروف المحيط بها، فمن المعروف أن جميع الشعوب تقريبًا كانت تمارس طقوسًا وعادات خاصة لإعطاء افضل محصول.

ففي جنوب البرتقال تمنع الفتيات من تسلق الأشجار كي لا تتاثر بعذريتهن فيقل إنتاجها، وفى منطقة باجندا بإفريقيا الوسطي تمنع المرأة العاقر من دخول الحقل كي لا يتضرر المحصول.

وفي جزيرة جاوه الأندنوسية يحرص المزاروعون على التسلل مع زوجاتهم إلى حقول الارز فى الليلة السابقة للجنى إعتقادًا منهم بأن العلاقة الزوجية تؤثر على النباتات بشكل جيد، أما القبائل الهندية فى جنوب أمريكا فتقيم أحتفالات خاصة إيمانًا منها بتأثيرها الجيد على إنتاج النبات ومقاومته للأفات!!

سر الأخضر فى النباتات

إننا نرى الأغصان وأوراق الشجر والزروع «باللون الأخضر» ومع أن ضوء الشمس أصفر والأرض صفراء والماء (ليس له لون طبعًا) ولكن رؤيتنا لمياه البحار والأنهار باللون الأزرق لذلك حينما تمتزج أشعة الشمس وصفرة الأرض مع المياه الزرقاء تصبح النباتات واوراق الشجر خضراء، وهذا من جمال الألوان فالأصفر مع الأزرق يعطيني اللون الأخضر إضافة إلى ان النباتات حين تقوم بعملية التركيب الضوئي تبدأ بامتصاص الفوتونات الضوئية القادمة من الشمس وتحويلها إلى طاقة كيميائية تختزن فى اوراق النبات، واودع الله فى

هذه النباتات برنامجًا محكمًا يعطي الاوامر للخلايا بامتصاص اللون الأخضر حسب ما هو معروف علميًا يسمى «الكلورفيلات الخضراء» لذلك نجد أوراق النباتات تحمل اللون «الأخضر»[١]!!

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ [الأنعام: ٩٩].

يقول أبو جعفر بن أحمد:

والشـمس قد عصفرت غلائلها والأرض ترتـدي ثيابهـا الخضر

ويقول التطليلي:

أتت تنفض الأعطاف من بلل الندى وقد رشفت ماء الندى الورق الخضر

تعبر أغصان الزيتون الخضراء عن السلام «وهو شعار للحرية والأمن وترابط الدول الصديقة فيما بينها» وهي رسالة واضحة معبرة لشعارات المؤتمرات والندوات العربية والإسلامية.

يقول نزار قباني فى إحدي مهرجانات الجامعة العربية بتونس:

يـا تونس الخـضراء جئتك عاشـقًا وعــلى جبيني وردةٌ وكـتـابُ
إني الدمشـقي الذى احترف الهوى فاخضـوضرت لغنائـه الأعشـاب

تكثر أشجار الزيتون فى أرض حوض البحر المتوسط وهي شجرة مباركة وأول شجرة نبتت على وجه الأرض، وقد انبتها الله فى منازل الأنبياء والأرض المطهره المقدسة. أحد المزارعين فى غزة أثار فكرة هائلة حين استطاع توليد الطاقه بنواة الزيتون (وهي الطفرة) الكبيرة فى الأراضى الفلسطينية وذلك عندما فقد المزارعون الطاقة الحرارية بواسطة الكهرباء من أجل تصدير المنتجات الزراعية والعمل عليها.

(١) انظر كتاب روائع الإعجاز العلمي فى القران الكريم والسنة النبوية لهيثم هلال، ص٢٢٨.

قال تعالى:

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥].

ويخبرنا رسول الهدي عليه السلام فى الزيتون وزينة « **كلوا الزيت وادهنوا به، فانه طيب مبارك**»[١].

وفى رواية أخرى (فإنه من شجرة مباركة)[٢].

ودعا لها بالبركة سبعون نبيًا . فى الزيت شفاء، وبالزيت نوقد ضوء السراج «والقناديل» والشموع، ويستخدمه العامة للطعام وبالزيت تتعطر النساء «وتطيب به الرجال» وتبخر به المساجد «وبزيت الزيتون الأخضر» يستلهم الملوك من خلاله «قوتهم».

- ما هو السر الذى يجمع الزيتون والتين معًا!!

أقسم الله تعالى بالزيتون وكذلك التين معًا، فقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١].

فما السر الذي يجمع هاتين الشجرتين العظيمتين، فقد فك هذا السر الدكتور / طه إبراهيم خليفه استاذ النباتات الطبيعية بجامعة الازهر حيث يؤكد الاعجاز العلمي بالقران فائدتهما معًا وأن مخ الإنسان يفرز مادة «الميثالويثو نيدز» وهي عبارة عن مواد بروتينية بها الكبريت التى تتحد مع الزنك والحديد والفسفور وهي المصدر المهم فى جسم الإنسان حيث تمثل الدور الغذائى وتقوي القلب وضبط التنفس وخفض الكولسترول ويزداد إفراز هذه المادة فى مخ الإنسان تدريجيًا من البلوغ حتي سن الخامسة والثلاثون بعدها تقل هذه الافرازات مع تقدم العمر وتبدأ الشيخوخه أو تاخيرها فلم يعثروا فى محتويات هذه المادة سوا في هاتين النبتتين هما التين والزيتون، والاغرب من ذلك ان نسبة التين واحده مقابل سبعة من الزيتون، فتوصل الدكتور/ طه ابراهيم إلى هذا التناسب العجيب من خلال ورود ذكر التين بالقران مره واحدة وأما الزيتون فقد ورد ذكرها سبع مرات، خلال حديثه عن الأعجاز القرآني.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/٢٣٢ وهو صحيح.

(٢) سنن الترمزي ٢/٢٨٢ حسن السند.

والأمر الآخر الذى لفت انتباهي أن عدد الأيات فى سورة التين ثمانية أيات وهي مجموع نسبة التين والزيتون معًا.

الملك والفلاح العجوز

يحكى أن الملك الفارسي «أنوشروان»، الذى ولد نبينا الكريم ﷺ فى عهده وكان هذا الملك يحب ان يسمع الكلام الطيب فيجازي قائلها «بدراهم» وفى إحدى جولاته فى المدينة رأى فلاحًا عجوزًا يغرس شجرة زيتون «فأمر جيشه بالتوقف» فقال الملك للعجوز لماذا تغرس شجرة الزيتون وهي تحتاج إلى عشرين سنة لتثمر وأنت رجل مسن وقد دنا أجلك!!

فقال الفلاح العجوز: السابقون زرعوا ونحن حصدنا ونحن نزع لكي يحصد اللاحقون، فقال الملك احسنت فهذه «كلمة طيبة» فأمر له بعطايا ودراهم، فتبسم الفلاح بشكل غريب، فقال الملك لم هذه الابتسامة التى تحمل فى طياتها «الغرابة»؟!

فقال الفلاح العجوز: شجرة الزيتون «يا ملك» تثمر بعد عشرين عام وشجرتي أثمرت الآن.

فقال الملك: أحسنت أعطوه من المال، فاخذه الفلاح وضحك فقال الملك ما يضحكك؟!

فرد الفلاح: شجرة الزيتون تثمر مرة فى السنة وشجرتي أثمرت مرتين، فقال الملك: أعطوه مزيدًا من المال، فأعطاه الجند بعدها تحرك الملك بسرعة من عند الفلاح، فقال له رئيس الجند: لماذا تحركت بسرعه؟! فقال الملك إذا جلست إلى الصباح فإن خزائن الأموال ستنتهي وكلمات الفلاح العجوز لا تنتهي.

مقامات النخيل

قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٦٢-٦٤].

وهو لون الأخضر فى الأوراق نتيجة خصوبة أرض الجنة وعن قتادة «مدهامتان» قال: خضراوان من الري: إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد.

ويقال: إن العراق لكثرة النخيل فيها سمي سوادًا بلون السعف الذي فى النخل.

والنخله يعتبرها العرب بأنها رائدة الطبيعة وهي تكثر فى البلاد الإسلامية لذلك هي فى روائع التراث الأدبي ومضرب المثل فى الجود والعز والشموخ.

(الأندلس وعبدالرحمن الداخل) القصة الكفاح والمناضلة لبناء ملك بني أمية من جديد، نزل يومًا بمدينة «الرصافة» فنظر إلى نخلة فهاج حنينة وشجنة لموطنه «الشام» فقال:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي فى التغرب والنوى وطول التنائى عن بنيّ وعن أهلي

وعن طريق هذا الامير الأموي انتشرت زراعة النخيل فى الأندلس ودخلت بعدها أوروبا، ورغم الأجواء التى لا تساهم كثيرًا فى زراعة النخيل فى الأماكن الباردة؛ إلا أن بريطانيا تمكنت من خلال شركة «بالم ديفولومانتس» فى مقاطعة سمر سيت تصدر سنويًا قرابة الـ ١٣٠ الف فسيلة للدول العربية و ٥٠٠٠ من نخيل الزينة لبيوت الأثرياء فى الخليج.

ونتيجة الحروب الثلاثة فى العقود الأربعة الآخيره فى العراق تم تدمر مساحة هائلة من أكبر مزارع نخيل فى العالم والتى تتواجد حول شط العرب كما أن الولايات المتحدة نقلت فى اربعينيات القرن الماضى ١٠٠ الف نخلة من البصرة وزراعتها فى كالفورنيا، وهذه النخيل تحولت هناك إلى أكثر الأنواع إنتاجًا بفضل التهجين «المدر» وتقدم الأبحاث الزراعية.

واليوم تعد «نخلة كاليفورنيا» الأكثر طلبًا فى العالم كون معدل إنتاجها السنوي يتجاوز ٧٠ كلم للنخلة الواحده، يليها النخلة الاسرائلية ب ٥٠ كلم فى حين تنتج النخلة السعودية ٣٧ كلم أما المؤشر لإنحدار النخيل الشديد فى العراق (هو دخول وخروج القوات الأمريكية).

هذا الدمار الذي لحق مزارع النخيل في بلاد الرافديين تحول إلى ايقونه حزينة صورها الشاعر المعاصر فاروق جويده.

فيقول:

كم عشت أسأل أين وجه بلادي   أين النخيل؟ وأين دفء الوادي
أشتقت يوما أن تعود بلادي   غابت وغبنا وأنتهت ببعاد
شيء تكسر في عيوني بعدما   ضاق الزمان بثورتي وعنادي

تنتج النخله أطيب الثمار وأغلاها من الناحية الطبية، وهي أصناف عديد من التمور، والرطب والبلح ولها إصدارات هائلة أكتشفها العلماء[1].

قال تعالى لمريم أثناء المخاض ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٥].

يقال قديمًا: «التمر طعام الفقير وحلوى الغني».

سأل أعرابيا. ماأموالكم؟ قال: النخل، سعفها صلاء وجذعها غماء، وليفها رشاء، وفروها أناء ورطبها غذاء.

ووصف خالد بن صفوان للأمير الأموي هشام بن عبدالملك النخل فقال:

هن الراسخات في الوحل المطعمات في المحل، الملقحات تخرج أسفاطا عظاما واوساطا كانها ملئت رياطا، ثم تفترعن قضبان اللجين منظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهبا أحمر منظوما بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلا في لحاء مغلقا في الهواء.

الريحان الشذا «أحجار من الزمرد»

قال تعالى:

﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ [الواقعة: ٨٩].

(١) يصدر التمره حاله زرقاء اللون عجيبة - انظر لزاوية اللون الأزرق فى هذا الكتاب.

من أشجار الجنة للفائزين وأهلها ويعرف عند العرب باسم الآس.

يقول المتنبي:

ونشر مـن النـد لكنما　　　مجامره الاس والنرجس

أي أن أطيب ما شمه الانف هذا البخور ونشر الند الرائحه والمجامره والمباخر من طيب الأس (الريحان) والنرجس فالريحان نبته عطرية رائحتها زكية مميزة لاحتوائها على «الأوسيميس» التى تزرع فى الحدائق كنبته لزينة، ولها اوراق بسيطة خضراء كلون الزمرد.

تعرف باوربا باسم «العشبة الملاكية» ويستخدمونها للتداوي وفي الأطعمه وقد عرفها الفراعنه قديمًا باسم «ست» واستخدموها للعلاج من بعض الامراض كالمغص ونزلات البرد والالتهاب الرئوي وحمي الملاريا.

واليوم الريحان هو علاج فى الصيدليات ومحلات التجميل (كريم مرهم) لتجميل أوعلاج البشرة.

ويقال أن «كسرى انوشروان» الملك كان جالسًا ذات يوم واذا بحية قد دنت من عش حمامه لتاكل فراخها، فرمى كسرى الحية بسهم فقتلها، فلما كان بعد ايام، جاءت الحمامة بحب فى منقارها فالقت به إلى كسرى، فاخذه وقال: (أزرعوه) فنبت ريحانًا، وأنتشر عطره فى كل مكان.

قال تعالى: " ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾ [الرحمن: ١٢].

يقول إبن وكيع:

لم أدر من قبل ريحان مررت به　　　أن الزمـرد أغصـان واوراق

شبه الشاعر أوراق الريحان بالحجر الكريم «الزمرد» الخضراء المشعه الجذابة، والزمرد حجر كريم غالي الثمن له شكل جذاب وبراق، وهو من أنفس الاحجار الكريمة ولا سيما

إذا كان بخضرة النباتات فيمثل لونه الحياة والتفاؤل وقد تكون منه قطع كبيرة الجسم وهي من النوادر مثل الزمرده التي نقشت كيلو باترا صورتها عليها، أو مثل الزمرد الذى اهدي إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد وهو عباره عن قضيب على راسه تمثال طائر.

أوراق النعناع

يعود أصل كلمة نعناع MINT إلى اللاتينية مينثاه Mintha وهو اسم حورية اطلقت الاساطير اليونانية اسمها على هذا النبات ويذكر ان الاغريق والرومان كانوا يصنعون اكاليل من النعناع ليضعون فوق روؤسهم وذلك فى احتفالاتهم وولائمهم ويضعون منه ويمزجونه مع الخضروات على موانيء الطعام وينكهون به المشروبات، كما أن الأطباء الأغريق أستعملوه فى وصفاتهم الطبية.

فالنعناع نبته عطرية ذات رائحة نفاذة عرفت منذ القدم وزرعته بدايتًا فى وادي النيل والبابليون استخدموه لمعالجة سوء الهضم والصينيون والرومان لتخفيف الثماله والتسمم، كما استخدمه العرب طاردًا للحشرات، ولاول مرة قامت صيدلية بلندن فى الترويج له كعلاج وذلك عام ١٧٢١م.

وفى عام ١٩٨٤م أكد الدكتور «ماريو روجار» إن النعناع منبه للمعده ومدر للصفراء ومضاد لالتهابات البنكرياس وهو بذلك يساعد على تسهيل عملية الهضم وتنشيطها.

وفى عام ١٩٨٥م أثبت كل من بوير وغاربيه أن زيت النعناع يعد علاجًا فعالًا ضد المغص والتشجنات.

وبين كل من ليونغ وفوستر أن النعناع من العلاجات المهمه فى طرد الديدان من المعدة والأمعاء لاحتوائه على زيوت طارده للديدان والطفيليات والبكتيريا التى تصيب الإنسان، فضلًا على أنه مفيدًا جدًا في تنشيط القلب والدوره الدموية والمخ والحيض لدى النساء «والنزلات المعوية».

كما أكد باحثون طبيون فى الصين أن اوراق النعناع تفيد فى تدمير الخلايا السرطانية

مؤكدين إمكانية استخدام نوع من نبات النعناع لتصنيع مادة كيميائية تدمر الاوعية الدموية التى تقوم بتغذية الاورام السرطانية مما يؤدي إلى موت خلايا تلك الاورام وتشتهر المدينة المنورة فى زراعة أنواع مختلفة من النعناع كالنعناع المغربي، والحساوي، والدوش، «البردقوش» والأخر له العديد من الفوائد الصحية والعلاجات الطبية.

الشاي الأخضر

عرف فى الصين وشرق اسيا قبل أن يصل لعالمنا العربي بقرون طويلة وقد أكتشفه الصينيون أولًا من خلال شجرة برية لا تخضع أوراقها للتجفيف مثل أنواع الشاى الأخري أسمها العلمي Camellia Sinensis ورغم وجود أكثر من ١١٠٠ نوع من الشاى فى الصين وحدها؛ إلا أن «الأخضر» بالذات ما زال يوصف كدواء منذ خمسه الاف عام ولوقت قريب جدًا عرف العالم الفوائد الصحية لهذا المشروب ويحرص على استهلاكه بكثره ففي اوربًا مثلًا ارتفع مؤشر استهلاك الشاي الأخضر بالتدرج لدرجة اصبح مساويًا اليوم لاستهلاك الشاي العادي، أما فى أمريكا فارتفع استهلاكه بثمانية اضعاف منذ عام ١٩٩٠م بسبب الهوس المتزايد بالأعشاب الطبية ومضادات الشيخوخه والأكسده، ويحتوي الشاي الأخضر على عناصر طبية فريدة تساعد على مكافحة السرطان والشيخوخه وتراكم الدهون فى الجسم، وتقوية خلايا الدم البيضاء، وزيادة جهاز المناعة ولكن ملعقة سكر عادي «المكرر» تتلف ما سبق من محاسن الشاي الأخضر!!.

التفاح الأخضر

ينتمي التفاح الأخضر للفصيلة الوردية «أوراقه الخضراء بسيطة قلبية الشكل له رائحة زكية».

التفاح الأخضر كرجل محارب داخل الجسم فهو يمنع الكولسترول الذي يجتمع فى الشرايين ومكافح قوي لتسوس الاسنان مقوي للثه لاحتوائه حامض الاوكساليك ويساعد على حرق الدهون، كذلك يساعد الكبد على أداء وظيفته بشكل أكثر فعاليه.

ومن مزايا التفاح الأخضر أنه لا يفسد بسرعه وإذا كان يتواجد فى مكان بارد يظل نحو سته أشهر دون أن يتغير.

كما يقال تفاحة كل صباح تغنيك عن الطبيب.

كيف يكون للتفاح ثلاث ألوان؟!

(الأحمر، الأخضر، الأصفر).

السبب يعود أولًا فى مادة «الكلورفيل» التى تعطي اللون الأخضر للتفاحة وهذا فى البداية ثم تتحطم لينتج اللون الأصفر وهي مادة «الكارتينويد».

وأخيرًا تنتج مادة تسمي «أنثو سبانين» وهي الصبغة الحمراء التى تعطي اللون الأحمر للتفاحة.

الصبار

ينتمي الصبار إلى الفصيلة «الزنبقية» أو «الصبارية» شجرة معمره «عشبية» وهو يعيش فى الظروف البيئية الصحراوية، لذلك يضرب به المثل فى تحمل العطش والجفاف لسنوات طويلة، لقدرته على تخزين الماء، وتنتج بعضها ثمارًا من التين الشوكي، وتقتات بعض أنواع الطيور الصحراوية على الصبار، وتنمو بها الحشرة «الكوشنيل»[1]. التى احدثت ضجة هائله فى اوربا لعقود طويلة بعد أن نقلها الإسبان من المكسيك، وتجارتها الرابحه، فالصبار استخدمه «الإغريق» للعلاج والصيدلة، واستعمله الأطباء بشكل كبير من أجل التداوي.

كما أن الفراعنه أستخدموه لتنظيف البشرة فقد ذكر أن الملكة كيلو باترا أشتهرت باستعماله حيث تأخذ من خلاصته لبشرتها لجعلها أكثر بياضًا ونعومه فالماده «الألوفيرا»

(١) تنتج الكوشنيل صبغه حمراء اللون استخدمها الشعب المكسيكي وانتقلت لأوروبا بعدانتقلها الإسبان من المكسيك فنتشرت بشكل واسع ومثير.
- انظر لزاوية الأحمر، فى هذا الكتاب.

هي أحد أسرار التجميل التى تودي بدور فعال فى ذلك وهو مرطب للجلد وذلك لوجود الماء الغني فى الصبار الذى بدوره يتغلل فى الجلد فيرطبه و ينعمه و يؤخر التجاعيد، وبقي البشرة من الارهاق والترهل و يوحد لون البشرة .

الصبار هي النبتة الشهيرة التى كان يطلق عليها قديمًا «نبتة الخلود Aloe Vere».

دخل الصبار إلى أعظم شركات التجميل ومن أوسع أبوابها واكتسح السوق الدولي لتعطي ٨٥٪ من الطالب العالمي للحصول على منتجات «ألوفيرا» (الصبار) وأنواع هائلة من الكريمات المساعده لمشاكل الجلدية والحروق الطفيفة والمراهم التى تحتوي على الفيتامينات والمعادن التى تساهم فى تحسين البشرة ونظارتها، والحماية من أشعه الشمس، واسترخاء العضلات، وذلك من خلال زيت الصبار.

وهو «خلاصة من العديد من المعادن» التى تدخل في صناعة الشامبوهات لتغذية فروة الراس وتحافظ على قوة ولمعان الشعر ويمنع تساقطه.

الطبيب الأخضر

أكتشف أطباء العيون أن الأخضر عكس الألوان الأخرى فهو مريح للغايه، وله الأثر الفعال فى اراحة العينين من مشاهد الدم الحمراء التي يراها الأطباء خلال العمليات الجراحية لساعات طويلة.

فاللون الأخضر الفرعي يتوافق تمامًا مع اللون الأحمر الاساسي وكيفية التوافق إن العينين عندما تطيل النظر للون المعين فانها بعد ذلك تبحث تلقائيًا عن اللون الموافق له ولنقم بتجربة علمية وهي أن نطيل النظر لصحيفة صفراء اللون لمدة تقارب الدقيقتين ونلاحظ، ماهو اللون الذى يلوح أمام عيوننا إذا حولنا نظرنا إلى صحيفة بيضاء قطعًا سيكون اللون البنفسجي، وهذا بالنسبة لنا ونحن لم نطيل النظر، فكيف الطبيب الذى ينظر إلى لون الدم (الأحمر) بالساعات وعندما يرفع الطبيب نظرة على المريض فى غرفة العمليات تلقائيًا ستبحث عينه على اللون الأخضر، وحتى تكون عين الطبيب مرتاحه ولا ينعكس ذلك سلبيًا على نفسيته بفطرته البشرية لذلك كان رداء الاطباء فى جميع انحاء العالم هو الأخضر.

الطيور التي تحمل الريش الأخضر

«الطاؤوس» أمير الطيور وهو أجملها على الإطلاق الصقت به النرجسية والعلو والكبرياء.

يحمل الذكر دون الانثي ريشًا جميلًا أخضر «اللون» على شكل مروحة تحيط بجسمه على شكل حرف (V) لجذب الانثى إليه، وكان للاله «هيرا» أعظم آلهة الاغريق طائر الطاووس، وكان الملوك والحكام قديمًا يجلبون طيور الطاووس لحدائق القصور لجمالها وجاذبيتها.

والطاووس يقوم بحراسة الأناث بقوة مفرطة لأنه شديد الغيرة على زوجته وبقية أناثه.

لذلك أعتبره البابليون والفرس حارس الملوك والعروش أيضًا، وفى المسيحية قديمًا كان أسمه «التجديد» حيث أن هذا الطائر يغير ريشه كل عام.

ويعتبرفى أوروبا عن الغرور والكبرياء والشهوه والخطيئه، نظرًا للزينة والجمال التى تكسوه لذلك كانوا يظنون أن هذه الزينة وجمال الريش إنما ثياب خادعة في مظهرها غادرة فى جوهرها، بل أن البريطانيون[1]، كانت تسود لديهم معتقدات خرافية شائعه أن وجود الريش فى المنزل يسبب الموت أو العنوسة للفتيات . والحسد من قبل الآخرين؛ بل أن هذا الأعتقاد أصبح هاجس الممثلين حيث أن الممثل «بيتر بال» يقول إن أي شى له علاقة بالطاووس هو مشوؤم فقد قمت بإنتاج مسرحية تدعي «أحبس لى طاوسًا فى قفص» كلفني كل فلس أملكه!! أما عند الهندوس فهو أحد النماذج الألهية ويعد ريشه أحد الأدوات فى المعابد «لإزالة الغبار والأتربة» وأحد رموز الزينة، وخلال حكم المغول بنيت العديد من القصور الفارهه على شكل الطاووس الجميل وكان من أجمل هذه القصور قصر يسمي (مورتشوك) أو «بلاط الطاووس» حتى أن هناك العديد من الرسوم للطاووس

(١) من كتاب: الطاووس، التاريخ الطبيعي والثقافي (بتصرف) للمؤلف/ كريستين جاكسون. ترجمة/ يارا البدوي.

المزينه داخل القصور بالزجاج الملون والريش الأخضر تزين جدران المجالس الممرات والصالات الملكية.

أختلفت النظرة التشاثمية كثيرًا فى العديد من دول أوروبا وأصبحت تفاؤلًا يشع بالرقة والخصوبة والجمال، فعادات الرومان القديمة توارثها «ملوك» إنجلترا وفرنسا، وأستمرت لدى «النورمانديين» حيث نجد فى عام ١٠٦٦م.[١] بانجلترا اصبح الطاووس طبق رئيسي فى الولائم، ويزينها «الريش لدى النبلاء فى أغلب ممالك أوروبا» بل كان تكريم الفائزين فى مسابقات الفروسية وغيرها فى مدن اوروبا يتم باهدائهم طاووسًا وبعدها اصبح تمثال الطاؤوس وريشه رمزًا وشعارًا السمو النبل لدى العائلات.

وشاع استعمال الطاووس كرمز جمالي فى كثير من لوحات الفنانين وقصائد الشعراء الاوربيين .

وفى الصين التي يباع الريش بشكل ملفت لدرجة أن ولاية «إكسيشوانغ بان» بجنوب الصين تعرف باسم «موطن الطاووس» حيث يتم تربيتها أسراب هائله فهي رمزا للجمال والكرامه فى الفن الصيني.

قال الجاحظ: حين قدوم الخريف يلقي الطاؤس ريشه كما يلقي الشجر ورقه، فإذا بدأت الأشجار تكتسي الاوراق بدأ الطاؤس فاكتسى ريشًا.

وزعم أرسطو أن الطاؤس يعمر خمس وعشرين سنة.

وقال أبو الصلت امية ابن عبدالعزيز الأندلسي يصفه:

أبـدأ لنا الطـاؤوس عن منظر ... لم تـري عيـني مثلـه منظـرا
متـوج المفـرق إلا يكـن ... كسرى بن ساسان يكن قيصرا
فى كل عضـو ذهـب مفـرغ ... فى سـندس من ريشه أخضرا
نزهـة مـن أبهـر، فى طيهـا ... عـبرة مـن فكـر واسـتبصرا

(١) نفس المصدر الأول «الطاووس، التاريخ الطبيعي والثقافي» بتصريف.

تبـارك الخالـق فى كل مـا أبدعـه منـه ومـا صـورا

المجارب الطيار - الطنان ذو الحجم الصغير

يحمل هذا الطائر اللون الأخضر وهو اعجوبة فى تحليقه بل باستطاعته الوقوف فى الهواء وهو الوحيد من الطيور الذي يستطيع الطيران للخلف..

فالطنان اشتق اسمه من ضربات اجنحته السريعه والتي تصل إلى حوالي ٦٠ ضربة/ ث. ويبلغ طوله ٢١ سنتيمتر فقط، يمتص غذائه من رحيق الزهور عبر لسانه الانبوبي لذلك يقف فى الهواء لوقت ليس ببسيط مقارنة بحجمه الصغير والقدره التي تفوقه وقد لاحظ العلماء[١] أن حركة الانقضاض المفاجي الذى يقوم بها الطنان الذكر لجذب اناثه تعد اسرع مناورة جوية لحيوان فى العالم الطبيعي إذا ما قورنت بحجمه، بل إنها تفوق سرعتها الطائرة النفاثه المقاتلة ومكوك الفضاء لحظة دخوله الغلاف الجوي للأرض، كما ان الباحث كريستوفر كلارك من جامعة كاليفورنيا يرى ان شدة الجاذبية الناجمة عن دوران الطائر الطنان إلى أعلى بعد الانقضاض تجعل العديد من طياري المقاتلات النفاثه يفقدون الوعي جراء اندفاع الدم من خارج الدماغ، وهي سرعة تصل إلى معدلات تفوق كل الطيور المحلقة فى الجو.

الببغاء ليسبمهرج

يتمتع الببغاء الأخضر بحاسة سمع فائقه وذكاء عالى.. ويجيد الكلام ولكن ليس (بطلاقة الببغاء الرمادي) اما من ناحية السمع فخلال الحرب العالمية الاولي كان الفرنسيون يستخدمونها كاجهزة انذار مبكر ضد الطائرات المعادية، فتوضع اعداد منها فى قمة برج ايفل الشهير لتعطي إشارات الإنذار المبكرة.

(١) موسوعة اللأعجاز العلمي في القرآن الكريم/ للأستاذ عبد الدائم الكحيل - الموقع الرسمي (www.kahe17.com/ar).

وما شد انتباهي لهذا الطائر هو ما بثته محطة (ABC) فى نوفمبر لعام ٢٠٠٦م فى تقرير عن ببغاء أخضر اللون من نيو يورك يمكنه قراءة افكار البشر فمنذ اعوام لاحظت صاحبته «أيمي مورجن» إنه ينطق بما يجول براسها أو يتنبأ بالمتصل ومن يقرع الباب، ففي احدي المرات كانت تقلب كتيب عن الزهور فصاح الببغاء من الغرفة الاخرى «زهور زهور».

وحين يرن جرس الباب أو الهاتف يصرخ الببغاء باسم الطارق قبل ان تجيب هي!

وقد حاول الدكتور «روبرت شيلدارك» من كلية كامبرج التأكد من هذا الإدعاء فوضع اختبارًا يتضمن طرق الباب ٧٠ مرة من قبل اشخاص تعرفهم «إيمي» وقد نجح الببغاء فى تخمين هوية الطارق فى ٣٩ محاولة، وهي نسبة تتعدي حدود الصدفة بكثير!

التفكير بالأخضر

تجارب خضراء ناجحة وأخرى طبية مذهلة:

جامعات العالم المتقدمة أصبحت تملك مراكز متخصصة لدراسة التقنيات المدهشة التي تبديها الطبيعة من حولنا، والتي تزخر بنماذج من النباتات والحشرات لأستخراج تجارب مدهشة وتحقيق نجاحات في مجالات الطب أو الهندسة المعمارية أو حتى في مجال التقنيات وعالم السيارات..

فبدراسة ساق الملوخية الخضراء مثلًا والمواد التي تنمو بها نستطيع بناء ناطحة سحاب تفوق بعشر مرات برج تايبيه في ماليزيا أو أعلى برج في العالم كبرج خليفة) بدبي..

ففي سبعينات القرن الماضي لاحظ عالم الأحياء «فيلهلم باتلوت» أن أوراق نبتة اللوتس العريضة تبقى لامعة ونظيفة على الدوام (حتى في البيئات الطينية والنفايات القذرة) وبدراست هذه الظاهرة أكتشف أنها تفرز مادة ملساء يصعب حتى على جزئيات الغبار الثبات فوقها (وبناء عليه أخترع طلاءً خاصًا لا تعلق عليه الأوساخ أو جزيئات القذرة)..

وكانت شركة مرسيدس قد كلفت معهد ماكس بلاك بدراسته سر ثبات بعض الخنافس الخضراء على الأسطح، وبناء عليه قام علماء المعهد بوضع خنفساء خضراء على قرص

دائري (من النحاس المصقول) وأداروه بالتدريج.. ويفترض هنا أن تؤدي سرعة الدوران إلى قذف الخنفساء عن القرص ولكنها لم تتحرك من مكانها حتى وصلت سرعته إلى ٣٠٠٠ دورة في الدقيقة، وهذه القدرة الخارقة على الالتصاق يمكن تطبيقها مستقبلًا لمنع السيارات من الأنزلاق أو الخروج عن الطريق مهما بغلت سرعة دورانها أو قوة انعطافها[١]، أما فيما يتعلق بالطب فنهاك أكثر من ١٢ ألف شركة دواء حول العالم منها ٢٥ فقط تحتكر صناعة الدواء العالمية منها تستخلص أدويتها من الأعشاب والنباتات الخضراء، مثل شركة باير الألمانية وميرك الأمريكية وجلاسكو البريطانية ولارشو السويسرية.

فعلى سبيل المثال نأخذ أهم النباتات والأعشاب في صناعة الأدوية وشهرتها العالمية.

نبات القميعة (وما يسمى قفاز الثعلب) يستخدم منذ قرون في آسيا ولكنه يغلف اليوم كدواء لمرضي القلب، وإسمه العلمي dlgltalis أما لحاء الكينين فقد أستخدمه هنود الانكا لعلاج الحمى ومقاومة الملاريا وتشنج العضلات، واليوم في الصيدليات لنفس الغرض ..

وفي الصين عرفت فوائد نبتة «الايفدار» منذ ٥٠٠٠ عام واليوم تصنع في سويسرا تحت اسم «افدرين» لعلاج الصدر والربو..

أما شجرة النييم فصيدلية هندية متكاملة يمكن استعمالها لأغراض عديدة كتطهير الجروح وإزالة الالالم وتخفيف الأورام وتستخدم اليوم كمواد خام لأدوية حديثة شتى.

« البنسلين» يعد أعظم الاكتشفات الطبية ويعود الفضل في أختراعة للاكسندر فلمنج «الاستكلندي» حدث ذلك التنبه في أحد المزاع سنة ١٩٢٨م حينما لاحظ أن البكتريا الخضراء تفرز مادة أطلق عليها فيما بعد «البنسلين» وبعد الأبحاث تبين له الفوائد الطبية الكبيرة .. واستخدام البنسلين أول الأمر لعلاج جرحى الحرب .. ومن ثم أستخدم منه لكثير لمضادات الحيوية وعقاقير والغرغرينة وغيرها..[٢]

---

(١) أحدى مقالات - حول العالم - للكاتب فهد الأحمدي، جريدة الرياض. بتاريخ٤/فبراير ٢١١٦م.
(٢) انظر كتاب لقطات من العالم، الأخوين إبراهيم وعلي شرف الدين - زاوية أعظم الاكشافات، ص٣٦٤.

ومن خلال هذا الاكتشاف الباهر يعد «البنسلين» قد أنقذ ملايين الأرواح وسوف يفعل ذلك بمشيئة الرحمن عَزَّوَجَلَّ.

أهداب العيون واللون الأخضر

ينفق الرجال والنساء في الولايات المتحدة الأمريكية على مستحضرات التجميل ما يزيد على خمسة مليارات دولار وهم يتنقلون بين صالونات تصفيف الشعر ومراكز العناية بالجمال ودكاكين بيع مواد الزينة ومستحضراتها ..

بدأت عملية طلى الجسم والوجة بالزيوت المعطرة ومساحيق البودرة وصبغ الشعر وأدوات التجميل الأخرى كأحمر الشفاه ورسم الحواجب والكحل ضمن الشعائر الدينية وطقوس الحرب منذ بداية تدوين التاريخ، ومن خلال البحث عن الآثار وجد العلماء أدوات لطحن ومزج مساحيق الوجه وطلاء العيون يرجع تاريخها إلى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد..[١]

وأزدهرت صالونات التجميل ومصانع العطور في مصر القديمة في حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م وأنتشر فن المكياج وأصبح هناك فنيون مهرة في استعماله، وكانت البدايات هي تلوين الأهداب للعيون بالأخضر ووضع الكحل للعين ورسمها لدى النساء المصريات .. والرجال الفراعنة وأصحاب المناصب العليا في الدولة..

والعجيب أن أدوات الزينة تجهز بكميات وافرة لتوضع في قبورهم ومع الموميات أعتقادًا منهم أستخدامها في الحياة الأخرة ..!!

حيث تم العثور في قبر الملك توت غنج أموت عام ١٨٢٠م[٢] على جرات صغيرة بها أدوات زينة وهي بحالة جيدة تحتفظ بعبيرها المميز وتصلح للأستخدام ..

وما يتعلق بالأخضر كلون للأهداب فقد عرف منذ تاريخ بعيد الاهتمام بالعيون، ربما لأنها تظهر الافكار والعواطف مما جعل قدماء المصريين، في حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م،

---

(١) قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء - لتشارلز باناتي، ص٢٣٥.

(٢) نفس المصدر الأول.

يعتقدون بأن العين هي المحور الرئيسي لمكياج الوجه صنع الظل الأخضر المفضل للعين من نبات الملاشيت المطحون مع خام النحاس الأحمر.. ووضع بكثافة في جفن العين، واستخدم الكحل للعينين ولتعميم الرموش والحواجب.

تخزن مواد الزينة في عبوات صغيرة من المرمر وتوضع على العين بواسطة عصيات عاجية أو خشبية أو معدنية على غرار قلم ظل العين..

أعتادت العديدات من نساء مصرعلى وضع المساحيق والكحل بشكل ملفت وانتقلت لنساء هذه العاده إلى الاغريق اللاتي فضلن رسم الحواجب الملتقيه فوق الأنف حقيقية كانت أم مزيفة..

وشاع تجميل العينين عند العبرانيين أيضًا وأنتشرت تلك العادة عند اليهود حوالي عام ٨٥٠ ق.م على يد إيزابل زوجة الملك أحاب «الفت إيزابل» كونها أميرة صيدونية(١) في الأصل العادات الفينقيه التي سادت في بلادها: مركز الثقافة والموضة ..

يذكر أن الكتاب المقدس في ملوك الثاني «الصحاح التاسع» الآية ٣٠، بأن تلك الملكة استخدمت مستحضرات التجميل: «فجاء ياهو إلى يزرعيل، ولما سمعت ايزابل كحلت بالإثمد عينيها وزينت رأسها وتطلعت من الكوة ..

وعند دخوله من الباب وبخته أُبعد منافس ابنها على العرش، فأقبل أثنان من خصيانها بأمر من ياهو وطرحاها خارجًا

آلت ايزابل تلك النهاية لتجاهلها لحقوق الرجال ولتحديها القوانين التي سنتها اليهود بين أيليا والشيع، مما أقام منها مثالًا للمرآة الشريرة التي غدت مسيئة لسمعة مستحضرات التجميل طيلة عدة قرون ..

❐ أبدى علماء الالفاظ اهتمامهم بالمفهومات الجمالية الرومانية ربما لأن الأمبراطوريه الروماني ما قبل عصر النهضة طورت وسائل التجميل بشكل مبهر، واعتقدوا

(١) صيدونية: أمراة من صيدون، وهو الاسم القديم لمدينة صيدا الحالية في لبنان.

لمدة طويلة من الزمن أن الكلمة الإنجليزية لمستحضرات التجميل Cosmetics قد استنبطت من Cosmis وهو تاجر روماني مشهور لمواد التجميل عاش في الإمبراطورية الرومانية في عهد بوليوس قيصر، وفي رأي أخر، أنه استنبط من الكلمة اليونانية kosmelikos وهي تعنى المهارة في التجميل.

«سحر الأزرق»

ومـن مركـز حيـاتي جـاءت..

نافـورة عظيمـة ظـلال زرقـاء..

غامقة على لازورية من مياه البحر..

الشاعرة الأمريكية

(لويز غليك)

الأزرق

الأزرق هو الجمال والهدوء هو التفاؤل والأمل هوالمدى والسماء، هو المحور الاهم فى الطبيعه إذ أنه يمثل ثلثي الكرة الأرضية من محيطات وبحار. لذا سمي كوكبنا «بالكوكب الأزرق».

يعتبر اللون الرئيسى الثالث مع الأصفر والأحمر امتزج هذا اللون الرائع مع كثير من الرموز الغامضة والأسرار والسحر والأحلام ومسرات الرؤية البصرية في معظم الحضارات لذلك هو ذو دلالات متعددة.

فالأزرق لون اسطوري فلسفي وله الصفات الفيزيائية ويتناسب طرديًا مع الضوء و يرتبط بالحرارة والفضاء والانكسارات وله صلة وثيقة بالظلال فهو لون قوي فى الضوء الشديد كما أنه يظهر بتاثير افتح عندما يقل النور وذلك بحسب نسبة امتصاصه الضوء ولهذا فانه يخدع المصور الذى يرسم على النور لما يبدو فيه من مظهر غير حقيقي.

فاللون الأزرق هو أول لون يستخدمه الإنسان، فقد استخدم العراقيون هذا اللون قبل خمسه وعشرين الف سنة لحضاراتهم فالنقوشات والكتابات والرموز الاثرية بل ان النساء كن يضعن الخرزة الزرقاء على صدور ابنائهن لحمايتهم من العين أو الحسد وهو اللون الذى يمثل حضارات وادي الرافدين فنجد بوابة باب عشتار الزرقاء ولون الاهوار ودجلة والفرات ولون قدسية السماء.

والعجيب ايضًا ان العراقيين يضعون لوحة من سبعه عيون زرقاء اللون فى واجهة بيوتهم أو دكاكينهم، وهي عادة تقليد سومرية[١]، فالأزرق كان أقدس الألوان لديهم ولقد

---

(١) الموقع الرئيسي (الحوار المتمدن) عن مؤجز تاريخ اللون الأزرق للأستاذ ساطع هاشم، العدد ٢٩٩٧ بتاريخ ٢١١١/٥/٦ (بتصريف).

توارث العراقيون هذا الاعتقاد حتى يومنا هذا مؤمنين بانه يحفظهم من الحسد وكذلك البابليون الذين يعتبرون ان التعويذة (العيون الزرقاء) هي التي تدفع عنهم النفس الشريرة أو العين الحأسدة أما فى الصين فاللون الأزرق قد يعبر عن الخلود وعند الهندوس بالاله كريشنا .

وعند اليهود فيمثل القدسية. كما مثل لدى الرومان فى عصر النهضة «لون العذراء» بإعتبارها ملكة السماء.. بعد أن نبذوه فوصل إلى قمة الهرم بين الألوان الأخرى.

وفى الشرق الاوسط يعتبر اللون الأزرق مانع للضرر والحسد ومنذ القدم استخدم الفراعنة المصريون الون الأزرق فى العديد من الامور المتعلقة بالحياة المرتبطة مع نظم مسيرتهم من الاعمال والبناء والزراعة الهندسية واللباس والأزياء الحديثة.. فقد كان الحضارتين العراقية والمصرية قديمًا الدور المباشر في تطوير الحضارات الأخرى.

و من خلال هذا اللون الأخاذ انطلقت الافكار بتزيين بوابات المدن والقصور والمنازل والأدوات، والملابس وصناعة النسيج والأقمشة، وتطعيم الزجاج بالأزرق.

وكانت «أوغايت» الحضارة القديمة، في الألف الثانية قبل الميلاد أكثر مدينة مصنعة لمادة «اللازورد» الحجر الأزرق التي دخلت ضمن التعريف الإلهي القديم، فقد أستخدم الأزرق بكثرة في «أوغايت» بسبب التفسير الميثولوجي بإعتباره رمزًا مقدسًا، يرد الحسد.

كما أن الأعمال الفنية الإسلامية والصينية التي استخدمة الأزرق تزخر بها المتاحف العالمية، أستعمل خلالها الأزرق بالأعمال الحرفية الفنية العالية الجودة والسبب في ذلك هو أن حجر اللازورد بعد طحنه بحاجة إلى تقنية وتصفية خلال مراحل متعددة تستغرق وقتًا وجهدًا طويلًا ولكن عند الرومان مثلًا وبالتطور الحضاري لديهم فقد أستعملوه بدون هذه العمليات من التقنية لتصفيتها مباشرة، وربما الرومان كحضارة عريقة لم يجعلوه فى أساسيات الحياة وعناصرها الاربعه مثل (التراب / الأحمر) و(الماء / الأسود) و(الهواء / الأبيض) و(النار / الأصفر) وهذا تصنيف الرومان فى منتصف حضارتهم التي بعدها رغبوه بقوة بسبب «الازورد» الأزرق وبعد مئات السنين على اضمحلال دولتهم ومن بين أطلال

حضارتهم مجده احفادهم فى عصر النهضة الايطالية واعتبروه لون الملوك فكان على مدى قرون غالي الثمن ويوازي الذهب الخام سهرًا وجودةً[(١)]؟.

كما أن لهذا اللون الرائع الدور الكبير فى الفنون التي جسدها اليونانيون فى حضارتهم التى استمرت فى أوروبا من القرن الثاني عشر الميلادي فالإسبان مثلًا يمزجون الأزرق باساطيرهم مما يثير الاقوال المتضاربة فيه، فالبعض يتحاشون ذا العينين الزرقاويين خوفًا من غموضها فهي كغموض البحر..

أما اليونانيون فمنذ زمن وحتى يومنا هذا يتفائلون به والفتيات المقبلات على الزواج يحرصون على اقتناء خاتم أزرق اللون وارتداء شريط أزرق فى حفلات الزفاف منعًا من الحسد.

والأزرق له الحضور الطاغي في الكثير من الدول فى ارتداء الملابس كالجنز ورابطات العنق الزرقاء.

ما فى المجال السياسي فهناك الكتاب الأزرق يتضمن معلومات ووثائق سرية «دبلوماسية» تشرح مواقف الحكومة من قضية دولية معينة، والعرب مع الأزرق قصص متضاربة إما يكون ذو صلة بالعدوانية أو يكون فى المقابل ذو صلة أعجاب.. وفي مواضع أخرى ربما يكون دلالة على التشاؤم والخوف.. فلنبدأ مما أنتهينا به.

وما علاقة التشاؤم والخوف الذي يصاحب العرب قديمًا من اصحاب العيون الزرقاء؟!

مرت سنون طويلة والعرب فى صراع دائم مع الفرس والروم تحديدًا وهؤلاء الاعداء اصحاب عيون زرقاء غالبًا، فيبغضون ويتشائمون من صاحب العيون الزرقاء.

يقول الله تعالى ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢].

وصنف منهم من يعتبره عدواني لسبب آخر وهو ارتباطه بالعدوالأزرق وهذه كناية للعدوانية لما ترتب من عداوة طويلة بين العرب والروم واصحاب العيون الزرقاء، ونذكر

(١) نفس المصدر الأول «موجز تاريخ اللون الأزرق» ساطع هاشم (بتصرف).

هنا قصة مقتل الصحابي الجليل الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدًا على يد أبو لؤلؤة المجوسي (لعنه الله) وكانت عيناه زرقاوين، وهنا يرثي الشاعر مزرد عمر بن الخطاب.

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي سبنتي أزرق العين مطرق

ولكن بعد الفتوحات الإسلامية الهائلة ودخول المسلمين الأقطار المشرق والمغرب فقد تصاهر العرب من أمراء وقادة وجند مع النساء الفارسيات والروميات وكذلك فى بلاد الأندلس من إسبانيات وغيرهن ذوات جمال ساحر وعيون زرقاء فقد انعكست تلك النظرة التشاؤمية إلى حب وغزل لذوات العيون الزرقاء.

يقول عمر بن ابي ربيعه:

سحرتني الزرقاء من مارون أنما السحر عند زرق العيون

ويقول آخر:

وكأنه قرص بخد مهفهف أو أعين زرق كحلن باثمد

ويقول ابن المعتز:

ورنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من نقاب أسود

أما شعرنا المعاصر نزار قباني له العديد من القصائد والابيات لذوات العيون الزرقاء ومنها.

فى مرفأ عينيك الأزرق شباك بحري مفتوح
وطيور فى الأبعاد تلوح فى مرفا عينيك الأزرق
يتساقط ثلج فى تموز ومراكب حبلي بالفيروز
أغرقت الدنيا ولم تغرق

أما الشاعر حسن مرواني فيقول:

لامو افتتاني بزرقاء العيون ولـــو رأوا جمـــال عينيك
مـــا لامـــــوا افـــتـــانـــاتي
لو لم يكن أجمل الألوان أزرقها مـــا أختاره الله لون للســماواتِ

زرقاء اليمامة

هي أحدى روائع التراث القصصي العربي القديم، إمرأة فايقة الجمال ذات عينين زرقاويتين ترى الشخص على مسيرة ثلاثة أيام (وبحكم كروية الأرض والتضاريس، لا يمكنها مشاهدة الأشياء إلا من فوق المرتفعات فتشاهدها وكأنها أمامها) وترى الشعره البيضاء فى البن وهي ابصر خلق الله عن بعد..

يقال إنها إمراة حكمت مدينتها التي كانت تقيم فى ديار (طسم وجديس) بقرية يقال لها حجر أو جو فسميت بعدها باليمامة نسبةً للزرقاء) ويقال انها احدى بنات لقمان بن عاد!! ولها حكايتان شهيرتان الاولى حينما عرفت عدد سرب الطيور بسرعة فائقة وهي تغادر لنبع الماء وعددها ستا وستون ونصفه ثلاث وثلاثون واذا اضيف إلى ذلك قطاة أو حمامتها يصبح العدد: مئة حمامة كما ذكرت.

وفى معلقة النابغة الذبياني وما تحتويها من اعتذارات للملك النعمان بن المنذر أن يلطف ويعيد النظر فيه، وهنا يشبه هذا المشهد بمثل حدة البصر لرؤية الأشياء الغامضة كما كانت تتمتع بها زرقاء اليمامه:

أحكم كحكم فتاة الحي إذا نظرت إلى حمـــام شراع وارد الثمد

أما سبب هلاكها وحتفها فلذلك حكاية مثيرة وهي حينما غزا ملك حمير (حسان بن تبع) قوم الزرقاء وسمع حسان بمقدرة الزرقاء على الابصار لمسافات طويلة فقد خدعهم بحمل الجنود قطع من الاشجار ليستتر الجند بها وهو يسير.. فرآت الزرقاء ذلك وكشفت هذه الحيلة فأخبرت قومها فكذبوها ..وكبلو الزرقاء وقلعو عينها فماتت بعدها بايام ويقال

أن الملك وحاشيته وجدو بعين الزرقاء «الأثمد» الكحل التى تستعمله هذه المراءة فى حياتها لتزداد بالابصار، يضرب المثل الشهير لحدة النظر «بزرقاء اليمامة».

يبقى الجزء الكبير الذي يعبر لدى العرب بان الأزرق هو اللون صاحب الاحلام والمسرات والاعجاب والجمال والامل والهدوء وهذا سر الهامنا ومشاعرنا نحوه وهو ما يثير احساسيسنا عندما نراه مثل روعة البحار وجمال الأنهار والبحيرات وغموضها وسحر السماء.

يقول البحتري عن البحر:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن   فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ويقول المتنبي:

كالبحر يقذف للقريب جواهرًا   جودًا ويبعث للبعيد سحائبا

ويقول الفرزدق ف بالسماء:

إن الذى سمك السماء بنى لنا   بيتًا دعائمه اعزة وأطول
بيتًا بناه لنا المليك وما بنى   حكم السماء فإنه لا ينقل

أما ابن حمديس الصقلي فيقول فى السماء:

وزرقاء فى لون السماء تنبهت   لتجد لها ريح تهب مع الفجر
يشق حشاها جدول متكفل   ليسقي رياض البيت حلل الزهر

لماذا نرى السماء باللون الأزرق وكذلك البحار؟!

السماء ليس لها لون فى ذاتها ولكن يضيئها اللون الأزرق فى الاشعه التي تنبعث خلالها جميع ألوان الطيف «قوس قزح» حيث يعبر نور الشمس جو الأرض فتبدو ملايين الجسيمات الدقيقة الهائمة فى الهواء، والأزرق لانه ذو موجه قصيرة يتبدد أكثر من اللونين الأحمر والأصفر الذين لهما موجتين أطول أما لون البحار إنما هي انعكاس للون السماء الزرقاء[١].

(١) انظر كتاب لقطات من العالم للأخوين إبراهيم وعلي شرف الدين، ص٢٢١.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ [الطور: ٦].

السقف المرفوع هي السماء الزرقاء المرفوعه بدون عمد والتي اقسم بها الله عَزَّوَجَلَّ وهي اجمل واحكم صوره وبنيان فجعل خلالها الكواكب والنجوم والشمس والقمر بمنتهي الدقة والاتقان أما البحر المسجور فى الاية هي المخلوقات البحرية من أسماك وحيتان ولؤلؤ ومرجان وامواج وصدف وآيات عظيمة مبهرة.

والعرب تطلق على الماء «أزرق صاف» فالأزرق بمعني «المياه الصافية» وهذا فى قول زهير بن أبي سلمي:

فلما وردن الماء زرقًا جمامه وضعن عصي الحاضرا لمتخيم

عالم المجيطات

المحيط الهادي:

من الغرابة أن يمنح اكتشاف هذا المحيط العملاق الضخم للبرتغالي «فرديناندو ماجلان»[١] خلال البعثة الإسبانية للطواف حول العالم وذلك عام ١٥٢١م حيث يقول فى رحلته أنه واجه بحارًا هادئة خلال رحلته واطلق عليها «المحيط الهادي» أو «البحر المسالم».

وعلى الرغم وجود مصادر تاريخية جغرافية تتحدث عن إكتشافات عميقة ورحلات مذهلة عبر هذا المحيط فقيام رجال الازتيك وهم شعوب تنحدر من الهنود الحمر عبرو شبه القارة الهندية ووصلو لامريكا الجنوبية (المكسيك) تحديدًا وذلك قبل تاريخ ما جلان بـــــ ٢٥٠ عام.

(١) هذا لا يتنافى أن البحار العظيم (ماجلان) أحد الشخصيات الهامه التي ظهرت فى عهد الكشوف الجغرافية ولد فى عام ١٤٨١م والتحق بخدمة البرتغاليين في جزر الهند الشرقية واشترك معهم فى حملاتهم الاستكشافية، ولكن نتيجة لبعض الدسائس هاجر البرتغال إلى إسبانيا واشترك بخدمة الإمبراطور شارل الخامس، فكان له ما أراد من اكتشافات هائله وصولًا إلى ساحلا لبرازيل عن طريق المحيط الهادي.
انظر كتاب الكشوف الجغرافية .د. يسري الجوهري، ص١٣٩.

كما أن تجوال «ذى القرنين» وعبوره من أجل الوصول «لجزر كيريباتي» مطلع الشمس[1] فى قلب المحيط الهادي وذلك عام ١٣٠٠ ق. م.

ويقع المحيط الهادي من امتداد القطب الشمالي حتي القطب الجنوبي طولًا، أما العرض فيحده من الشرق اسيا واستراليا حتى شواطي الامريكتين غربًا بمساحة هائلة ١٦٩,٢ مليون كم٢ وهو ٣٠٪ من اجمالي مساحة كافة المياه فى العالم .

المحيط الاطلسي:

ابتداء أمواج هذا المحيط من مضيق جبل طارق حتى يصل شرق الامريكتين ويطلقون العرب عليه (بحر الظلمات) فحينما ترجل عقبة ابن نافع عن فرسه وغاصت قدماه مياه الاطلسي قال «لو أعلم أن وراءك أرضًا لغزوتها فى سبيل الله».

أما اليونانيون عام ٤٥٠ ق . م فقد كانوا يظنون أنه نهرٌ ضخمٌ يطوف العالم كله، ويغطي المحيط الاطلسي ٢٢٪ من مساحة مياه العالم.

ويبدو أن هذا المحيط موقع لكثير من الاحداث المهمة التي مرت خلاله وقائع تاريخية وارتبطت معه قصص مثيرة غامضة نذكر منها كوارث مثلث برمودا نقطة اختفاء وضياع بواخر وسفن وطائرات حلقت فوقها وفُقدت بشكل غامض وغريب ووقعت العديد من المعارك فوق هذا المحيط المثير فخلال الحرب العالمية الثانية انتشرت الغواصات التجسسية أو التى تحمل الصواريخ في عمق هذه المياه وعلى سطحها البواخر المقاتله في الحروب التي فقد وقتل خلالها مئات البشر.

وفي هذا المحيط تحطمت «التيتانيك» بعد اصطدامها بجبل جليدي وغرقها وفقدان أكثر من ١٥٠٠ شخص ونجاة الطفلة البريطانية «ميلغيان ديين» التي ضمتها لصدرها ولدتها لترتمي إلى أحد قوارب النجاة وعاشت حياتها بصحة جيدة ومنذ تاريخ الكارثة عام ١٩١٢م إلى أن شاهدة ميلفيان الفلم الشهير (التايتنك) قبل سنوات وماتت فى مايو لعام ٢٠٠٩م.

---

(١) انظر زاوية الأصفر في هذا الكتاب.

المحيط الهندي:

هذا المحيط يتميز بموقع استراتيجي مهم فهو تلاقي الحضارات والشعوب القديمة للتجارة فقد استخدمه العرب والصينيون والفرس والهنود فى تجارتهم واسفارهم فهذا المحيط تراث عتيد وأساطير عديدة تضمنتها حكايات وقصص «ألف ليله وليله» كالسندباد البحري والشاطر حسن «لما برز جليًا بإن يكون تراثًا عالميًا بسرد القصص الشهيرة كتبها فلاسفة الهند» وحكما الصين وكتاب الفرس وشعراء العرب منذ مئات السنين وفى عام ١٤٩٨م. كما اجتازه البحار البرتغالي فاسكو داجاما بمساعدة الملاح العربي ابن ماجه وطاف حول راس الرجاء الصالح وأبحر خلاله هذا المحيط[١]..

والمحيط الهندي يبدأ مع نهاية بحر الخليج، والبحر الأحمر شمالًا وافريقيا شرقًا حتى ينتهي بشبه الجزيرة الهندية الصينية وجزرسوندا واستراليا غربًا اما الجنوب يحده المتجمد الجنوبي وهذا المحيط يغطي ٢٠٪ من المياه لسطح الأرض.

الأنهر.. والحدائق المائية

حضارات الشعوب انطلقت من ضفاف الأنهر وعلى ما يبدو أن الحضارات العظيمة فى العصور القديمة كانت ولا تزال على توافق وامتزاج عميق مع الأنهر وعلاقتها بهذا الأزرق الساحر دلالة واضحة على ازدهار تاريخي انطلقت وتشعبت منه الثقافات والعلوم وانطلقت معها عبر التاريخ فالحضارة الفرعونية (المصرية) على ضفاف نهر النيل أطول وأكبر الأنهار فى العالم وحضارة (وادي الرافدين) على ضفاف نهري دجلة والفرات، كما أن جزء هام من الحضارة الصينية على ضفاف نهر «يا نغتس» هو الدليل القاطع لهذه الصلة الوثيقة بلون (الأنهار الزرقاء) وغزرتها «مع نموها وتطورها الباهر».

نهر الأمازون:

وهو ثانى أطول نهر فى العالم بعد النيل «بل اغزرها، و يبدأ أنطلاق مجرى هذا النهر من

(١) انظر كتاب الكشوف الجغرافية للدكتور يسري عبد الرزاق الجوهري، ص١٢٩. (بتصرف).

بحيرة صغيرة وسط سلاسل جبال الانديز التي تمتد على طول غرب امريكا الجنوبية و يرجع الفضل للأسبان فى اكتشاف هذا النهر، وتعريف العالم به عندما أتو من بلادهم للبحث عن الذهب في قارة أمريكا الجنوبية حيث وجدوا مجري لنهر ضخم، اطلقوا عليه بادئ الأمر اسم «اوريلانا» نسبة إلى قائدهم فرنشسكو وريلانا وعندما اصطدموا بالسكان المحيين ودخلو معهم فى معارك طاحنة وجدوا ضمن المحاربين نساء يحملن الأقواس ويطلقن السهام فأطلقوا على هؤلاء المقاتلات اسم «أمازون» ثم أطلق هذا الاسم لاحقًا على النهر.

نهر الميسيسيبي:

نهر غزير أزرق داكن اللون حيث يبدأ جريانه من بحيرة أيتاسكا في «مينيسوتا» ثم يتجه جنوبًا نحو خليج المكسيك، وبرغم الحواجز التي بنيت حوله إلا أنها غير مجدية ولا يمكن أن تقف فى وجه فيضاناته وهذا ما سبب ازعاجًا وخوفًا ملازمين للسكان الذين يعيشون على ضفتيه.

نهر الراين:

أهم واطول نهر اوروبي حيث يبلغ طوله ١٣٢٠ كم ويعبر اربع دول اوربية سويسرا، فرنسا، المانيا، هولندا، وهو نهر تاريخي مهم وله المكانة والخصوصية في القارة العجوز تنازعت عليه الدول خاصة فرنسا والمانيا وذلك لكونه يمر خلال العديد من المدن كما ان هذا النهر يتشعب منه أنهر مثل الدانوب ونهر الرون ونهر مارن كما تعبر عليه المراكب الهولندية والألمانية لنقل الحبوب والفواكه والمعادن والفحم ومشتقات البترول، والراين فى الاصل كلمة ألمانية (Rhein) وكان هذا النهر قديمًا يمثل الحدود ما بين الرومان والقبائل الجرمانية فقامت بسببه الحروب التي خاضها نابليون واستطاع السيطرة على اجزاء كبيرة منه..

وقد كتب الأدباء الغربيون القصائد الكثيرة وتغنى به كبار الفنانون الأوروبيون.

نهر الكونغو أو زائير:

ثاني أكبر نهر فى افريقيا والملفت لهذا النهر أنه يبدأ هادئًا فى جريانه حتي يتوسع فى

عرضه وسرعته حتي يصل لمر ضيق يدعي بوابة الجحيم وهذه المنطقة من المستحيل عبور اي إنسان خلالها.

أما نهر فيرزاسكا فى سويسرا فهو فى قمة الجمال ويسمي الكريستال لنقائه وشفافيته العالية حيث يمكن رؤية قاع النهر من خلال مياهه الصافية على عمق ١٥ متر، فقد قام المصور المحترف (جازارولي) بالنزول إلى اعماق هذا النهر بصحبة الكاميرا لتصويره ويقول لقد دهشت لنقاوة مياه النهر وشفافيته ووضوحه فى الأعماق وفى كتاب عجائب المخلوقات «للقزوني» ذكر فيها العديد من الأنهر العجيبة منها «نهر الملك» ببغداد الذي قيل أن من حفره النبي سليمان عليه السلام وهو أثر كوه واسعه وقيل حفره «الإسكندر»، وقيل حفرة «اردشيربن ماهك» وأخذ ملكه، فقال إنه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية، على عدد أيام السنة، وإنما وضع هذا ليكون ذخيرة لقوت سنة كل قرية قوت يوم لو اجدبت غيرها من الأرض كما فعل يوسف عليه السلام بالفيوم بمصر.

كما يوجد نهر عظيم بسجستان[١] الواقعه فى جنوب غرب افغانستان على حدودها مع إيران يقول اهلها إنه ينصب فيه ألف نهر ولا تتبين زياده خلاله وينشق ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان وهما فى الحالتين سواء.

أما نهر طبرية فهو عظيم والماء يجري فيه نصفه حار والنصف الآخر بارد ولا يختلطان!!.

ومن الأنهر الغريبة نهر العاصي فى حماة وحمص بسوريا وهو عكس التيار وعكس جريان الأنهر الاخري حيث يتجه صوب الجنوب وبقية الأنهر تتجه نحو الشمال .

وافضل الأنهار ربعه وذلك لماروي عنها إن أربعه أنهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيجان[٢].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا أهل الكوفة إن نهركم هذا أى الفرات يصب إليه ميزا بان من الجنة[٣].

---

(١) سجستان: كانت قديمًا دولة مثل دول اليوم وعاصمتها: زرنج ونزلت بها قبائل عربية كتميم وبكر.

(٢) حديث صحيح رواه الطبراني فى الأوسط.

(٣) انظر كتاب المخلوقات للقزويني، ص١٦٦.

أما النهران سيحان وجيجان فقد ذكر إبن كثير فى كتابة البداية والنهاية أنهما نهران عظيمان يجتمعان عند «أذنه» فيصيرا نهرًا واحدًا ثم يصبان فى بحر الروم(١) بين أياس وطرطوس.

بحيرات مذهلة:

البحيرات الشهيرة حول العالم التى تحمل زرقة صافية ذات نقاء عجيب وقيمة فريدة فمثل بحيرات إفريقيا العظمى وأشهرها فيكتوريا وتنجانيق وتياسا الغنية بالمياه العذبة وهي منبع نهر النيل، تكثر بها الموارد الثمينة، وذهب ونحاس وكوبالت ويورانيوم واحجار كريمة عديدة وبها شلالات (إنجا) التي تكفي لسد إحتياجات القارة الافريقية باكملها من الطاقة الكهربائية!!

وبحيرة فيكتوريا هي أكبر بحيرة في افريقيا والثانية عالميًا وقد يرجع أسم هذه البحيرة إلى الرحالة البريطاني (جون هاتين سبيك) الذى يعتبر اول رحالة اوربي يصل لهذه البحيرة سنه ١٨٥٨م وأطلق عليها اسم الملكة البريطانية «فكتوريا».

بحيرة لويز الكندية، وهي مذهلة للغاية، وكل ما يحيط البحيرة يدعو للتأمل فهي «أية» من أيات الخالق تحكي عن سحر الطبيعة الخلابة التى توجد من خلالها وهي مقصد للسياح والأثرياء وكذلك الملوك الأمراء، أصبحت هذه البحيرة مقصد مهم لمن يرغب فى أقامة زفافه على ضفافها.

ويقال أن كندا بها مليون بحيرة وبها تتركز نصف بحيرات العالم.

أما بحيرة «كوكو» الإيطالية فليست مختلفة عن بحيرة (لويز) وهذه البحيرة الايطالية التى تلتف حولها العديد من المدن مثل بيلاجيو، وفادينا، وطريمسو، وتتمتع بجمال فائق حيث الجبال الخضراء المطلة عليها والاشجار والحدائق الغناء والزهور المتنوعه والطيور المغردة.

وطالما نحن فى ايطاليا فلناخذ جولة قصيرة نمر خلالها بمياه فينيسيا أو مدينة «البندقية»

(١) بحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط (انظر زواية الأبيض من هذا الكتاب).

كما يحلو للعرب تسميتها، وهي عبارة عن مساحة كبيرة من المياه بنيت خلالها مئات من الجزر الرملية المتناثرة شمال بحر الادرياتيكي وتعود نشاتها إلى القرن الخامس الميلادي حين غزا البرابرة إيطاليا فهرب السكان ناحية هذه الجزر وشيئا فشيئا إمتلأت الجزر بالمباني وأتصلت مع بعضها البعض خلال الجسور وهكذا تحولت البندقية إلى مدينة عامرة بالسكان ذات شوارع مائية ينتقل سكانها بالقوارب، ويصطادون السمك من النوافذ!!

والبندقيه مدينه قديمه . فقبل أن تتدفق شعوب «الهانزا» إلى ايطاليا في منتصف القرن الخامس عشر[١]، وجدت مجموعات بشريه تقطن جزر اللارجون (البندقية حاليًا) وبعد ذلك، ظهرت ١٢ مدينه عائمه في هذه المدن نواه مقاطعة البندقيه، والعجيب أن مقاطعة البندقيه في عام ١٤٥٠م كانت صاحبة امبراطوريه استعمارية واسعة واعتى القوى البحرية في المنطقه .. ولكن مع بداية القرن السادس عشر أُكتشفت طرقٌ تجارية جديدة، مما كان له الأثر في اضمحلال الحركه التجارية.

واشتبكت البندقية ابان السنين التاليه، في حروب كثيره، خسرت معظمها وكانت على وشك أن تتحطم على يد أعدائها. وفي عام ١٨٦٦م اختارت البندقية أن تصبح جزءا من المملكه الايطاليه الموحده، ومدينة البندقية اليوم من أهم المراكز الفنية والثقافية في أوروبا، استردت مكانتها كميناء مهم في المنطقه، أما في مايخص المباني التي تلفها مياه البندقيه فهي مباني مشيدة على «مدكات» مثبتة بطبقات من الطمي، التي تتخللها ممرات مائيه من البحر نفسه وهذه الممرات هي قنوات البندقيه الشهيره.

أما فى التيبت فتوجد بها بحيرة أسمها «أرتو» تكون مياهها صالحه للشرب وتصبح مالحة مرة أخر «خلال كل ١٢ سنة».

أنتحار الحيتان

لازال الغموض منذ القدم مستمر فى سر الإنتحار الجماعي للحيتان الضخمة التي فى

(١) انظر كتاب لقطات من العالم للأخوين إبراهيم وعلي شرف الدين، مدينة المياه، البندفيه، ص٣١٢.

أيام معينة من السنة تندفع إلى الشواطي معرضة حياتها للخطر والموت وبعد رحلة طويلة وشاقة ونود هنا فى زاوية اللون الأزرق أن نتحدث عن عجائب الأسماك والحيتان والدلافين واسماك القرش المفترسه فى أشكال تدعو للتامل لتكفيها فى أسوء الظروف المتقلبة!!.

ولنتأمل اولًا عملية الإنتحار الجماعية للحيتان؟!

فمثلًا فى مناطق شواطي جنوب افريقيا حينما تفشل كل الجهود فى إنقاذ الحيتان وإبعادها من الشواطئ وذلك لحالة الارهاق الشديد وعدم قدرتها على السباحة، يتم إطلاق الرصاص عليها «رصاصة الرحمة».

كما توجد العديد من الشواطي التي تلقي الحيتان حتفها بعملية الانتحار (الجماعية، والمثير لهذا المنظر وجود أسماك القرش المفترسة الزرقاء) وبشكل كثيف انجذبت من أجل التمتع بأكل الجيف أو ما تبقي من حيتان فى لحظاتها الاخيرة التي تتنازع فيها الموت مكونة منظرًا مثيرًا لحوض «مائى» على الشاطي تحول للأحمر.

ومن أجل معرفة هذا الغموض لدي كان لابد من معرفة الاسباب التي تؤدي إلى هذا الانتحار والذي يكون فى ايام معينه من السنة تذهب نحو حتفها، وأثناء بحثي قرات مؤخرًا أن اهم الاسباب التي تجعل الحوت يلجأ إلى الانتحار ألا هو الموهبة والطموح؟!.

إذ إن الحوت عندما يفشل فى عمل ما أو حتي فى علاقاته العاطفية تتسبب اختياراته السيئة في جنوحه للأنتحار، ويمكن اعتبار الحوت فى تكوينه بانه صندوقٌ مغلقٌ ملئ بالأسرار وهذا مكمن الخطا وحينما يحاول أحد الاقتراب منه يبدأ بالتخبط محاولًا أبعاده ونفية!!

وأما علاقته بحوريات البحر يمكن وصفها بانها علاقات عنوانها الفشل ونهايتها «محبطة».

لذا فكل انجاز غير مكتمل أو عمل غير ناجح أو علاقة عاطفية فاشلة طريقها إلى الانتحار لدي الحوت.

ويبقي الأهم أن عملية الانتحار لدى الحيتان هي مرض وراثي!! وهذا ما يذكرني بطموح الشاب الياباني حينما يفشل فى ابتكار ما يلجأ للإنتحار.

فما العلاقة بين انتحار الحيتان وانتحار الشاب الياباني؟! هل هو الفشل في «الطموح»؟!

سيد الأعماق «الحوت الأزرق»

هو أكبر كائن على وجه الأرض فقد يصل وزنه إلى ٢٠٠ طن وطوله ٣٠ متر اى أنه اطول من ملعب كرة السلة هذا الحجم الضخم هو وزن ١٥ حافلة مدرسية، بينما يصل وزن لسانه فقط إلى أربعه أطنان أي ما يوازي وزن فيل!! ويمكن ان يقف ١٠٠ شخص داخل فمه!!

أما قلب الحوت الأزرق فهو بحجم سيارة (ميني كوير) ويزن حوالي ٩,٧ كجم ويمكن الشعور بنبضات قلب الحوت على بعد أكثر من ثلاثة كيلومتر، وحجم الشرايين الواسعة يمكن الإنسان ان يزحف داخله بحرية ويمكن للحيتان الزرقاء أن تصدر أصواتًا أعلى من المحركات النفاثه، فتستطيع الحيتان التواصل مع حيتان أخرى تبعد عنها مسافات تصل لقرابة الـ ١,٦٠٠ كم، فتخيلوا أن حوتا يوجد في القاهرة مثلا (هذا إذا تخلينا الكوكب كله محيطات) يستطيع التخاطب مع حوت في الرياض بصوته مباشرة (دون اقمار صناعية أو هواتف جواله)؟!

الحوت الأزرق يعتبر من الحيوانات البحرية النادرة جدًا!!

ولنتأمل قصة النبي سيدنا يونس حينما أمتحن؟

ومغادرته قومه في رحله عبر البحر ورمية، فوجد نفسه فجأة في فم الحوت،

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧-٨٨].

وأجمل وأدق تعبيرًا لما جاء في قصة يونس عليه السلام هي القانون والعادلة والنجاة، قالى تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

ذكا الدلفين

يسمى قديمًا عند العرب «الدخس» وهو أزرق اللون ويعتبر من أذكى المخلوقات بعد الإنسان ويقال إنها لو تملك يدين وتتكلم لاصبحت اذكي من الإنسان .. أضف على ذلك أنها لا تستطيع أن تمكث خارج المياه لدقائق معدوده أكتشف العلماء صحة مايتردد بأن الدلفين كثيرًا ما أرشد السفن التأئهة والغرقاء في البحر إلى بر الأمان، هذه الظاهرة يقول علماء البحار «هناك سببٌ بيلوجي وراء أنقاذ الدلالفين للبحارة».

وأنقاذ الغرقى الذين تم حذفهم من تحطيم السفن بالأمواج والأعاصير كما توصل البحث العلمي أن للدلافين أنسجه في خلايا المخ من مادة معدنية مغناطيسية تتوافق مع المجال المغناطيسي للأرض وبالتالي معرفة الأتجاهات!!

ربما يتساءل الكثير كيف تستطيع الدلالفين بسرعة عالية الحاق بالسفن والقوارب التي تكون في حالة سريعة جدًا في البحر فالسر في ذلك هي ضغط الأمواج أثناء أندفاع المياه القوي تركب الدلافين هذه الأمواج المحيطة بمقدمة السفن بمهارة .. الفن في عملية الصيد التي تصدرها أصواتها المرتفعة وبالتالي يتردد كصدا فتعرف الأشياء التي تكون قريبة منها كما يسبب صوتها «الجهوري» للأسماك الصغيرة إزعاجًا فتدخل معها في غيبوبة فتلتهمها الدلافين..

ولها القدرة في تشتيت عدوها الأول القرش.. فتأخذ إحداها كتموية لتنفرد .. ويبتعد حتى تهرب الصغار والمجموعة.. حتى تهرب بطريقة ذكية.

أسماك القرش «قناص بدون أخطاء»

تتنوع أسماك القرش في عالم المحيطات والبحار ولكن ما يميزها الافتراس، والأنقضاض بكل سهولة على الأسماك الأخرى، وتكيفها مع المياه في أصعب الحالات وهناك أمران مهمان مذهلان هما:

أن أسماك القرش لا تنام طوال حياتها ولا تمرض وتتحمل المياه الشديدة البرودة أو الحرارة في أعماق المياه، ويساعدها وجود كيس هوائي بداخلها فبدخول الماء في فمها وتمريرها إلى خياشيمها يتم أخذ الأكسجين.

والقرش دائم التحركه ويملك مهارة صيد فايقة فهو يتميز الإنقضاض السريع على الفريسة من أول عضه بفكيه وأسنانه الحادة، حيث تكون الوهلة الأوله غاية في الدقة والمهارة، كما أنه يعرف حجم الطاقة الغذائية كمية الدهون .. التي سيحصل عليها، وأشهى وجباته «الدهنية» هي لحوم الفقمات.

أما جسده الذي يساعده في الافتراس والحصول على الغذاء «الكشف الحساسة» التي بجوانبه وهو أداة مهم ليحائه عن وجود فريسته كما أنه ليونة الزعانف وذيلها القوي هي أدوات الصيد للقرش.

ويعتبر الشم الحاسة القوية التي يتمتع بها القرش.. وقوة النظر المذهلة.. يساعده كثيرًا في الكشف في عملية الصيد..

فحينما تصدر إشارات كهربائية من الأسماك الأخرى.. تلاحظها أسماك القرش فتنطلق صوبها..

وسرعتها وتمويهها في المياه لذلك يعصب تميزها من الأسماك فتصبح كلون البحار من الأعلى وتكون كلون السماء من الأسفل فيصعب رؤيتها ووجودها ..

والغريب أن بعض أسماك القرش في المحيط الهادئ أخذ بالأنقراض فسكان شرق أسيا يحصلون عليه لكثرة عملية الصيد الذي يقوم بها الصيادون من أجل الحصول على الزعانف، فقط لبيعها لأشهر المطاعم هناك، حيث يصل الطبق الواحد أكثر من مائة دولار .. ويتلف كامل القرش .. لذلك قامت بعض السلطات في دول أمريكا الجنوبية في عملية تطويق بحرية وحراسات مشددة من أجل الحفاظ على هذه الثروة لسلامة نمو الحياة البحرية، حيث أن أسماك القرش هي التي تتصدى بعدم أنهيار معالم الدوره البحرية، في علقها الحيوانات والطفيليات المسببة في تلوث الحياة البحرية[١].

---

(١) بإمكانك مشاهدت الفلم الوثائيقي عبر الأنترنت «خطر أنقراض أسماك القرش» الجزيرة الوثائقيه.

أما رحلة أسماك القرش إلى «الأسكا» في منطقة «الأميروليم» الباردة هي رحلة القرش من أجل مائدة غذائية ضخمة والحصول على كميات كبيرة من أسماك السلمون حيث يلتقيان خلال هذا الحدث مرة واحدة في السنة (موسم الربيع) وهنا تبداء ملحمة الأفتراس المذهلة ..

فتعود بعد نهاية هذا الفصل لتتزاوج ودوره جديدة كل عام!!

رحلة الساردين «وسمك السلمون» حول العالم

إن رحلة الساردين وسمك السلمون الصغير الحجم وطوافه حول العالم هي ليست ظاهرة من بين الأسماك ولكن الغريب فيها إنها برغم حجمها الصغير والتي تتجمع وتشكل مجموعة كثيفة تعبر المسافات الهائلة ما بين المحيطات والبحار في رحلة رهيبة بين المتعة والخطر والحياة والموت..

أما سمك السلمون فإنه يقطع المسافات في رحلة طويلة دون أن ينحرف مساره ولو سنتمترات بسيطة فهي حينما تعبر من عمق المحيط وتتجه إلى سواحل فرنسا لتبدأ رحلة جديدة وتنطلق صوب مصاب الأنهار في أمريكا الشمالية، بل في أمريكا أنهار بعضها يتجه إلى المحيط الأطلسي، والأخر إلى المحيط الهادئ، ولنبدأ بالقسم الأول، الأنهار التي تتجه إلى المحيط الأطسلي من رؤوس الأنهار (من منابع الأنهار) يعيش سمك السلمون ويتجه باتجاه مصب النهر (قد يكون النهر طوله ٨٠٠ كيلومتر) وتمضي هذه الأسماك في رحلتها مدة طويلة فإذا وصلت إلى الشاطئ توجهت نحو الشرق إلى أن تقطع المحيط الأطلسي كله وتستقر في شواطئ أوروبا والتي تصب أنهارها في المحيط الهادئ تتجه إلى مصبات الأنهار وبعدها تعبر المحيط الهادئ إلى أن تستقر في شواطئ اليابان.

رحلة لا يوجد فيها لاسلكي، ولا أقمار صناعية، ولا خرائط ولا ربان يحمل الشهادات والخبرات في قيادة السفن، سمكة صغيرة الحجم لو أنحرفت درجة واحدة في خطتها وحركتها لكانت في أمريكا الشمالية فأصبحت في الجنوبية لا تصل إلا إلى النهر الذي خرجت منه فهذه الأسماك حينما تنطلق من ينابيع الأنهار حيث ولدت وتتجه نحو مصباتها، ومن ثم

تتجه إلى أوروبا لتمكث قليلًا ثم ترجع وخلال العودة، تقطع الأطلسي وتصل إلى ينابيع الأنهار أخيرًا حيث ولادتها بعد رحله طويلة وشاقة ..

حجر الفيروز

حجر كريم أزرق فاتح «سماوي اللون» وهو عبارة عن فوسفات من الألمونيوم والنحاس، تشير الابحاث التاريخية إلى ان المصريين القدماء هم أول من عرف الفيروز واستخدموه للزينة منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وفى محتويات مقبرة الملك الفرعوني «توت غنج آمون» ما يؤكد ولع الفراعنة والاسرة الملكية وسلالتها كانوا مولعون بهذا الحجر الكريم الغالي الثمن.

أما فى البلاد العربية اليوم تتميز المرآة بلبسها الحلي المزين (بالفيروز) وهو ما يتوافق مع غلائها لجودتها وخاصيتها.

يقول الصنوبري الشاعر:

فالأرض فيروز والجو لؤلؤة والروض ياقوته، والماء بلور

ومن الأحجار التى تستخرج منها من أجل الحلي والزينة صخور ذات ألوان زرقاء يشتد عليها الطلب فى صناعة الاكسسوارات الثمينة وهي شديدة الصلابة وتسمى (اميد سيت).

التكنولوجيا الزرقاء

منذ ان وضعت شركة أبل (التفاحة المقضومة) لمؤسسها ستيف جوبز[1] اللمسات الاخيرة على الكمبيوتر الشخصي الذى ظهر عام ١٩٧٦م وكان هذا الجهاز نقطة أنطلاق أكبر الشركات والمختبرات والجامعات حول العالم لتواكب عصرًا جديدًا «عصر التكونولوجيا».

(١) ستيف جوبز صاحب فكرة الكمبيوتر الذى أخذ الفكرةمننادىفجامعته (The Homebrew Computer).

ففي الثمانينيات كانت الكمبيوترات ضخمة ومعقدة لذلك ترتب على ذلك أن تحتكر لعلماء الرياضيات وخبراء البرمجة والفرق المتخصصه فى برامج التشغيل ولكن كان الأهم هو التطور خلال العقدين التاليين وأن تكون هذه «التكنولوجيا» أسهل إستخدامًا وأسهل مما يتخيله الإنسان قبل أن يضعه أمامه، أستطاع ستيف، وزنياك ومايك ماركيولا بتصنيع حاسبات شخصية صغيرة تباع للعالم أجمع، عرفت لاحقًا "بسلسلة أبل" تطورت الابتكارات وأستطاع جوبز (أنتشال) الواجهه الرسومية الرائعه من أجهزة شركة Xerox وتطويرها، كما صمم برنامج تفاعلي يتجاوز بالناس تعقيد البرامج النصية ومن خلال هذه الثغرة دخل «بيل غيتيس» واسس شركة (ميكروسوفت) التى احتكرت برامج التشغيل فاصبح اغني رجل فى العالم، غير أن ستيف جوبز طور من جهة أخري فكرة «الفاره» وطريقة عملها بالضغط علي الروابط وحقق بالتالي قفزة فى بيع حواسيب ماكنتوش الشخصية.

والعجيب أن جوبز بعد سلسلة من النجاحات طرد من شركة أبل بسبب خلافه مع المساهمين الكبار، وربما تكاثر حساده، بالرغم أن جوبز هو من أسس الشركه العملاقه «أبل»..

ولكن سرعان ما نهض جوبز وأسس شركة ناجحة أخرى تدعي «بيكسار» طورت إنتاج الأفلام عبر الكمبيوتر «وحكاية لعبة» وشركة «المرعبين المحدودة» بل أسس شركة أخرى متخصصة تدعى «نيكست» سعت شركة أبل لشرائها لاحقًا.

وفي عام ٢٠٠١م فاجا جوبز العالم بتقديمه جهاز «الأي بود» الذى يقوم بتخزين الألف الصوتيات والأغاني وغيرها، ويحملها من الانترنت على شريحة بحجم الشرنفة!!

وفى عام ٢٠٠٧م كانت القفزة الهائلة حينما قُدم تلفون «الأيفون» الذى تسبب فى خسائر لشركات عريقة متخصصة فى مثل هذا المجال مثل نوكيا وموتوريلا وغيرها، على الرغم أن (أبل) التفاحة ليست متخصصة فى الهواتف من الاصل).

ولكن ما يهمنا هو سر الأزرق فى وسائل الإنترنت عبر شبكة التواصل فى «الفيسبوك»

وعبر «تغريدات تويت»[١] لأي شخص فى المشرق أو فى اقصى المغرب وعلى ما يبدو أن زر التشغيل للبحث فى «قوقل» هو الحرف الأزرق (e) الذى يخذك عبر نافذة الكون، الذى يطل بك ويحلق فيك لاي زمان ولاي مكان تريد، أنها التكنولوجيا التى لونت بالأزرق؟!

«الجنز الأزرق» ورابطة العنق الزرقاء

فى عام ١٨٥٠م هاجر ألاف الرجال إلى كالفورنيا بعد اكتشاف كميات كبيرة من الذهب هناك.

وكان من بين هؤلاء خياط الماني مهاجر يدعى «أوسكار شتراوس»[٢] فشل فى اكتشاف شى وانحدرت به الحال لدرجة التضوع جوعًا وفى لحظة ياس قرر تمزيق خيمته ذات «اللون الأزرق» وخاط منها سراويل شديدة التحمل اطلق عليها اسم «شتراوس جنز» وبسبب متانته العاليه ازدهرت تجارته وأصبح أغنى من اى منقب هناك، هذه هي قصة إنطلاق تاريخ «الجنز» التى اجتاحت كل انحاء العالم فى اسواق ومحلات الملابس التجارية، هذه الفكرة هي نموذج فى خلق الأفكار.

أما رابطات العنق الزرقاء فيرجع تاريخها إلى بدايات القرن السابع عشر، اي فترة الحرب الاوربية التى امتدت ثلاثين عامًا وأستخدم جنود (كرواتيا) بالتحديد هذه الرابطة التى غلب عليها اللون الأزرق «وربما الأحمر» على شكل «شالات» تلف حول العنق مع عقدة كبيرة بالطريقة نفسها التى تلف فيها وتعقد ربط العنق اليوم، وكلمة (كرافت) مشتقة فى الاصل من كلمة (كروات) فقد كانت الحروب الاوروبية عنيفة وقاسية، وكانت طريقة إعدام الكرواتيين حين وقوعهم فى ايدي الاعداء يتم تعليقهم «بشالاتهم» أي ربطات العنق التى يرتدونها، ومن هنا جاءت الكلمة الإنجليزية Necktie التى ترجمتها إلى العربية ربط عنق وكان فى ذلك الوقت الكرواتيون منتشرين فى أوروبا الغربية، وخصوصًا فى

(١) «تويت» انشقت من كلمة تويتر، ودخلت مواخرًا قواميس اللغة الإنجليزية فقد أصبحت تعني رسميًا (التغريد في موقع التواصل الاجتماعي تويتر). بعد أن كانت كلمة تغريد الطيور في موسم التزاوج.

(٢) انظر كتاب قصة العادات والتقاليد لتشارلز باناتي، ص٣٢٢.

العاصمة الفرنسية (باريس) وقد اعجب الفرنسيون كثيرًا بهذا النموذج الذى يجمل العنق، حتى تم إدراجه من ضمن الزي الرسمي الساده والقادة الكبار وكان هذا فى زمن الملك لويس السادس عشر واطلقوا عليه تسمية Alacroat حتى شمل هذا الرباط عامة الشعب فتكرست التسمية Cravat المآخوذ بالطبع من Croat وهو الاسم الذى يطلق عليه فى كافة اوربا والعالم مع تغير بسيط حسب اللفظ اللغوي للدولة، هذه الرابطات انطلقت بسرعة الصاروخ فى اوروبا والولايات المتحدة الامريكية وأشتهرت باللون الأزرق الداكن المميز ولا زالت هي الموضة والأناقة بدون منازع.

أشهر الزهور الزرقاء

«السوسن»:

هذه الزهره الصغيرة الرائعة، الشتوية، التى تعمر طويلًا، تستخدم لمساحيق التجميل كما انها تدخل فى صناعة ومعاجين الاسنان كما يستعمل منها اليوم زيت السوسن كدواء مسكن، ويدخل فى المجال الطبي باستخدام الجذامير الجذرية له المجففه وتوضع للاطفال الرضع وقت التسنين.

وضع ملك فرنسى لويس السادس الذى حكم ما بين ١١٠٨م حتى ١١٣٧م زهور السوسن كشعار (للنبل).

وتستمد زهرة السوسن اسمها عند «الإغريق» من كلمة قوس قزح.

يقول أحد الشعراء عن السوسن:

انظـر إلى السوسـن فى جمالـه المنعوت   مثل كوؤس خرطت من أزرق الياقوت

وقالآخر:

إن كان وجه الربيع مبتسما   فالسوسـن المجتبـي ثنايـاه
يا حسـنه ضاحكًا لـه عبقًا   كطيب ريـح الحبيب رياه

خط الطيف الأزرق بالتمور:

لقد توصل علماء بريطانيون وهم مختصون بالاستجلاء البصري والسمعي[١] إلى إثبات خط الطيف الموجود بالثمرة المذهلة التمر وتحديدًا «العجوة» التى تتم عند هضمها فينتج هذا الحدث داخل جسم الإنسان فكيف ذلك؟!.

فبعد الدراسة التى قام بها هؤلاء العلماء اتضح أن التمر يحمل هائلة زرقاء وبعد اكلها تتغلل هذه المادة داخل الجسم ويستمر هذا اللون لمدة ١٢ ساعه وهو الاشعاع الذي يخشاه الشيطان والجن حين رؤيته، وقالو إن العين هي التي تسحر فالسحر ليس هو تغيير فى طبيعة الأشياء إنما هو تخيل وسحر للعين، قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ [الاعراف: ١١٦].

وقصة موسي عليه السلام مع السحرة دلاله على ذلك ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾ [طه: ٦٦].

فوجد أن العين هي التي تسحر والقدرة السحرية تؤثر فى كل الألوان ما عدا اللون الأزرق.

لقول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر**»[٢] (رواه البخاري)

فاكل التمر يولد هاله «زرقاء» اللون حول جسم الإنسان فتشكل درعًا واقيًا وحاجزًا مانعًا للعديد من الامواج الكهرومغناطيسية اللامرئية من الشياطين والجن، والعين الحاسدة، وهم بذلك لا يستطيعون أختراق هذا الحاجز الذى ولدته الطاقة المنبثقة من العناصر الموجودة فى التمر وخاصة عنصر الفسفور الغني بالاكترونيات والتي تزيل الشحنات الموجبة التي يحبها الجن ومظهرها الأثارة والتهيج لدي الإنسان ومن المعروف أن مركبات

(١) من مجلة (tilppahty) الطبية - البريطانية.
(٢) فتح الباري -١٥/٢٣٩.

هذه العناصر إشعاعات تلقائية فوسفورية تدعم الطيف وتمنع أختراق الجن لهذا الحاجز الطيفي فى حين أنهم قادرون على إختراق كافة الاطياف والتعامل معها، بقي السؤال الاهم وهو فى مشارف نهاية هذا اللون السحري «الجميل».

لقد أطلق علماء النفس والفنانون «الرسامون» والمبدعون والملهمون على اللون «الأزرق» بالسحر مجازًا وذلك لروعة لون السماء والبحار والأنهر والجداول والبحيرات.

«إبداع الأصفر»

تبدت فقلت الشـمس عند طلوعها
بجيـد نقي اللـون من أثـر الورس
فلما كررت الطرف قلت لصاحبي
على مرية: ما هاهنا مطلع الشمس
(سلم الخاسر)

الأصفر

قال تعالى ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٩].

قال ابن عباس: (صفراء فاقع لونها): أي شديدة الصفرة وقال قتادة الجملة الوصفية (تسر الناظرين) يبين دلالة هذا اللون المبهج في الطبيعة فتسر الناظرين أي تعجب وتفرح لرؤيتها بحسنها.

أما تفسير إبن كثير: ففي الأية هذه أن البقرة موصوفة باللون الأصفر تحديدًا لما هي لونها والدلالة على جمال هذا اللون وتأثيره النفسي على الإنسان.

بل هو اللون الذى صرح به الله تعالي بانه أشد الألوان بهجة ومسره لانه جذاب ومنير للغاية، مفرح وهو ما يمثل الإشراق والتوهج والضوء كالشمس و إنارتها للكون.

بل يعد أكثر الألوان نورانيه و إضاءه وجاذبية.

أما الضوء فهو مصدر الحياة على الكون من خلال الشمس.

التي تهب الحرارة والنشاط والطاقة والقوة والحيوية والصحة والبهجة فما أجملها من «شمس» وما أروعها من حياة تغذيها وتنتعش بها الأرض بلون إبداعي «أخاذ».

فالأبحاث العديده والدراسات الكبيرة ومن خلال أهم الأعمال تبين العلماء أمثال (توماس يونغ) و(هيرمان فون) أن اللون الأصفر هو لون له قوة انعكاس عظيمة وينتج من عدد لا نهاية له من الدرجات اللونية والضلال اذًا فهو أول لون اساسي يأتي الأحمر ثانيًا.. فالأزرق ثالثًا!!

وعلماء النفس يعتبرون هذا اللون هو (لون الحكمة)!! وصاحبه شخصية مثالية..

متفاءل.. حكيم.. مبدع، فعلميًا تبين أن طول الموجه اللونية للون الأصفر يبقي فى حالة من اليقظة لدي الإنسان وصفاء ذهني كامل، كما أنه يقوي الجهاز العصبي عمومًا وبناء الطاقة العضلية وتنشيط عمل الغدد اللمفاوية وتنقية القنوات الهضمية وتحفيز نشاط البنكرياس والمرارة، والأصفر في اليابان أحتكره الأباطرة كونه لون الذهب وشروق الشمس وبريق النار ولانه يمنح البهجة والسرور تستعمله شركات الالعاب بكثرة فى العاب الأطفال، وكان هذا اللون عند ملوك الصين يرمز للفخامة ويعتبره الشعب الصيني «اللون الملكي» لدرجة أن الأقلام الرصاصية التي يكتبون بها يصبغونها باللون الأصفر ليربطوا الفكرة بجودة الرصاص والصورة الملكية المنتشرة عن اللون وذلك قبل قرنيين من الزمان وربما كانت الفخامة والفكرة هي السمة البارزة فى شتى العلوم والمعرفة السائدة لدى الصينيون المرتبطة باللون الأصفر فأعطوا هذه الدلالة الفكرية «العلمية» فى كناياتهم وأوصافهم مثل البحار والأنهار.. والمدن وغيرها.

فنلاحظ التركيز للمواقع الجغرافية فى الصين كالبحر الأصفر، والنهر الأصفر.

إذ ان «البحر الأصفر» الذى يقع بين الاراضى الصينية شرقًا وشبه الجزيرة الكورية وهو بدوره يكون جزءًا من المحيط الهادي وياتي اسمه من «حبيبيات الرمال» التي تلونها مياهه والتي تحملها مياه «النهر الأصفر» (هوانغ هي).

أما الابحاث العلمية التي تؤكد أن اللون الأصفر يتوافق مع العلم والدقة فهو يساهم فى عملية التركيز وتبني الافكار الجديدة.

لماذا نرى الشمس صفراء اللون؟!

إن الاشعه التي تنبعث من الشمس وتوهج الضوء الأصفر الصادر منها على الأرض إنما هي نتاج انعكاس قوي وأعلى تردد للجزيئات الحرارية الفعالة الناتجة عن الانماج النووي لذلك نراها صفراء اللون.

يقول عنتر بن شداد:

شمس إذا طلعت سجدت جلالة لجمالها وجـلا الظـلام طلوعها

ويقول خليل جبران:

كالشـمس ما ابت اتت بمجدد   متنـوع مـن زينـة وضيـاء

والأجمل ما قاله المتنبي:

إذا طلعت شـمس النهـار فإنها   أمـارة تسـليمي عليك فسـلمي

أتخذ قدماء المصريين الأصفر رمزًا لإله «الشمس» ويدعى (رع) ولعصور طويلة وأماكن عديدة بمصر، وكان قرص الشمس (رع) مقر الرئيس هليو بوليس حيث يرأس «التاسوع العظيم» اتوم و رع بمعني سيدي وهو القوي وخلاله جاء بناء الاهرام التي كانت اصلًا من الآثار الشمسية.

تقول الاسطورة ان رع كان فى صراع دائم مع الظلام وهي الحرب التي دارت ما بين الشمس والظلام ويمثل الصورة الوحشية لهيئة وجه قبيح ومخيف على شكل ثعبان ضخم ويقال ان الشمس (رع) حاربت «أبيب» الثعبان وشياطينه طول الليل فى رحلتها من الشرق إلى الغرب ثم خرجت منتصرة فى الصباح وقضت على هذا العدو.

وفى الحقيقة أن الملك الفرعوني «أخناتون» الذى احدث ثورة هائلة على عباده الأوثان وكل التماثيل والخزعبلات وأهمها الأله (امون) وبذلك نجد هذا الملك الفرعوني الوحيد منذ امد بعيد بمصر حارب الوثنية وأمن بالله وبالتوحيد وكان يعرف بان القوة الكامنة هي ما وراء «الشمس» أتون (الرب) إله الشمس وكل شي فى الكون.

بل كان هذا الملك مصرًا على عباده الله وحده وإيمانه وحبه لدينه الجديد المخالف لدين ابائه وأجداده.

إذا فالاهتمام الطاغي لهذه الحضارة الفرعونية آنذاك كان متعلقًا «بالشمس» وأسرارها العظيمه وعجائبها على الكون دفعهم فضولهم إلى رحلة طويلة مليئة بالاحداث وهي معرفة من اين تبدأ اشراقات هذا النجم العملاق كل يوم وغروبها إلى اين ينتهي؟!.

إذا إنها رحلة معرفية مثيرة " لمطلع الشمس من اين " ومن اين نهاية غروبها؟!

مطلع الشمس

هي نقطة البداية لهذه الأرض ومن خلالها تطل باشراقها فى اول مكان على الكرة الأرضية وهي جزر «كيريبائى» فتطلع الشمس بطلتها الرائعه كأنها «فتاة حسناء» طلت من خدرها وفى صباح كل يوم جديد تكون اول من استقبلت «الشمس» هذه الجزر التي تقع على خط الاستواء فى اقصى شرق المحيط الهادي ويتساوي خلالها النهار مع الليل مناصفة باثني عشرة ساعه لكل منهما على مدار العالم «ومدى الحياة» حتى ياذن لها الله يومًا بالخروج من المغرب وهي إحدى العلامات الكبري ليوم القيامة.

(مطلع الشمس على الأرض) هو التطابق للوصف القراني لجغرافية وطبوغرافية هذا الموقع لجزر المحيط وهي فى حالة منبسطة تمامًا وخالية من الجبال والتلال والبراكين التي تمنع رؤية الشمس وحجبها والأرض مسطحة تمامًا وتحيط بها مياه المحيط من كل الاتجاهات، أنه الموقع الذى ميزه الله تعالي على الكره الأرضية.

قال تعالي: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾ [الكهف: ٩٠].

وهي الرحلة التي خاضها (ذي القرنين) اخناتون لمطلع الشمس[١] ومغرب الشمس.

يقول المتنبي:

كالشمس فى كبد السماء وضوؤها … يغشى البلاد مشارقًا ومغاربًا

مغرب الشمس

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ [الكهف: ٨٦].

(عين حمئة)[٢]: مكان العين الحمئة التي وجدها ذى القرنين (أختاتون) وزجته نفرتيتي

(١) انظر كتاب فك أسرار ذي القرنين يأجوج ومأجوج، تأليف: حمدي بن حمزة أبو زيد، ص١٧٥-١٨٨.
(٢) العين الحمئة - نفس المصدر الأول، ص٥٨.

وهي جزر المالديف فى المحيط الهندي الواقعة على خط الاستواء وتشكل هذه الجزر حلقات حلزونية التى تجعلها اشبه ببرك المياه الحامية، وقد نشأت عن طريق البراكين التي ثارت فى قلب المحيط مكونة مجموعة من الجزر وذلك عام ١٣٥٠ ق.م[١] وهي الفترة التي ظهر بها ذى القرنين اخناتون الملك الفرعوني لرحلته هناك مما جعله يرى الشمس تغرب فى اعماقها وهي موجودة فى الجهه الغربية من (كيريباتي) وتفصلها مسافة ١٦٠٠ كلم ومن الطبيعي أن يصل ذى القرنين إليها أولًا بحكم قدومه من الجهه الغربية من (مصر).

يقول معروف الرصافي فى لحظات الغروب:

نزلت تجر إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقًا مبتولا
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فابدت صفرة وذبول

أما الخنساء بمرثيتها لأخيها صخر لما بكته بدموع قلبها لفقده فتقول:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمسي
ولو لا كثرة الباكين حولي على أخوانهم لقتلت نفسي

جريان الشمس

يقول تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس :٣٨].

فالشمس تجري باتجاه معين ومسار محدد عبر الفضاء بسرعه كبيرة وتتجه نحو كوكبة هرقل (الجاثي) بسرعة (٢٠ كلم / ث) مصطحبه معها كواكبها التسعه من المنظومة الشمسية وهي داخل مجرة درب التبانه، وسرعتها مع هذه المجموعة حول مركز المجرة تساوي (٢٥٠ كم ث) تقريبًا وهي سرعة فائقة تكاد لا تصدق ومع ذلك تحتاج المنظومة الشمسية إلى نحو (٢٥٠ مليون سنة) لاتمام دورة واحدة فقط[٢].

---

(١) انظر كتاب فك أسرار ذي الفريين يأجوج ومأجوج للمؤلف حمدي أبو زيد، ص٥٥.
(٢) انظر كتاب روائع الأعجاز العلمي في القرآن الكريم لهيثم هلال، ص٩٥.

أما (المستقرة) وهي كما يقول العلم جريان الشمس بإتجاه نقطة محددة كما سماها الله بالقران الكريم: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩].

وهنا يتحدث عنه العلماء اليوم لماسوف يكون بنهاية جريان الشمس والقمر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بالشمس فى العديد من المواضيع.

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الضحي: ١].

وقال ايضًا جل جلاله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوين: ١] وهذا لعظم الشمس ودورها الرئيسي للكون والأرض خاصة)

إشراقة شمس الخامس والعشرين من كانون الأول

كان معظم الرومان الوثنيين يحتفلون فى الخامس والعشرين من كانون الأول بعيد ميلاد «ميثراس» آلهة الشمس الذى لا يقهر يرجع عبر ميثراس فى اصلة إلى بلاد فارس، إلا أنه اتخذ جذورًا عند الرومان فى القرن الاول قبل الميلاد فانتشرت عبادة الشمس فى معظم اصقاع الأرض فى عام ٢٧٤ ميلادية مما حد بالإمبراطور «اورليان» إلى أعلانه دينيًا رسميًا للإمبراطورية اليونانية[١].

شعر المسيحيون فى القرن الرابع الميلادي أن هذه الديانه الوثنية قد تصبح خطرًا على استمرارية وانتشار المسيحية فوقفوا امام الوثنيين وجهًا لوجه ولم يكن أي من الطرفين يعرف أي منهما سينتصر .

يعرف عن النبلاء والعامة الرومان أنهم كانوا يستمتعون باحتفالات طويلة الامد، ترجع بدايتها إلى عام ٧٥٣ ق . م عندما بني الملك «رمولوس» مدينة روما على تلة بالاتين.

نذكر من تلك الاحتفالات عيد «ميثراس» الذى يحتفل به فى نفس اليوم الذى يحتفل

(١) انظر كتاب قصة العادات والتقالي دلتشارلز باناتي، ص٥٩.

فيه بعيد «ساترن» آله الزراعة حدا ذلك بالمسيحية فوقع الاختيار على يوم ميلاد المسيح ثم إعلان يوم ٢٥ كانون الاول يوم السيد المسيح لدحض عبادة الشمس الذي ما يزال يحتفلون به إلى يومنا هذا.

ورد على لسان على أحد علماء اللاهوت المجهولين عام ٣٢٠م نحن نعتبر هذا اليوم مقدسًا، ليس ليعتبره الوثنيون ميلادًا للشمس بل ميلاد من خلق الشمس ذاتها، بقي علماء الاجتماع بعدة قرون يكتبون عن الآثار النفسية للاحتفالات الجماعية فى توحيد الطبقات وتقوية الروح الاجتماعية وتجسيد الاهداف المشتركة.

استمر الاحتفال بعيد الميلاد على نحو منتظم ودائم منذ عام ٣٣٧م العام الذى تنتصر فيه الامبراطور «قسطنطين» الذى أعلن وحدة الكنيسة والإمبراطورية الرومانية . وهكذا صادر الدين المسيحي دين الامبراطورية الرسمي لأول مرة فى التاريخ، وقام رئيس اساقفة روما «ليبروس» فى عام ٣٥٤م بتأكيد اهمية الاحتفال بعيد الميلاد إلى جانب الاحتفال بموته.

تعامد قرص الشمس والأهرامات والسنابل الصفراء

إن تعامد أشعة الشمس على وجه تمثال الملك (رمسيس الثاني فى ظاهرة تتكرر مرتين كل عام «فى يوم ٢٢ فبراير، و ٢٢ أكتوبر هو يوم ميلاده والآخر يوم توليه العرش، إنما هي عبقرية الفراعنة الهندسية المعمارية والزراعية لتحديد رمي البذور وحصاد الموسم، السنابل، القمح»).

كما أكد الدكتور/ مسلم شلتوت أستاذ الابحاث فى علم الفلك أن حركة الشمس لتحديد بدء الموسم الزراعي للقمح وتخطيه هو تناسب مع يوم سقوط الضوء على وجه رمسيس الثاني وفيها بعد وجه الإله (رع) وتغطي الإضاءة اجزاء كبيرة من تمثال الإله أمون.

وهي لا تتعلق بيوم ميلاد رمسيس الثاني وتوليه العرش و إنما هذه العلاقة هي خاصية بالزرعة.

وأكد الدكتور أن الفراعنة أعتمدو بشكل كبير على علم الفلك المتمثل فى الرصد والمراقبة والحساب مشيرًا إلى أن العالم «فيثاغورث» أستنبط نظريته من الأهرامات المصرية!!.

وأن الهرم الأكبر ما زال يحير العلماء فى دقة اتجاهاته كما ان الشمس تدخل معبد الكرنك ومعبد قارون ومعبد الدير البحري فى ٢١ من ديسمبر كل عام وهو ميلاد الاله (رع) عند الفراعنة القدماء..

السنابل الصفراء

القمح غذاء الشعوب الاول هذه الحبوب الصفراء يقال لها الحنطة وهي من الفصيلة النجلية مركبة على شكل سنابل وهي أحد اهم مصادر الحياة لدى البشر على كافة الازمنة فتصنع من هذه الحبوب الخبز والمعجنات مثل صناعة الفطائر، المكرونة .. وغيرها.

ولكونها أهم المحاصيل فهي ثروة غذائية كانت سببًا فى بقاء أمم وشعوب ونجاة الإنسان من هلاك وقحط من شح الماء والامطار، والمحاصيل من القمح تلعب دورها بشكل مباشر فى سد استهلاك كافة الشعوب لضرورتها كغذاء مهم.

وقصة يوسف عليه السلام أكبر دليل بذلك وتفسيره لرؤية الملك لسبع سنابل خضر واخرى يابسات ونجاة اهل مصر ومن حولها من أقطار.

وخلال الثورة الفرنسية التي اندلعت في منتصف عام ١٧٨٩م تظاهر الآلاف امام قصر الملك مطالبين «بالخبز» فقالت الملكة (ماري انطوانيت) لحراسها ماذا يفعل هؤلاء فقال الحرس أنهم الشعب يردون الخبز يا سيدتي!!

فقالت «لياكلو الكعك إذًا».

هذه السخافة بحق الشعب وقعت فيه رئيسة الوزراء البريطانيا السابقة «مارغيت تاتشر» ولكن هذه الاخيرة كان ردها ساذجا بشكل أكبر.

حينما سئلت (لماذا لا تساهم حكومتك فى انقاذ الجياع فى الصومال من خلال فائض القمح البريطاني)!!.

فاجابت سمعت أنهم يفضلون الحنطة هناك؟!

ماهو السبب الذى يجعل النباتات والزروع تتغير للون الأصفر؟! قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزمر: ٢١].

فى بدء حياة النباتات والزروع المختلفة تطفئ الأصباغ الخضراء على لونها وذلك بسبب حاجة النبات إليها فى عملية التمثيل الضوئى التى يبني غذاه بواسطتها وتتوقف قدرته على إنتاج الاصباغ الخضراء وما تبقي منها يبدأ بالتحليل والتحول إلى عدد من المركبات الكيميائية التى تفتقر إلى الخضرة ومن هنا تظهر الاصباغ الصفراء الاصباغ الكاروتينية).

أما الثمار ذات الألوان الصفراء المؤثرة بدرجة عاليه فى الحد من التوتر والفعال المصابين بالكآبة واللون الأصفر للفواكه الصفراء مرتبطان معًا لحالات عديدة مشابها بنفس الخصائص وهذا كما تبين للباحثين أنه ينشط الدماغ وخلاياه أما الأثر النفسي فإنه يزيد من السرور والبهجة لدي الإنسان مثل الليمون والاناناس والمانجو والموز.

طعام الحكماء والفلاسفة

أثبتت الدراسات الجديدة بان الموز يحسن كثيرًا من أداء الإنسان وذلك خلال تناول كمية منه لما يحتويه على (ترايبتوفان) وهو نوع من البروتين الذى يحول جسم الإنسان إلى سيروتينوم الذى يمنح الراحة والاسترخاء .. والموز غني بفيتامين B الذى يساعد على تهدئة النظام العصبي كان العرب يطلقون عليه اسم «الطلح».

لقوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩].

وقد فسره المفسرون بأنه من فواكه أهل الجنة (أهل اليمين) وعرف قديمًا بانه طعام الحكماء مثل ارسطو، والفلاسفة إذ ان علماء الهند وفلاسفتهم يعتمدونه فى غذائهم، وفى وثيقة يرجع تاريخها إلى ٣٠٣ ق ب وجد كلام عن ثمرة ذهبية ومنافعها الغذائية وخصائصها

كما اثني العالم النباتي «بلين» ٩٧ ق.م[1] على الموز وذكر أنه طعام مألوف لدي الهندوس حيث كانوا يستظلون بأوراقه الكبار و يتخذون من ثمره الحلو غذاءً لهم الذى يساعدهم على التامل فى أسرار الكون.

ويحوي الموز على نسبة كبيرة من فيتامين (ث) المجهول الأوصاف لدى الاطباء، وهو ملئ بفيتامين (أ) والغني بالكالسيوم والنحاس والحديد والبوتسايوم، المفيد للأعصاب وفقر الدم والتشنج والامعاء مزيل للاجهاد والتعب .

ملكة الفواكه

الثمرة الحلوة الصفراء الممتلئة بالالياف والعصارة أشتهرت بلقب " ملكة الفواكه " كما اشتهرت زراعتها فى شبه القاره الهندية وقد ولع الهنود بها لحد يفوق الوصف، تعود القصة إلى آلاف السنين، وذلك منذ قدوم (بوذا) للأرض الهندية ليهب له الشعب بستانًا من أشجار المانجو للاستراحة تحت ظلالها.

ظلت المانجو تزرع فى شمال شرق اسيا وميانمار وبنغلاديش لأكثر من ٤٠٠٠ سنة حتى انتقلت فى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبًا إلى ماليزيا وشرق اسيا من قبل الرهبان البوذيون وفى سجلات «هيون تسانغ» وجد أن الحاج البوذى الصيني الذى زار الهند إبان عهد هارشفاردهن فى القرن السادس قبل الميلاد زرع المانجو بعناية بأرض الهند وانطلقت عبر التجار الفارس إلى الشرق الأوسط وأفريقيا.

أما البحارة البرتقاليون حين وصولهم لبلاد الهند أخذو (شتلات) المانجو وتمت زراعتها بالاراضى البرتقالية وانتشرت لاحقًا فى القرن الخامس عشر في البرازيل بفضلهم البحارة وأخذت تزرع فى امريكا اللاتينية حتي وصل مزارعو المانجو إلى فلوريدا فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر ثم بعدها لولاية كاليفورنيا، حتى وضعت رحاها فى القارة الاسترالية فى اواخر القرن التاسع عشر.

---

(١) انظر كتاب روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لهيثم هلال، ص٢٥٩.

العودة للهند مع المانجو فهي ليست علاقة فاكهه أو طعام بل هي علاقة قوية بالفن الهندي والادب الكلاسيكي والدين فقد تم توثيق «المانجو» فى لوحات ومنحوتات تعود إلى ٤٠٠٠ عام[١] مضى وهي أُسطورة من أساطير الهندوس باعتبارها مصدر تبجيل وتوقير، وهي جزء من الفولكلور البوذى ظهرت فى روايات الجاتاكا «للبوذا» الذي كان يقضي بين اشجار المانجو للتأمل والتفكير، وأن حظيته «إمرا بالي» التي اصبحت من اتباعه قدمت له هذه الفاكهه لحظة دخولها عليه " فالمانجو عند الهنود هي رمز الحب والخصوبة وتعرف آلهة «معبد إكامباريسوارا» الهندوسي بلقب «أميرة شجرة المانجو».

إن مفهوم الجنة فى الديانات الهندية القديمة مثل مفهوم الجنة فى الإسلام لاحقًا فكرة الحدائق المثالية كانت مليئة بأشجار الفاكهة والأزهار ذات الرائحة العطرة والمياه كذلك من المرجح لديهم أنها تضم بساتين مانجو لتوفير الظل والفاكهه لدرجة ان الرسوم المأخوذة من المانجو من التصميمات الشاسعة جدًا التي يتبناها الحرفيون والناسخون بمختلف أنحاء الهند وذلك من خلال الرسوم والنقوشات فى الجواهر والملابس المطرزة، ونقوش الحناء التي تزين على أيدي الفتيات، وطور قساوسة «غوا» الكثير من الأشكال الجديدة للمانجو فقد عرفوا بانهم أول من زرع مانجو «الألفونسو» أحد أغلى انواع المانجو التي نستمتع بها اليوم.

كما ولع المسلمون الذين أتو من فارس بهذه الثمرة وقاموا بزراعتها في البساتين وكرسوا وقتهم واهتماماتهم لهذه الشجرة الجنة على الأرض فظلالها بمثابة تحدي مع حرارة الصيف القائظة، وفى شبه القارة الهندية كان الملوك والنبلاء بساتين من المانجو الخاصة بهم فهي مصدر فخر واعتزاز، وفى حكم الاباطرة الماغول للهند قاموا بزراعتها بشكل واسع حيث وضع الامبراطور المغولي «أكبر العظيم» المانجو على الخريطة فى القرن السادس عشر من خلال أول زراعة على نطاق واسع لمائة الف شجرة فى ولاية بهار شرق الهند، وينسب له امتلاك ثمار مانجو ممتازة تحت زراعتها وراثيًا فى بستان يعرف «لاخ بخش» شمال اغرا.

بهرة المانجو شعراء الهند والفرس و البراعم المانجو جمال فريد ورائحة زكية، وهي

(١) مقال مطول عن الفاكهة المانجو بجريدة الشرق الأوسط الصادرة في ٦ أكتوبر ٢٠١٢ (بتصرف).

التي تبشر بمواسم الربيع حتى أن من أسماء المانجو الاخرى «مادو دوتا» أي رسول الربيع، وكان شاعر الاوردو الشهير ميرزا غالب من الخبراء فى المانجو ويعرف عنه أنه تذوق ٤ الاف نوع من المانجو.

ويحكى أن حمارًا كان يدور حول شجرة مانجو ذات مرة بينما يشم رائحة الثمار التي سقطت على الأرض ولكن لم ياكل ايا منها وعندما سمع الشاعر «ميرزا» ذلك رد قائلًا «الحمير فقط هى التى لا تأكل المانجو». والشاعر الفارسي امير خسرو له أشعار جميلة بالمانجو وأطلق عليها «فخر الجلسان».

فاكهة المانجو لها فوائد صحية كبيرة حيث تعتبر مهدئة للجهاز الهضمي لاحتوائها على إنزيم يريح المعدة، واوضحت دراسة بيانة أن المانجو يقي من سرطان القولون والثدي والدم والبروستاتا، وتشير عدة دراسات إلى أن من مكونات المانجو مادة البوليفينول المضادة للاكسدة التى تعرف بفائدتها فى الوقاية من سرطان الثدي والقولون وهي مصدرًا لفيتامين (A) فتامين الجمال والغني بالبوتاسيوم المهم للسؤال بجسم الإنسان.

الليمون والبحارة

اليمون ملك الحمضيات الغني جدًا بفيتاميتين C وهو المضاد الفعال للعديد من الامراض الخطيرة وأشهرها مرض (الاسقربوط) الذى يصيب البحارة بالضعف والهزل وتودي لحتفهم وذلك لطول الايام التي يقضونها فى المحيطات والبحار وهو النقص الكبير والحاد فى فيتامين C والأحماض المركبة..

ذهل البحار الشهير فاسكو دي جاما حينما فقد في رحلته الاستكشافيه أن أكثر رجاله الذين كانوا معه قد ألقي حتفهم بعد أن أصابهم هذا المرض، وفى عام ١٥٦٣م كان الرحالة «البرت» أول من وصف عصير الليمون للبحارة الذين كانوا يعانون ألم «الاسقربوط» ومنذ عام ١٧٠٤م اصبح من ضمن القوانين الاساسية للاسطول البريطاني لأمداد البحاره من عصير الليمون يوميًا لتحاشي هذا المرض.

رغوة الليمون وصناعة الشامبو:

فى المانيا وبمنتصف عام ١٨٩٠م تمت صناعة الشامبو الذى انتشر فى كافة اوربا ومن ثم الهند، وخلالها اطلق عليه البريطانيون فى فترة حكمهم للهند shampoo وهي كلمة هندية مشتقة من تشامبو أى التدليك وموادها خليط من عصير الليمون والماء، وفى الاصل أن قدماء المصريين كانوا قد استعملوا لتنظيف فروة راسهم بتلك التركيبة نظرًا لقدرة الليمون على إزالة المواد الدهنية(١).

المرآة والكمثرى

توصف النساء بالكمثرى، نظرًا لهرمون الاستروجين الذي يتركز فى منطقة الارداف والافخاذ عند المراة وتزداد هذه الماده والدهون بعد الولادة والاصابة بالسمنة المفرطة والعجيب أن أكل فاكهة الكمثرى من أهم الاسباب المساعدة فى أنقاص الوزن ومعالج فعال لامراض الأمعاء حيث أن كمية منه تبقي وقتًا طويلًا فى الامعاء وهو ما يشعر الإنسان بالامتلاء !!

هذه الثمرة الصفراء تزرع بذورها فى مناطق البحر المتوسط محل موطنها الاصلى مع مناطق القوقاز..

التفاح الأصفر

مهم لمرضى القلب ويقلل احتمالية الاصابة بالجلطات ويحافظ على صحة العينين ويحافظ على قوة الجهاز المناعي ويمنع من حدوث بعض انواع السرطانات وكذلك يساهم فى ازالة النفايات المضرة بالكبد وفى دراسة امريكية من علماء جامعة «جورجيا» أثبتوا أن مادة البكتين تساهم بالحد من تطور بعض السرطانات بل ان هذه المادة فى التفاح تقضى على الجزئيات الخبيثة «المعقدة» ويجعلها تنتحر لتموت، وبذلك تتم المعالجة.

(١) انظر كتاب قصة العادات والتقاليد لتشارلز باناتي، ص٢٣١.

قال أبو تمام:

وصفـراء أحداقنـا بهـا حدائـقٍ   تجـود مـن الأثمـار بالثعـدِ والمعـدِ
بقاعيـةٍ تجـري علينـا كوؤسـها   فتبدي الذى نخفي وتخفي الذى نبدي

الاعشاب الصفراء

تطلق العرب قديمًا على الأصفر (الزعفران والورس) وهما يدخلان ضمن الاعشاب فالزعفران يؤخذ من الزهور، ليجفف فيصبح عشب أصفر ذهبي داكن اللون وهو اغلى الاعشاب على الاطلاق لفوائده الكثيرة كما يسمى أيضا «بالذهب الأصفر» ويحتوى الزعفران على أصبغة كاروتينية (الكروسين) الذى يستخدم كصبغ للحرير وملون للطعام يستعمل بكثرة فى بلاد فارس ودول الخليج وتحديدًا في السعودية يستعملونه فى بعض الادوية الطبية الشعبية ويوضع منه فى القهوة العربية للطعم والنكهه) وفي الشام تضعه النساء كصبغ تجميلي للبشرة وينتشر بشكل واسع فى إيران.

الزعفران هو تراب أو «عشب الجنة»:

يقول البحتري:

فيا حسنها إذا هب من سنة الكرى   صريـح يحيـك الزعفـران رميـل

أما الوليد بن يزيد بن عبدالملك فيقول:

وصفـراء فى الـكاس كالزعفـران   سـباها التجيـين مـن عسـقلان

ويقول الباذني بالزعفران:

كأن صبايـا الزعفـران إذا بـدت   نصـال سـهامٍ افـردت لا تركـب

ولابن المعتز بيت جميل يقول فيه:

وكان نرجسـه عيـون كحلـت   بالزعفـران جفونهـا الكافـور

أما «الورس» فهو نبت مزهر أصفر اللون عرف فى الجزيرة العربية والأندلس والمغرب، يستخدم فى تجميل البشرة ونظارتها لدي النساء والعروس قبل زفافها بايام تخلطه بماء الورد والزيوت العطرة فتخضب العروس جسدها وكذلك تستعمله النفساء . وعن ام سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كانت النفساء تقعد على عهد رسول الله ﷺ أربعين يومًا كانت إحدانا تطلي الورس على وجهها من الكلف.

«الكركم» هو نبات استوائى ينتشر فى الهند واندونسيا يعرف علميًا باسم " كركوماالونجا" ومن هذا المسحوق تحضر خلطاته منذ امد بعيد فى بلاد الشرق كاشهر التوابل ويعطي الطعام النكهه والرائحة المميزة والكركم هو العلاج الفعال فى الام الروماتويد فى المفاصل وتخفيف الام الطمث المصاحبة للدورة الشهرية لدى السيدات كما أنه قاتل المكروبات المعوية «مضاد قوي للأكسدة والفيروسات وللالتهابات وللسرطان وعلاج مرضى إلتهاب الكبد الوبائى».

الزهور الصفراء رائعة من روائع الطبيعة

هناك العديد من الزهور الصفراء التى لها سمات وخصائص «وطبائع» غاية فى الجمال مثل النيلوفر والنرجس وزهرة البابونج الجذابة وزهرة دوار الشمس.

النيلوفر «اللوتس» العطر:

هذه الزهره المذهلة كما يصفها أحد الفلاسفة بان تمثيلها منمنًا كجزء من الكل تتضمن هذه الزهور جميع قوى العالم الكبرى (الكون) فى العالم الصغرى (الإنسان) لأن بذور النيلوفر (اللوتس) حتى قبل أن تتبرعم تحتوي أوراقًا مكتملة التشكيل شكل مصغر لما ستكون عليه النباتات ولكونها تمثل جميع قوي الطبيعة تعيش زهرة النيلوفر فى العناصر الاربعة، جذورها فى الأرض، ساقها فى الماء، زهراتها فى الهواء ونور الشمس، اى انها فى التراب والماء والهواء والنار.

تنفرد اوراق النيلوفر فوق سطح المياه العذبة وتطفو بشكل جذاب مستريحة شاردة

وكأنه يمشق الاثير وحده ويفكر بزهو ويمرح مع الشمس ويلاعبها مبتهجًا وكأنما هو الوحيد معها «يحول وجهه إلى الشمس المشرقة».

ويزداد تفتحًا كلما علت الشمس وبرزت «فاذا غابت أخذ النيلوفز فى الانضمام حتى ينغلق على نفسه» ثم يغطس فى الماء ليقضي ليلته مرتاحًا فى أرجوحته الرطبة حتى إذا جاء الصباح طلع مجددًا مع شروق الشمس..

ويقال إن طائرًا لطيف يدخل فى زهر النيلوفر فى الماء فينضم الزهر عليه «ويغيب فى الماء ليلة فاذا اصبح طلع النبات وتفتح خرج منها الطائر»[1].

غرور النرجس:

يقول إبن سينا النرجس غذاء الروح، كما الخبز غذاء البدن ويقول جالينوس: إن النرجس راعي الدماغ والدماغ راعي القلب.

أما الملك كسرى فيقول: أني لأستحي أن أغازل من أحب بمجلس فيه النرجس.

ويقول البحتري:

غضي جفونك يا عيون النرجس كيما أفوز بقبلة من مؤنس
فلقد تحير إذا راك شواخصا ترمينه بلواحظ المتفرس

ومن الأقوال المأثورة: شموا النرجس لو مرة فإن القلب حبه من الخوف والجنون لا يقطعها الا شم النرجس.

والسؤال هنا لما وصفت زهرة النرجس بالغرور؟!

تقول الاسطورة اليونانية أن شابًا جميلًا اسمه «نارسيس» تعود أن يذهب كل يوم لينظر ويتمتع بحس صورته على صفحة مياه البحيرة وكان يستغرق فى تامل صورته بافتنان لدرجة أنه سقط ذات مرة فى البحيرة بعد أن هطلت الأمطار بغزارة فاصبح كل ما يحيط بالبحيرة وحل طيني لزج، فتعثر خلالها «نارسيس» وغرق!!

(١) كتاب الطيب والعطر في الشرق لنادية الغزيص، ١٣٤.

وفى المكان الذى سقط فيه ذلك الشاب نبتت زهرة نعرفها نحن باسم " النرجس" وعندما مات الشاب جاءت حوريات الغابات إلى ضفاف تلك البحيرة العذبة المياه فوجدوها قد تحولت إلى مياه مالحة من الدموع !!

ومن هنا ظهرت تسمية (النرجسية) دلالة على حب الذات والأعجاب بها.

يصف إبن زيدون النرجس:

أسقيط الطل فوق النرجس أم نسيم الروض تحت الحندس
يا جمال الموكب الغادى إذا سار فيه، يا بهاء المجلس

أزهار البابونج الجذابة:

أزهار أنيقة.. غاية في الجاذبية، أشكالها ملفتة جميلة، ألوانها صافية، وكانما هذه الزهور رشت بالماء «الندى» ففي الشام يعرف أن الربيع قد أقبل مع أقباله ومن خصائصه الطبية أن مسحوقه معالج فعال للالتهابات (الجلدية والقروح وجروح اللثه والفم، ومفيد للأمعاء، وتهدئة الأعصاب، ويلعب «الأرولين» المتواجد فى الزهره دورًا هامًا فى معالجة القروح المعدية، وزهر البايونج بعد تجفيفه ويغلى ويشرب كالشاي).

إبداع زهور دوار الشمس:

زهور صفراء مشعة كبيرة نضرة ذات رائحة عبقة تدور مع الشمس إينما دارت.

(في احدى سفرياتي لتركيا ونحن نعبرعن طريق البر من مدينة (أنطاكيا) إلى مدينة (مرسين) شدني المنظر الرهيب لزهور دوار الشمس المستديرة بمروج شاسعة وكأنها مئات الألاف من البشر جميعها تلتفت نحوي).

تستخدم بذور دوار الشمس فى الزيت وقد استعملها قديمًا الهنود الحمر كدقيق للخبز اما زيتها فيحتوي على احماض دهنية اساسية ومعظمها دهون غير مشبعة لهذا فهي مفيدة فى تخفيض الكولسترول بالدم وتحتوي على فيتامين E وفولات ومغنسيوم وزنك وحديد وفوسفور ونحاس، وسيلسينوم، ويعد محصول زهرة الشمس ثالث اهم زيت فى العالم.

أستخدمه الاطباء قديمًا كعلاج للملاريا ومنع تصلب الشرايين يستخدم من مساحيق هذه الزهور أنواع عديدة فى المجالات الطبية الحديثة العامة كتنشيط الدورة الدموية والقدرة على الانجاب وعلاج كمرهم للجلد، وبذوره مفيده لدر البول والمغلي من جذوره لطرد الديدان فى المعدة.

والزهور المذكوره أنفًا «خلاصة عصارية» لذيذة ومشروبات تسمي بالزهورات مفيدة للغاية وخاصته للمعدة مهدء للأعصاب ذات رائحة عطرية زكية.

الرسام الشهير فان جوخ والزهور الصفراء

من أبداع الزهور إلى المبدع «فان جوخ» الهولندي أشهر فناني القرن التاسع عشر على الأطلاق.

فقد يبعث بعد وفاته أشهر اللوحات التي رسمها وهي زهور دوار الشمس «الصفراء» السبع التى لامست النصف مليار دولار ومن المفارقات العجيبة أن (جوخ) حينما رسم هذه اللوحات الجميلة، لم يملك المال لشراء الزهور الصفراء بسبب ذبولها السريع، وفى اللوحة الاخيرة أستطاع رسمها من الذاكرة؟! فبعد موت (جوخ) بـ ١١٠ سنوات بيعت إحدي الواحات السبع ب ٨٢,٢ مليون دولار.

أما اللوحات الست الاخريات التي رسمها (جوخ) اشترت اربع منها متاحف فى لندن وميونخ وفيلادلفيا وامستردام واحتفظ ثري اوروبي غير معروف باللوحة الخامسة أما اللوحة السادسة فكانت فى مدينة بوكوهاما اليابانية ولكنها دمرت مع ما دمر من المباني اليابانية اثناء الحرب ورغبت شركة التامين في تعويض اللوحة الضائعة التى كانت باليابان، بهذه اللوحة الجديدة التي سجل ثمنها أكبر الارقام إرتفاعًا فى سوق اللوحات الفنية فى العالم على امتداد التاريخ[١].

إن الإبداعات المتتالية التى حققها (جوخ) مع الزهور الصفراء وبرغم معاناته النفسية والحالة المادية السيئة.

---

(١) انظر كتاب أشهر السرقات من المتاحف د. صبحي الشاروني، ص٦٦.

فخلال رسوماته كان (فان جوخ) يزمع أن يزين بأعلي لوحة فى العالم حجرة نوم زميله (جوجان) عندما زاره قبل شهور من انتحاره فقرًا وجنونًا . والطريف أنه كان يقدر ثمنًا لوحاته دولارًا أو دولارين لا أكثر؟!

الخيول الشقراء

«وأنت لو باكرت مشمولة صفراء كلون الفرس الاشقر» (ابن جني).

كانت العرب تطلق على الخيول الصفراء المائله للحمره بالأشقر، والجمع شقر وربما كان أكثرهم يتشاءم من الفرس أو الخيل الاشقر برغم من سرعته الفائقه، وهذا سبب مباشر لهذا التشاؤم إذ أن الخيل الاشقر بسبب سرعته المفرطة قد تؤدي فى الحرب إلى موته ممايعرض صاحبه للخطر، ويروى أن لقيط بن زراره كان فى (غزوة جبلة) على فرس اشقر فجعل يقول (أشقر أن تتقدم تنحر وإن تتأخر تعقر) فذهبت مثلًا فالأشقر إذا جري على سرعته المعهودة فى الحرب فهي أول الخيل التي تصل إلى العدو فينحر اى يقتل وان ابطأ وتقهقر منهزمًا اتوه من خلفه فعقروه.

وقد قال الفرزدق فى معنى المثل:

وتضرب ساقاها إذا ماتولت ... وأصبح كالشقراء تنحر إن مضت

ولمالك بن الريب فى قصيدته التى رثي فيها نفسه ذكر لفرسه الاشقر ..

وأشقر خنذيذ يجر عنانها إلى ... الماء لم يترك له الدهر ساقيا

وهنا الشاعر يتحسر على ضياع فرسه الأشقر، بعد موت فارسه إذ لن يجد من يعتني بطعامه وشرابه كما كان يفعل صاحبه فى حياته.

وقد قيل فى المثل / أشقر رئى طائرًا صدقن وذلك لسرعته وقد رؤي أن الرسول ﷺ بعث سرية فكان أول من جاء يخبر النصر فارس الحصان الأشقر.

وروي أيضًا أنه قال ﷺ: **«عليكم بكل أشقر أغر محجل أو كميت أغر»**(١).

(١) رواه أبو داوود، ٢١٨٢.

وقال ﷺ: «**يمن الخيل في شقرها**»[(١)].

أى أن الخيل الشقراء تكون ميمونة / أي فيها خير وبركة .

يقول إبن المعتز:

حتى إذ بدأ فى ثوبه المعصفر ونجمه مثل السراج الأزهر

كأنه غرة مهره أشقر

كما أن العرب قديمًا تسمي الأصفر بعدة مسميات مثل العسجد والحصى والحنطة والرمل والذهب.

فالعسجد هو الذهب كما قال المتنبي:

قالت وقد رات أصفراري من به وتنهدت فاجبتها المتنهد
فمضت وقد صبغ الحياء بياضها لوني كما صبغ اللجين العسجد

تشكل النار

النمرود اول طاغية جبار على الأرض ابن كوش ابن حام ابن نوح وهو اول ملوك بابل بعد السريانيين وحكم طويلًا لمدة ٩٦ سنة، ويقال أنه بنى مدينة ينوي عاصمة أشور التي دمرت من قبل ملك بابل، بعث الله سبحانه إليه ابراهيم عليه السلام ليهديه، ولكن نمرود أبي واستكبر وجمع نار عظيمة لإحراق ابراهيم ولكن الله سبحانه وتعالى جعلها بردًا وسلامًا، وكانت بنو إسرائيل إذا قرب أحدهم قربانًا مخلصًا لله نزلت نار فتأكله، ومن لم تترك النار وبقي القربان على حالته دل على ان صاحبه مدخول النية وهذه النار هي التي اقترحوها على النبي ﷺ فحكى الله عنهم ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

(١) رواه أبو داوود، ٢١٨٣.

وأحد اسباب نبوة موسى عليه السلام لبني اسرائيل هي النار التي اظهرها الله له فى الوادي المقدس.

ويقال «نار على علم» للرجل المشهور، وإذا وصفوا شيئًا بالحسن قالوا: ماهو إلا نار.

وقالت هند[١] «كنت والله فى أيام شبابي، أحسن من النار الموقودة»!!

ويقال ليس فى العالم جسم صرف غير ممزوج، ومرسل غير مركب ومطلق القوى، غير محصور ولا مقصور، احسن من النار وقال قدامه فى وصف النار: شعاع مركوم ونسيم معقود[٢].

ويصف الشاعر الجريمي النار وكأنها خيول شقراء:

نار كهادي الشقراء نافرة　　　تركض من حولها أشافرها

ويقال «أوقدوا نيران الحرب» كناية عن العظم.

يقول الفرزدق:

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا　　　نارين أشرفتا على النيران

وبذكر اللهب والنار نورد الأسطورة الأغريقية المشهورة.. تقول أن أحد العمالقة ويدعي (بروميثوس) والذى عاش حياته يعطف على المساكين والفقراء ومن حبة الشديد للبشر قرر أن يهديهم أفضل أختراع عرفته البشرية، وأن يهب لهم «النار» والتى كانت حكرًا على سادة الاوليمب ويتمتعون بها دون غيرهم.

وتخبرنا الاسطورة أن (بروميثوس) سرق بعض من هذه النار المقدسة ليهديها البشر!!.

فعلم الملك (زبوس) بهذا فستشاط غاضبًا وأمر باحضار (بروميتوس) وقيده بالأغلال

(١) هند بنت الخس إمرأة عربية عاشت في الجاهلية ولم تدرك الأسلام. انظر كتاب محاظرات الأدباء الجزء الثاني، ص٢٧٧.

(٢) انظر كتاب الحيوان للجاحظ «النيران» الجزء الخامس، ص٥٢.

وعذبه، ومكث بروميتوس على هذا الحال لسنوات طويلة حتى جاء (هرقل) وفك قيوده وأطلقه!!

هذه النعمه التي سخرها الله تعالى لنا ووهبنا معها كل الطيبات والمعادن والنفائس والأدوات والدواب هي من أجل الحياة على وجه الأرض وسبب بقاء الامم والشعوب.

قال تعالي: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعه: ٧١-٧٢].

لون الحدا «الرمال الصفراء وسفينة الصحراء»

من حبيبات الرمال التي تتشكلت منها الكثبان ومساحات من الصحراء الشاسعة يبداء لون الحدا «الأصفر».

كانت الحياة البدوية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا ومنذ امد بعيد بطيات الصحراء، والتنقل من أجل «الكلأ» والربيع والحصول على المياه «فى حياة بسيطة» وتعتبر الإبل أهم وسائل التنقل فهي تتحمل المشاق عبر المسافات الطويلة «بقوافل» تحمل الامتعه «والبضائع التجارية» فى صور تشبه أحجار «الدومينو» أو «كعقد من اللؤلؤ» مرتبطة بشكل جميل فوق الرمال الذهبية.

يقول تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣].

(صفر) جمع الأصفر وهولون النار.

والعرب تصف الابل «سفينة الصحراء» وقد قارنها الله تعالى بالسفن قال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

فالأبل كما تقول العرب: إن حملت أثقلت وإن سارت أبعدت وإن حلبت أروت وإن نحرت أشبعت.

وفى الاقوال ايظًا «الإبل عز لاهلها».

رفقًا بالقوارير:

أحد المشاهد والدروس التي مرت علينا من روائع نبينا الحبيب المحب عليه أزكي الصلاة والسلام، حين عبور الأبل والهوادج وما عليها من «قوارير» وهن الصحابيات وكان يقود الأبل رجل صوته فى منتهي العذوبة والجمال إسمه «أنجشه» وكانت الابل أو الجمال تهتز طربًا لسماع صوته «فخاف النبي على النساء» وقال (يا أنجشه رفقًا بالقواير).

ترحال البدو ومتعة الاسفار ومشاقها فوق الرمال الصفراء وتوهج الشمس .. وحداء البدو للابل يصفها الشاعر نزار قباني فيقول:

كميس الهوادج شرقية ترش على الشمس حلو الحدا
كدندنة البدو فوق سرير من الرمل ينشق فيه الندا(١)

أما الأعشى فيتحسر على رحيل محبوبته ويبعث من يسألها لما هذا الرحيل عبر «الاحداج»(٢) فيقول:

إذا سارت الاحداج فوق نباته تفاح مسك الغانيات ورنده(٣)

الوحوش الصفراء

(التنين الأصفر)

ما بين الحقيقة والأسطورة .. أمور متشابها؟!

وهذا التشابه ربما ياخذنا إلى حقيقة تبدو فى بدء الامر غامضة!!

فالحضارات القديمة وتحديدًا فى أسيا الشرقية يزخر تراثها بقصص فيها الوحوش الأسطورية أشهرها (التنين الأصفر الصيني) الذي ينفث من فمه أو منخرية اللهب، وهو

(١) ميس: المرأة ذات القوام المتناسق، وهي المرأةا لتي تمشي بتبختر.
(٢) الهوادج: هو ركب النساء فوق الإبل. والحدا: غناء البدو للأبل.
(٣) الاحداج: أيظًا مراكب النساء فوق الأبل. وحدج: جعقله..

تجسيد تمثالي أو رمزًا معبرًا للقوة والإرادة كما يصفه الصينيون وأتخذه الأباطرة الذين يجلسون على عروش تمثل التنين وينامون على سرر بهيئته وينتقلون فى محفات بصورته، أما فى اليابان كان «التنين» تعويذة النصر للطبقة المحاربة ورمز القوة والبطش الكبير من الإقطاعيين والسؤال هل يكون لجسم أى حيوان القدرة على «توليد» الحرارة الفائقة وتكون لهبًا وبذلك تكون تفوقت على حرارة جسده بمراحل كبيرة؟!.

وهناك رموز تدعوا إلى فكها من أجل الوصول إلى حقيقة التنين ووجوده فعلًا، فقد تبين لعلماء الجيولوجيا بقايا حيوانات متحجرة تشبه التنين عاشت في أزمنة حديثة نسبيًا بحيث أتيح للأنسان مشاهدتها ففي أستراليا على سبيل المثال عاش حيوان زاحف يشبه التنين طوله خمسه أمتار لم ينقرض إلا منذ عشرين ألف سنة فقط[1]..

ادعاء الباحثين بأن التنين حقيقة وأنقرضت!!

أو إنها أسطورة من نهج الخيال زاد فى حبكها وتمليحها وجعلها ملفته بإن يخرج اللهب أو «النار» من فمه بشكل مهيب؟!

السباع المفترسه:

إذا كان التنين مجرد أسطوره قديمة لدينا، فشرق أسيا يعتبروه الحيوان الذي مر بحقبة تاريخية حقيقيه مهمه لسنوات طويلة فى كل من الإمبراطورية الصينية واليابانية بحد سواء ومن ثم انقرض هذا المخلوق بسبب عوامل المناخية، ونحن أخيرًا نفينا (الغول والعنقاء).

بل جعلها العرب من المستحيلات مع الخل الوفي؟!

وحتى اخواننا المصريين لم يقتنعوا بوجود «أبو الهول» كحقيقة وأنه أحد رموز الحضارة الفرعونية برغم أن علماء الآثار أثبتوا بالدلائل أنه لعب دورًا مهمًا فى هذه الحضارة من خلال ما وجدوه من كتابات ورسومات نقشت فى جدار الاهرامات «وعلامات ورموز» لأبو الهول بل أن هذا التمثال الكبير الذى وضع «لأبو الهول» أمام الهرامات إنما

(١) انظر كتاب حول العالم لفهد عامر الأحمدي ـ التنين حقية أم أسطورة، ص١٨٨.

هو «حارس» أو «حامي» لثروات وموميات الملوك الفراعنة والسلالة الحاكمة وأسرهم، هذا ما تصوره المصريون قديمًا لابو الهول؟!

هذا التمثال (وجه إنسان وجسد الأسد) لم يحمي نفسه حينما رماه «نابليون» بمدفع ناري حطم أنفه وشوه وجهه الجميل فى أحدى غزواته لمصر؟!

وهل خطر ببالنا، لماذا الأسود والنمور والفهود المطعمه باللون الأسود ألوانها صفراء؟!

مع إحتفاظنا بجزء أخر من الذئاب المفترسه ذات الألوان الرمادية أو البيضاء فالأسد الذى له النصيب الكبير من الاسماء المختلفة على تنوعها من أشكال واوصاف، فابو الحارث وزوجته (البوه) كانا لدى العرب جل اهتمامهم وخاصة الأسد الذكر من قوة وشجاعة وجسارة وأقدام بل هو الاسطورة والحقيقه فى نفس الوقت التي تزخر كتب التاريخ ومن بين القصص والروايات العربية ولا تخلو الحكايات إلا مع ذكر ملك الغاب بل أن الشعراء يصبون مديحهم للملوك من بحور الشعر بأسماء الأسد كالمغوار والغضنفر والليث وقسورة وحيدرة وضيغم. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١].

وقسورة كلمة حبشية الأصل معناها (الأسد).

يقول علي بن أبي طالب:

أنـا الذى سـمتني أمـي حيدرة　　　كليث غابات غليظ القصره[(١)]

اكيلكم بالسيف كيل السندره[(٢)]

ويقول أبو مسلم بن الوليد:

حذار من أسدٍ ضرغامهٍ شرسٍ　　　لا يولع السيف إلا هامة البطل

ويقول المتنبي:

وأبـدت غنـاء انينـة　　　وضيغم اولجها عرينه

---

(١) حيدرة: أحد أسماء الأسد. والقصره: أصل العنق.
(٢) السندره: اسم امرأة كانت تكيل كيلًا وافيًا.

ومن أجمل الأوصاف التي قيلت فى الأسد، البيت الذى قاله أبو الطيب المتنبي:

يطأ الـثرى مترفقًا من تيهه فكأنــه أس يجـس عليـلا

الثرى: التراب، والتية: الزهو والعجب، والاسى: الطبيب. والأسد لاعتزازه بنفسه وقوته لا يسرع المشي لأنه لا يخاف شيئًا وقد شبهه فى لين مشيته بالطبيب الذى يجس العليل (المريض) فإنه بلمساته يرفق ولا يستعجل به.

الكهرمان

الكهرمان هو بقايا صمغ شجر الصنوبر الذى تحجر وتشكل مع آلاف السنين ليتحول مع عوامل الجيولوجيا إلى « كهرمان» إذا فهو ليس من الأحجار الكريمة بل مواد عنصرية من نباتات ومخلفاتها العضوية التى تكدست وربما بقية عليها حشرات مغلقة احيانًا فى داخل الكهرمان الشفاف الأصفر وحين نقوم بفركها باليد تخرج منها رائحة الصنوبر اليوم يدخل الكهرمان فى مقتنيات السيدات من حلي فريد كما يقتنيه الأثرياء لجماله وتميزه الفريد .

أحزان الخريف، ورحيل الأوراق الصفراء

تبكي على الأعشـاب هجر غصونها بمدامـع نضبـت ووجـه أصفـر

ويقول (الماغوط) فى الخريف وأوراق الشجر:

إنني أسمع نواح أشجار بعيدة..

أرى جيوشًا صفراء تجري فوق أضلعي ..

«ولجوزيف حرب» لشهر ايول والخريف الحزين:

ورقو الأصفر شهر أيلول تحت الشبابيك..

ذكرني ورقو ذهب مشغول ذكرني فيك..

رجع ايلول وأنت بعيد بغيمي حزينة قمرها وحيد..

بيصير يبكيني شتى ايول و يفيقني عليك ي حبيبي..

يقول المتنبي:

وألقـى الـشرق منهـا في ثيـابي　　　دنانـيرًا تفـر مـن البنـان

أما الشاعر نزار قباني مع «خريف أيلول» قصص وذكريات حب ودموع..

فيقول فى صباه:

أتى ايلول يا اماه..

وجاء الحزن يحمل لي هداياه

و يترك عند نافذتي

مدامعه وشكواه..

ولكن «الخريف الذهبي» يظل جميلًا وملفتًا للغاية وفى ذلك يقول الباذاني:

ولا زلت فى عيشـةٍ كالخريف　　　فـإن الخريـف جميعًـا سـحر

و يقول الشاعر العباسي ابن المعتز:

إشرب على طيب الزمان فقد حدا　　　بالصيف مـن أيول اسرع حاد

تأخر الشاعر الحسن بن سهيل (نديم) الوزير العباسي محمد بن عبدالملك الزيات عن مجلس الاخير بغير سبب فكتب الوزير إليه:

قالـوا جفـاك فـلا عهـد ولا خـبر　　　مـاذا تـراه دهـاه قلـت أيلـول

شـهر تحول حبال الوصـل فيه فلا　　　عقد مـن الوصـل إلا وهـو محلول

فأجابه الحسن بن سهيل:

مــاغــنى عــنـك أيــــول ولــذتــه　　　وطـيـبـه ولـنـعـم الـشـهـر أيــول

الـلـيـل لاقـــصر فـيــه وطــول   والجو صاف ورحل الكاس مرحول

ماذا يعني فصل الخريف.. وسقوط أوراق الأشجار التي أصبحت صفراء ونحاسية اللون..

هو حالة تغير المناخ الذي يطرأ على الأرض .. وعلاقة الأنسان معه لتبديل شئ ما .. والأنكسار الحراري وتدرج البروده..

فهل الخريف حالةٌ مشابهةٌ لأفراح وأحزان الأنسان في حياته.. كما قال الشاعر الروسي «بوشكين» حينما وصف نفسه بالخريف..

(أيها الخريف أي غرابة فيك تجعلك تشبهني بحزنك.. كما كنت تشبهني بيوم فرحي).

الخريف حالة إستثنائية.. كلحظات شروق الشمس.. ولحظات الغروب..

ألم يكن الأصفر هو لون الأبداع فعلًا.

«مواسم البرتقال»

ألطيب من الطف ما يستطاب   والشكل زاه كالعقيق المذاب
والطعم حلو فيه سحر حلال
قالـو لنـا فى جنـة كوثـر   لكنهـم فى وعدهـم أخـروا
فقدمـي فالـوذج البرتقـال

(خليل جبران خليل)

البرتقالي

اللون البرتقالي أو «الأورنجي» وهو من الألوان المشعة الجاذبة، وأكثرها وضوحًا.. فالون البرتقال مزيج ما بين الأصفر والأحمر والذي يتمتع بصفته الحرارية لكونه من الألوان الحارة، عند طول موجه بين ٥١٥٦٢٠ نانو متر في الطيف المرئي.. هذا اللون اسم مشتق من الفاكهة «البرتقال»..

وهو اسم لأحد الدول الأوروبية العريقة «البرتقال» التي أُرخت قبل قرون بإنها إمبراطورية «عظيمة» أُطلق العرب عليها «البرتقال» حينما دخلوا الأندلس لكثرة أشجار البرتقال في شبه الجزيرة الأيبيرية.. واللون البرتقالي يعتبر الزي الرسمي والوطني لهولندا وذلك لكون العائلة الملكية التي ترتديه بالمناسبة الشهيرة «لعيد ميلاد الملكة» ومنذ توحيدها على يد «بيت أورانج ناسو» قامت السلالة الملكية الحاكمة لهولندا بالاحتفاظ بهذا الون الملكي «البرتقالي» الغالي.. كما هو أشارة واضحة لحصتها من الأجزاء التي كانت تحكمها في أحدى إمارة البرتقال..

وفي المجتمع الهولندي المعاصر «أورانجي» كثيرًا ما يرتبط هذا الاسم أو هذه الكلمة الهولندية مع حامل لقب الطقس الجيد في عيد الميلاد الملكة (جوليانا) وهو ٣٠ إبريل، حتى أصبح هذا اللون هو المفضل للعديد من الفرق الرياضية الوطنية و«أورانج هوس» يدل على ميل الهولنديون إلى اللباس البرتقالي في أثناء مباريات كرة القدم..

وفي نيويورك الأمريكية شعار علم هذه الولاية هو اللون البرتقالي التي كانت تسيطر على الهولندية أمستردام الجديدة وهو أساس علم هولندا المتحدة التي استخدمت في عام ١٦٥٢م..

كما أن بعض الجامعات في أمريكا تكتسيها الألوان البرتقالية مثل جامعة تكساس،

وجامعة سيراكيوز وجامعة ولاية تينيسي.. كما أن لون لباس سلاح الاشارة في الجيش الأمريكي هو البرتقالي..

والغريب أن السجناء والمحتجزين في السجون الأمريكية يلبسونهم الرداء البرتقالي وذلك مما يسهل معرفة من يحاول الهروب والتخفي..

كما أن الأوروبيين والأمركيين يستخدمون «البرتقالي» كثيرًا في أعمال الصيانة والطرقات.. كأشرطة ولافتات برتقالية .. وكذلك عمال الصيانة والطرقات يرتدون الزي البرتقالي..

ولكونه أكثر الألوان أشعة يستخدم في الإشارات والأضواء المرورية.. لتحذير.. وتخفيف السرعة..

واللون البرتقالي هو الشعار الذي استخدمه الثوار في أكورانيا عام ٢٠٠٤م وتسمت بالثورة البرتقالية «فهل هو لون التميز والإصلاح، في نظر الأوروبيون»؟!

وهناك الصندوق الأسود ولكن ليس يحمل هذا اللون ولكن لونه «برتقالي» الذي يعتبر الناجى الوحيد من الكوارث التي تطرا على الطائرات والبواخر العملاقة.. والعجيب أن سبب طلاء هذا الصندوق بالون البرتقالي لتسهيل رؤيته بين الركام المحترق.. ويحمل معه الكثير من الأسرار وتسجيل المحادثات في غرفة القيادة.. وتخزين بيانات الرحلة وغيرها من المعلومات ..

إذا لندخل لعالم «اللون البرتقالي» لنتعرف أكثر على ما يخزنه من معلومات وأسرار.. هذه القشرة و إليكم الب؟!

إمبراطورية البرتقال

حينما كانت الأندلس تلفظ أنفاسها، تمكنت البرتقال بمد نفوذها كدولة ممثلة كجزء من مملكة «غاليسيا» وبذلك تم الاعتراف بتأسيسها عام ١١٢٤ م حتى أستقرت حدودها الجغرافيا بحلول عام ١٢٤٩م جنوب غرب أوروبا في شبه الجزيرة الايبيرية أقصى دول

أوروبا بإتجاه الغرب، يحدها المحيط الأطلسي غربًا وجنوبًا وأسبانيا شمالًا وشرقًا، مع أمتلاكها جزر الأزور ومادير الشهرتين بزراعة الفاكهة «البرتقال»..

وعلى الرغم من كثرت النزاعات التي كانت «تنزف» البرتقال سياسيًا وأقتصاديًا من قبل الغاليسيون واللوسيتانين المتواجدون بالبرتقال منذو عام ٢٩ ق.م والعصور التي تلتها وذلك حينما ضمتها «الإمبراطورية الرومانية» باسم مقاطعة لوسيتانيا وجزء من مقاطعة غاليسيا مما سمح المستوطنون الرومان التأثير بشدة في الثقافة البرتقالية.. وخاصة اللغة البرتقالية والتي تستمد معظم كلماتها من اللاتينية في القرن الخامس وذلك بعد سقوط الامبراطورية الرومانية..

أيضًا عانت البرتقال من غزوات أنهكتها كثيرًا وذلك من قبل الشعوب الجرمانية التي تشنتها من وقت لأخر.. أبرزها السويبيون والقوط الغربيون.. وفي أوائل القرن الثامن غز المسلمون تلك الممالك الجرمانية وسيطروا على معظم شبه الجزيرة الايبيرية.. عادت البرتقال «بقوة» بعد أن تحالف المسيحيون الأوروبيون على المسلمون «بالأندلس» فهزموهم بعد ثمانية قرون تزعم فيها العرب وزجو بعلومهم وثقافاتهم التي أنارت أوروبا بأ كملها.. أنتهت المعركة الشهيرة «وريكي» عام ١١٣٩م وتشكلت أول مقاطعات البرتقال من إقطاعية ليون إلى مملكة البرتقال المستقلة.. بعد أن أحرز القائد العظيم أفونسوا أنريكي كونت نجاحًا باهرًا ومد نفوذه وتتويج نفسه ملكًا على «البرتقال».. وأعلان استقلال «البرتقال» بعد أن هزم والدته الكونتسيه تيريزا وعشيقها فيرناو بيرس دي ترافا في معركة وقعت قرب «غيمارايس» تسمة «بساومامید» وذلك في ٢٤ يونيو ١١٢٨م.

هذا القائد الذي أستقل بالبرتقال وتوج ملكًا عليها بعد أن اطاح بالمسلمين وهزيمتهم عام ١١٣٩م وهي المعركة المذكورة أنفًا.. أعترف ملك ليون وقشتاله والبابا الكسندر الثالث.. بافونسوا كونت ملكًا للبرتقال.

وما بين عامي ١٣٤٨م و ١٣٤٩م أجتاح الطاعون أوروربا ودمر البرتقال وفي عام ١٣٧٣م أقامت البرتقال تحالفًا مع أنجلترا وهو أطول تحالف ديمومة في التاريخ، وفي عام ١٣٨٣م استولى ملك قشتالة (وهو زوج أبنة الملك البرتقالي الذي توفى دون وريث ذكر)

على الملك وأعتلى العرش وهنا انطلقت على أثرها «الثورة الشعبية» أدت إلى أزمة لثلاث سنوات، هزم فصيل من النبلاء البسطاء والعوام بقيادة «جون أفيز» مؤيدًا الجنرال نونو الفارس بيريرا القشتاليين في معركة الجو باروتا والانتصار في هذا النضال من أجل نيل الاستقلال عن إسبانيا المجاورة..

وفي العقود التالية قادة البرتقال استكشاف العالم وبدأ عصر «الاستكشاف» حتى أصبح الأمير هنري الملاح أبن الملك جواو الأول، الراعي الرئيسي في هذا المسعى، وكانت النواة الأولى سنة ١٤١٥م حينما غزت البرتقال أول مستعمراتها وراء البحار مدينة «سبته»[١] وهي أكبر مركز تجاري إسلامي مزدهر، تبعتها أكتشافات في المحيط الأطلسي.. والمحيط الهندي وتوابعها من جزر وأقاليم وصولًا لأمريكا اللاتينية حينما أكتشف البحار البرتقالي «بيرو الفاريز كابرال»

البرزيل، وصولًا لأماكن عديدة مهمة.. وفي ١٥١٠م قام ألفونسو دي ألبوكيرك بغزو «غوا» في الهند ومضيق هرمز: على الخليج العربي وملقا في ماليزيا حاليًا مما أعطى لها السياة التجارية للمحيط الهندي وجنوب المحيط الأطلسي وصولًا عبر المياه لشرق آسيا مثل تايوان واليابان وجزر تيمور ويقال أن البرتقاليين أول الأوروبيين الذين اكتشفوا أستراليا وصولًا «لنيو زيلند» هذه الإمبراطورية العريقة التي بدأت أمجادها مبكرًا من رحم «البرتقال» في غرب جنوب أورروبا لتبهر العالم وتشق رحالاتها البحرية في كل مكان لنشر الثقافة «البرتقالية»..

والعجيب أن العرب هم من أطلق اسم «البرتقال» في شبه الجزيرة الايبيرية لكثرة ووفرة أشجار البرتقال بعد أن نقلها البرتقاليون من بلاد الصين وزرعوها في أرضهم..

مملكة الطواحين والزهور الملونة

تعيش « كبرتقالة» فوق الماء!!

(١) للمزيد من المعلومات انظر كتاب التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر (الكشوف البرتقالية في البحار الشرقية) و(الكشوف البرتقالية في أمريكا) ص٤٥، تأليف: الأستاذ الدكتور: عبد الرحيم عبد الرحمن.

حوالي خمس مساحة هولندا يتكون من الماء في شكل بحيرات وقنوات.. وحوالي نصف أرضها أقل من مستوى سطح البحر..

وربما ضاقت الأرض بأهلها في هولندا وهي المساحة القليلة على اليابسة بنت هولندا عام ١٩٦٩م جزيرة «فليفو بولدر» التي تعد أقدم وأكبر جزيرة اصطناعية من هذا النوع حيث تجاوزت مساحتها ٩٧٠ كيلو مترًا مربعًا ويعيش فوقها ربع سكان هولندا..

وهنا أتذكر مدرس مادة الجغرافيا في الصف أول ثانوي لما ذكر مقولة الهولنديون «الله خلق الأرض.. ونحن خلقنا هولندا»..

ولكون الشعب الهولندي يعشق اللون البرتقالي.. فإنه كبرتقالة فوق الماء في شمال غرب أوروبا..

أما مدينة «شو كند» فهي تمثل كفاح الهولنديون ضد الماء وذلك بعد أن أصحبت جزيرة في القرن الخامس عشر، اطر أهلها على أخلائها في تمام العام ١٨٥٩م وبفضل تجفيف «الزويدرزي».. أمام خط دفاع أمستردام الذي بني ما بين ١٨٨٣م و ١٩٢٠ميلادية، على امتداد ١٣٥ كلم لتحصين مستمر يعتمد على التحكم بالمياه.. وهو مجال هندسي يؤمن من الفيضانات.. أما أبرز ما يميز هولندا مع المياه «شبكة الطواحين» في « كيندر دجيك» لتصبح صالحة لزراعة وتمركز السكان وهي نموذج لتجفيف الأرض وتقنية السدود والخزانات ومحطات الضخ..

وهي المدينة وغيرها من المدن المكتضة بزراعة الزهور والورود الملونة لتبدي مفاتنها لطبيعة السوائح ..

وهولندا أغلب مبانيها السكنية الكلاسكية والمعالم التاريخية والقصور والجوامع الدراسية يكتسيها اللون البرتقالي..

إذا فهولندا برتقالة فوق مياه الأطلسي، لقارة أوروبا..

«الكرنفال «الهولندي» البرتقالي»

منذ أن توحدت البلاد الهولندية على يد مؤسسها وليم الأول أمير أورانيا ناسو والذي يعرف أيضًا باسم وليم الصامت، الذي حكم هولندا عامي ١٥٧٢ إلى ١٥٨٤ واسم «أورانيا» الذي يعني بالإنجليزية «أورنج» أي البرتقال، وهو لون الأسرة الحاكمة..

إذ تحولت هذه الجمهورية إلى ملكية في عام ١٨١٣م ظل شعار الأسرة وزيها الرسمي الملكي هو «اللون البرتقالي»..

ولكن ماذا يعني للهولنديون هذا التاريخ ٣٠ أبريل أو ٢٩ أبريل الذي صادف إبريل يوم «الأحد»؟!

إنه لون «الملكة»..

الاحتفال الهائل.. الحدث المهم للهولنديين وقت تنصيب الملكة «جوليانا» عام ١٩٤٩م، ولما توفت عام ١٩٨٠م وأعتلت العرش أبنتها «بياتريكس» يوم ٣١ يناير إلا أن هذه الفتاة وفي هذا اليوم أستمرت على الاحتفال ليوم الملكة، ٣٠ إبريل من كل عام وهو تقديرًا وعرفنًا لوالدتها..

يطوف الرجال والنساء والاطفال الشوارع مرتدون اللون البرتقالي وتعلو النغمات الموسيقة وتنثر الورود في أمستردام وغيرها من المدن.. ويحتفل «بليلة الملكة» في لاهاي والرقصة الملكية في روتردام، والكل يحمل اللون «البرتقالي» في هذا اليوم الذي يعرف بالظفرة البرتقالية..

أذ تجوب الملكة وعائلتها الشوارع والأماكن الشهيرة لتحتفل مع الشعب بهذا الحدث البرتقالي «الكرنفالي الفريد»..

الهولنديون يحولون الجزر للون البرتقالي:

يستخدمه الشعب بشكل واسع في أطعمتهم.. وكانت أدوار الشيف في صنع المأكولات والصلطات وأطباق الحلوى من الجزر..

وفي القرن السادس عشر تكمن الهولنديون من تحويل الجزر الذي كان يحمل اللون «البنفسجي» وطوروه جينيًا ووراثيًا مع الجزر الأصفر والأبيض «النادرين جدًا».. وربما، «وهذا احتمال أخر» من أجل تحسين طعم الجزر.

وهناك إشارة واضحه لجعل الهولنديون يغيرون هذا النوع من الخضار المفضل لهم وهو تكريمهم للعائلة الملكية أو الأسرة الحاكمة ودورها في السعي لاستقلال هولندا من الحكم الإسباني خلال حرب الثمانين عام..

وفي أثناء الحرب العالمية ابتكر البريطانيون الرادار ومن خلاله قامو بتدمير الطيارات الألمانية ليلًا وبظلام الدامس، بكل سهوله وحتى لا يعرف الألمان هذا السر وبقية الأعداء.. تظاهر الجيش البريطاني باكل الجزر الذي يقوي البصر.. طبعًا انطلت.. القصة على الألمان والمضحك أن الشعب البريطاني صدق هذه الخرافة وقامو بزراعة الجزر في البيوت!!

الجزر له الفوائد الصحية الكبيرة ولكن ليس بهذا التميز والقدرة العجيبة للبصر أثناء الظلام..

اليوم الجزر هو باكورة إنتاج الصين من الخضار ومصدر مهم للعالم تليها روسيا ومن ثم الولايات المتحدة..

المندرين ومحمد علي باشا

هذه الفاكهة «الحمضية» التي يطلق عليها شعوب العالم «المندرين» وهو الاسم المأخوذ في الأصل من لغة شعوب «الملايو» الذين سموه (منتاري) أي الوزير..

فالمندرين شجرة مهجنة من نبتتين هما البرتقال والنارنج وحينما أحضرت للقائد محمد علي باشا بمصر في مطلع القرن الثامن عشر على يد أحد المبعثين علميًا من فرنسا وهو طالب الكلية الزراعية «يوسف أفندي» الذي وأجهة ومن معه من مبعثين ريح شديدة أثناء عودتهم من فرنسا فأطرو للنزول في جزيرة مالطا والاقامة بها لأسابيع فتصادف في تلك الأثناء أن رست سفن حاملة أشجارًا مثمرة من جهات الصين واليابان، فاشترى منها «يوسف أفندي»

ثمانية براميل بها شجر مثمر من نوع (المندرين) المعروف اليوم «باليوسفي» وعندما وصل الإسكندرية وجاء وقت اللقاء لمقابلة محمد علي باشا..

أخرج يوسف ثمار المندرين ليعطيها «القائد محمد علي» الذي أعجب بها.. وسأل عن أسمها..

فقال يوسف بدهاء.. أسمها.. «طوسون» يا سيدي، وهو اسم أحد أبناء محمد علي باشا الذي يحبه ويميزه من بين أبناءه فتبسم محمد علي..

وقال إذا ما اسمك.. قال يوسف.. فأمر محمد علي باشا بتسميتها «يوسف أفندي» أكرامًا لحاملها لأرض مصر..

أما الرجل الذي أدخل «المندرين» لأوروبا قادمًا بها من الصين فهو الإنجليزي «هيوم»..

أما علي باشا فقد أمر بزراعتها في حديقة قصرة بشبرا بمصر التي عرفت منذ ذلك الوقت باليوسف أفندي.. أو «اليوسفي»..

الصينيون هم أول من قام بتهجين هذا النوع من الحمظيات وزرعوها بشكل واسع لدرجة أن أحد المقاطعات الصينية إسمها «مندرين».

كما أطلق على كبار الموظفين الصينين بالمندرين لما تميزهم قبعات يلبسونها.. توجد عليها دائرة تشبه المندرين بلونها «البرتقالي»..

تشير الابحاث اليابانية أن اليوسفي أو المندرين يحد من أخطار سرطان الكبد والأمراض الأخرى المتعلقة به نظرًا لاحتوائه الغني بالمركبات، وفتامين (أ) ..

والكاروتينويدات التي تعطي اليوسفي لونه البرتقالي..

بالمشمش

يعتقد الخبراء أن أصول المشمش تعود إلى غرب الصين وآسيا الوسطى وربما كوريا واليابان.. وقد بدأت الزراعة المنظمة والمكثفة للمشمش في الهند مُنذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد..

إلا أن التركيز يبقى على أرمينيا كمصدر لأنتشار هذه الفاكهة «الأرجوانية» المحببة قديمًا في أنحاء العالم..

حيث ورثنا تسميته الحديثة من الرومان، كما أن المعلومات الموثقة.. تقول بإن الإسكندر الأكبر وعبر طريق الحرير هو الذي جلب هذه الفاكهة الصغيرة إلى اليونان وبلاد الاغريق..

وأن الجنرال الروماني «لوكولوس» هو الذي استورد من أرمينيا إلى أوروبا أشجار المشمش والكرز معًا..

وهذه الفاكهة كانت مثار جدل واسع بين الشعوب حول اصولها فيعتقد البعض أنها من جبال الهملايا أو دول القوقاز الواقعة بين البحر الأسود والمحيط المتوسط.

كما أن الفرس قديمًا كان مصدر الدخل الزراعي من ثمار المشمش وخصوصًا تجارة المجفف منها، ويطلق عليها اسم «زادالو» حتى يومنا هذا تعد إيران من أكثر البلادان المصدرة لها إذ أنه يمتاز بتعدد الاطعمة كصنع الحلوى والمربى والمطبوخ والمشروبات اللذيذة وغيرها كما أن مصر عرفته قديمًا ولا يزال المصريون يستخدمونه لإنتاج شراح، وشراب «قمر الدين» الشعبي المحبب ويستخدمه المسلمون كافة خلال شهر رمضان المبارك «لفوائده الصحية» وربما جاءت الكلمة الشعبية الدراجة عربيًا «بالمشمش» كمثل لندرة الشيء، أو صعوبة الوصول لهدف ما!!

وربما لقصر موسمه في البلاد العربية وأيامه القليلة لجني ثمرة، هو سبب إطلاق هذا المثل الشهير به.. وهو يزرع بشكل واسع في سوريا ولبنان وجنوب المملكة العربية السعودية في أعالي المرتفعات..

أما تركيا تصدر حاليًا ٨٥٪ من الإنتاج العالمي للمشمش.. والمجفف لذا فإن زراعة المشمش تتطلب العيش في أجواء مناخية بارده جدًا.. ومن أنجلترا فقد نقلوه (عبر مستعمراتها) لأمريكا وأستراليا ونيوز يلاندا وكندا.. وذلك قبل استقلال هذه الدول عن الستعمرة البريطانية.. أما وصوله لبعض ولايات أمريكا مثل أوتارو وواشنطن

وكاليفورنيا وكذلك أمريكا اللاتينية فذلك عبر «الإسبان» حيث لعب دور تجارة الحبوب والفواكه المجففة في الأندلس التجار العرب فقد كان الفرنسيون والإسبان يطلقون عليه «البريكوك» نسبته للاسم العربي «البرقوق» والعجيب أن أهل الارجنتين وتشيلي في أمريكا اللاتينية يطلقون عليه اسم «دمشق» الذي يعني أن المستعمرين الإسبان في القرون الماضية كانوا يرجعون إلى أصوله من دمشق في سوريا وأرمينيا وأهلها يسمونه حاليًا بـ (تزيدان). ويسميه أهل الصين بخينغ، لدرجة أن الصينيون يربطونه «تراثيًا» بالطب والتعليم إذ تعنى تسميته في الصين بـ «حلقة التعليم»..

يقول الفيلسوف الصيني «شوانغ تزو» في القرن الرابع قبل الميلاد أن كنفوشيوس كان يتحدث إلى أتباعه وصحبه في حديقة من شجر المشمش، وحضر المشمش في عالم الموسيقى عبر غنائية «ذو ويزرد أوف أوز» ويقال أن الجنود الأمريكان يعتبرون المشمش فال شر ويرفضون لفظة اسمه وهو «أبريكوت» وهو الاسم الموجود في قاموس التراث الأمريكي، ويخافون من أكله أو حتى لمسه . ولكن الإنجليز يعكس التيار ويعتبرونه «الحلم» وفال الخير والوفرة.. والأتراك يستخدمون تعبير «الشيء الوحيد الأفضل من هذا هو المشمش في دمشق» التي تعنى أنه «لا يوجد أفضل من هذا».. وهي كلمات يرددونها مثل «طعم مشمش دمشق اللذيذ»..

وفي التراث العربي القديم جاء على لسان إبن منطور في لسان العرب بأن «المشمش والمُشمشُ شجر يطول حتى يقارب الجزر سبط العود والورق ومخ ثمرة أما مر ويعرف بالكلابي أو حلو يعرف باللوزي الواحده مشمشة وبعضهم يسمى الأجاص مشمسًا..

ويقول إبن سينا عنه إنه يسكن العطش.. وفي القرن السادس، استخدم المشمش لاحتوائة على مواد معالجة للاورام السرطانية وقد استخدمه الاوربيون في القرن السابع عشر[1] وذلك بعد استخلاص بذورة ليكون زيتًا تعالج به «القرحة» وآلام المعدة..

(١) بإمكنك قراءة هذا المقال المطول «الفاكهة المشمش» عبر شبكة ريماس الأخبارية عن طريق الإنترنت. تاريخ نشر المقال ٢١١٢/٦/٧م (بتصرف).

كما أرتبط المشمش في أوروبا بانه مثير للشهوة فقد وضعة «شكسبير» في هذا الإطار في أحد مسرحياته.

يقول الشاعر العباسي ابن المعتز:

ومشمس بأن منه أعجب العجب　　　يدعو النفوس إلى اللذات والطرب

ويقول ابن الرومي:

قشر من الذهب المصفى حشوة　　　شهد لذيذ طعمه للجاني

الثعلب وغريزة المكر والخداع

الثعلب ذو الفراء البرتقالي، هو أكثر أنواع الثعالب شيوعًا وينتشر حول العالم بشكل واضح، ويعيش في الغابات والمناطق الشعبية والجبال والصحارى غالبًا وربما تأقلم كثيرًا مع بني البشر ولكن بحذر في المزارع والمناطق العمرانية المكتظه بالناس ويتمتع الثعلب بالدهاء المكر والمهارة في المناورة والخداع.. وله من الحيل العجب العجاب..

وعلى الرغم من حجمه الصغير الذي لايقارع كبار الوحوش الضارية وقوتها كالأسود والنمور والذئاب والضباع إلا أن تسلحه بـ«الذكاء» والمراوغة والخبث مكنه من البقاء والعيش بين الأقوياء..

لذلك هو من منح معنى جديد للقوة يعتمد على الذكاء والفطنة والدهاء.. لذلك طوق بلقب «الماكر» ويصفونه بـ«ثعلب الصحراء» أو «الثعلب الملكي» لأنه أقنع الجميع بقوته مع أنه سبع جبان؟! تسمية العرب بـ الحصني ويكني بأبي نوفل أو أبي الوثاب.. قال الدميري: الثعلب سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة ولكنه لفرط الخبث والخديعة يجري من كبار السباع.. وإذا طلب الرزق يتظاهر بالتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمة.. فإذا قرب منه حيوان وثب عليه الثعلب وصاده..

وفي كتاب عجائب المخلوقات للقزوني.. يتخذ لوكره أبوابًا حتى لو سد عليه باب

يخرج من الأخر، وشعره يتساقط كل سنة لذلك سمى تساقط شعر الإنسان «داء الثعلب» ويجعل العنصل حول بيته حتى لا يقصده الذئب، لأن الذئب إذا وقعت رجله على العنصل يموت..

قالت العرب: أدهى وأنتن من سلاح الثعلب.. وفي الأمثال يقال: أروغ من ثعلب ..

قصة ظريفة ذكرها «الدميري» في كتابه حدثت للأمام الشافعي مع الثعلب: يقول الشافعي - رحمة الله - كنا في سفر بأرض اليمن، فوضعنا الطعام للعشاء.. فحضرت صلاة المغرب والطعام جاهز، فتركنا الطعام، وأقمنا الصلاة، وكان الطعام دجاجتين، فأتي ثعلب ونحن نصلي، وأخذ دجاجة وهرب فلما انتهينا من الصلاة، أسفنا على الدجاجة.. وقلنا: حرمنا طعامنا، وبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فمة الدجاجة نراه من بعيد، فوضعها بعيدًا عنا.. ووقف بعيدًا عنها.. يقول: فهجمنا عليها، فهرب الثعلب.. فلما وصلنا إليها.. فإذا هي ليفة على شكل دجاجة وليست دجاجة.. وبينما نحن نضحك على ذلك كان الثعلب قد ذهب وأخذ الدجاجة الثانية وهرب بها.. فضحك علينا الثعلب.. ونحن من كبار العلماء..

طائر الفلامنجو

الراقص على ضفاف البحيرات..

صاحب الريش الأورنجي الزاهي.. الطائر الأنيق..

يتمتع برقبة عالية على شكل حرف (s).. ومنقاره المعقوف.. وساقية الطويلتان التي تساعدانه في الغوص بالمياه من أجل الصيد ومن غرائبه أنه يأكل ورأسه مقلوب.. وينام واقفًا على ساق واحده.. والأخرى يضمها لجسده.. ومنقارقة «المتقوس» يعمل « كفلتر» مهمته تظيف الماء والطعام من الشوائب المتعلقة بهما من الداخل، حيث يوجد ما يشبه اسنان المشط تقوم بهذا الدور المهم..

الفلامنجو طائر يمضي حياته على ضفاف البحيرات ويقوم باستعراض راقص متناسق

رشيق يتباهى به لفترات طويلة.. وهو نوع فريد، تعلم منه الأوروبيون (الرقص التعبيري) كما سجلت باسمه موسيقي شهيرة في أسبانيا.. وهو اسم أحد أشهر الأندية في البرازيل..

هذا الطائر يحب العناية بنفسه دومًا والاستحمام في البحيرات والراحة.. لذلك يطلق عليه «الجينتلمان الطائر»..

ومن خلال وجدت جميع المصادر تؤكد أحد عجائب الفلامنجو وهي لونه «الأورنجي» حيث يستمده من أكله المفضل للقريس (الجمبري)[1]..

يطير هذا الطائر في أوقات معينة من السنة للهجرة بشكل جماعات تنتشر في السماء لتحلق عاليًا بسرعة ٥٠ إلى ٦٠ كلم بعيدًا عن أعدائها.. وتفضل الهجرة ليلًا حيث الاجواء صافية خالية من الغيوم..

وتقوم طيور الفلامجو بالتغريد وربما الضجيج «المرتفع» لكي يميز الأفراد أسرتهم الواحدة والصغار تحديدًا معرفة الأبويين فلكل نوع منها صوته المميز!!

«مواسم البرتقال.. ورائحة النارنج»

يقول محمود درويش في قصيدته «البرتقالة»:

«تلك الفاكهة مثل حبة الشمس..

تقشر.. باليد والفم، مبحوحة الطعم..

ثرثارة العطر سكري بسائلها

لونها لا شبيه له غيرها

لونها طعمها: حامض سكري

---

(١) شاهد عبر الإنترنت - موقع «عالم الحيوان» AN-MAW .com.
أيضًا المكسيك والفلامنجو. القناة العلمية TV. Web Restriction; NONE.

غنى بعافية الضوء والفيتامين C

شجرة البرتقال من الاشجار المستمرة في العطاء إذ يصل إنتاجها لخمسين سنة هذه الشجرة تزرع بداية نمو البراعم والمشاتل لتصبح شجرة في أقل من سنة وتبدأ بإنتاج الثمار «البرتقال» بعد أربع سنوات..

تعتبرفي الصين رمزًا لسعادة.. وهو مواطنها الأصلي.. وقد أخذها التجار لأوروبا، وهناك زرعها المزارعون لتتكاثر في بلاد «البرتقال» وحينما دخلها المسلمون العرب بالأندلس أطلق عليها اسم «البرتقالة» الفاكهة التي تدور في كل فصول السنة لجميع أنحاء العالم لتصبح البرازيل والولايات المتحدة الامريكية والمكسيك في مقدمة الدول المنتجة للبرتقال..

يعتبر البرتقال مصدر غذائي مهم ويجمع الكثير من الفتامينات مثل فتامين (أ) المسمى بفتامين الجمال.. وفتامين (سي) المصدر العالي الكثافة وهو أحد أهم الفتامينات التي توجد في الفواكه الحمضية، كما يوجد بالبرتقال فتامين (ج) الذي يعمل على تحسين نسيج الجلد كالتفاح ويحتوي البرتقال على الكولاجين، هذه المادة التي تقوم بدور فعال في إبطاء ظهور علامات تقدم السن والشيخوخة على البشرة.. ويعد البرتقال من أكثر الفواكه التي تحافظ على البشرة وتزيد المناعة.. نظرًا لاحتوائه على ثمانية وعشرين عنصرًا غذائيًا منها الحديد والفسفور والكالسيوم والبوتاسيوم ويساعد البرتقال على تثبيت الكالس في العظام والوقاية من الأمراض الانتانية (الحمى التيفودية والسعال والرشح والزكام والأنفلونزًا...).

وهومنشط للدورة الدموية.. والبرتقال ذو رائحة عطرية نافعة، يستعمله الأوروبيون في صناعة الحلوى.. والشام وتركيا «مربى»..

وبه عنصر مهم «البوتاسيوم» وهذا الأخير يقوم بطرد عنصر الصوديوم الذي يسبب ارتفاع ضغط الدم وهنا صورة مدهشة أيضًا حينما يقوم عنصر البوتاسيوم ويحل محل الصوديوم.. إذا فهو مفيد جدًا لدم وضغط الدم المرتفع ومرضى القلب.

ويعد البرتقال من أهم الفواكه الغنية بالمواد الطبيعية والملئ بالكالسيوم واليود

والسكر والحديد وحامض الستريك تناول حبة من البرتقال يوميًا يساعد على إزالة السموم من الجسم ويحفظ الأكسجين في الجلد ليمنع من ظهور التجاعيد والكلف، وهذا السر ايظًا في قشر البرتقال لإزالة الخلايا الميتة والأوساخ من الجسم وأخفاء البقع السوداء من الوجه ويستعمل بشكل يومي حتى تتم أزالتها.

ثمرة النارنج

هل تعرفون كيف يسكن الإنسان فى قارورة عطر؟

بيتنا تلك القارورة «أنني لا احاول رشوتكم بتشبيه بليغ ولكن ثقوا أنني بهذا التشبيه لا أظلم قارورة العطر وإنما أظلم دارنا».

النارنج بيتي وبيت أبي وبيدرنا ... وشجيرة النارنج تحتضني
تاهت بعيينيها وما علمت ... أني عبدت بعينيها وطني

هكذا يصف الشاعر الدمشقي «نزار قباني» بيته وشجر النارنج العطر وما بها من ثمار «أورنجية» وزهور فواحة، ومعروف أن بيوت دمشق وحدائقها وحتى حارتها التى لا تخلو من أشجار «النارنج» ومن دمشق اخذ العرب الامويون شتلات هذه الشجرة وزرعوها بأرض الأندلس وفى مسجد قرطبة الكبير اشجار النارنج وفي صحنه تحديدًا الذى يعتبر تحفة فنية فريدة فهو محاط بسور تتخلله سبعة ابواب، وقد أخذ اسمه من النارنج وأصبح يعرف «صحن النارنج»، فقد كان المصلون يتمركزون فى صحن المسجد اثناء الصلاة لتنسم العبق النارنجي الذى كان يملأ المكان بعطره الآخاذ.

النارنج أو البرتقال المر «يؤكد المؤرخون أن موطنه الأصلي هو الصين فقد كانت ثمار النارنج ترمز لدي الصينين إلى الوحدة والكمال فعند الزيارات الاسرية والأصدقاء يجلب النارنج» وكذلك فى الاحتفالات السنوية الجديدة.

أما الاقباط بمصر فكانوا يخرجون من الكنيسة فى عيدي الغطاس والميلاد بمظاهر احتفالية مميزة ويتجهون إلى ضفاف النيل وبهذه المناسبة كان الخلفاء آنذاك يقومون بتوزيع

النارنج والاسماك للاقباط والمسلمين الذين يشاركونهم هذه المناسبة السعيدة حتي ساعات الفجر الاولي وهذه الشجرة معمرة دائمة الخضرة تحمل ازهارًا بيضاء ذات رائحة عطرية لطيفة وفواحة منعشة، أما ثمارها الكبيرة الكروية الشكل «البرتقالية اللون» خشنة الملمس من فصيلة الحمضيات وتشبة البرتقالة وتختلف بطعمها «الحامض» أما قشرتها الشديدة المرارة فتقول المصادر الطبية أنها تحتوي علي زيت طيار والهسيبرين والايسوهيبرين وتستخدم هذه المركبات فى علاج حالات شلل الاطفال والحمي الرماتيزيمية والاجهاض ويحصل من هذه القشرة ايضًا على «البكتين» المستعمل فى صناعة الادوية ومساحيق التجميل «ومن بذورها التى تستحق ويستخرج نوع من الزيوت وتدخل فى صناعة الصابون».

أما الازهار ذات الرائحة القوية تطبخ وتقطر ومن خلالها تنتج «ماء الزهر» الذى يعرف علميًا باسم Citrus Aurantium وفؤادها الطبية لا حصر لها، ولقد تغني الشعراء العرب بـ«النارنج» كثيرًا فى قصائدهم الأعجابية عن الطبيعة.

يقول الحكم بن أبي الصلت:

وحبـذا قضـب النارنـج مثمرة   بين الزبرجد مـن أوراقها ذهبا

ويصف السري الرفاء «ثمرة النارج» فيقول:

حلت عقال نسـيمها وتوشحت   بالأرجـوان وشـددت أزدارهـا
فكأنها فى الكف وجنة عاشـق   عبـث الحيـاء بها فـاضرم نارها
مـا أحسـب النارنـج إلا فتنـة   هتـك الزمـان لناظـر اسـتارها
عشقت فى سنة العيون فلو رنت   أبـدًا إليـه مـا قضـت أوطارها

«إثارة الأحمر»

أنا لا أصـدق أن هذا الأحمر المشـقوق فم
بـل وردة مبتلـة، حمـراء مـن لحـم ودم
أكمامها شـفتان، خذ روحي، وعللي بشم
إن الشـفاه أحبهـا، كـم مـرة قالـت، نعم

(أمين نخله)

الأحمر

لم يكتسب أي لون الدلالات التي أكتسبها مثل ما أكتسبه اللون الأحمر..

فهو اللون الذي يجسد المعاني والتنقلات العديدة، بل هو لون التناقضات بدون منازع.. فهو لون الإثارة، والعنف، والخطر والدماء، والجروح، ودموع العشاق وقلوبهم الدامية، هو العقيدة، والخطيئة، والغفران، هو القتل، ودماء الشهداء!!

هو التنبيه وعدم الأقتراب..

فالخط الأحمر وعلامة الأكس «الحمراء دائمًا ما تشير إلى الخطر» واللون الأحمر يعبر عن التوقف كاشارات المرور..

والمحبط مثل أسهم البورصة..

هو الأجواء الرومنسية والغرام والأشواق، هو الزهور الحمراء، بل هو الرمز لكل معاني «الحب».

فالون الأحمر له تأثير مباشر على الجزء السمبتاوي العصبي المسؤل عن الاثارة والتحفيز.

تقول الطبيبة الفرنسية (إيفون دموبلس) بعد تجربتها على هذا اللون «وجود ارتفاعات طفيفة في القدرة العضلية حين يتعرض المرء للون الأحمر (خاصة في الظلام)».

فالأحمر هو لون جزئي من ألون الطيف الذي لا تستطيع بعض الأجسام أن تمتصه عندما يسقط عليه الضوء فتصده وتعكسه بعيدًا عنه.. فتراة العين، ويتراوح طول الموجة الضوئية التي تصدرها الأشعة «الحمراء» ما بين ٦٣٠٧٠٠ نامومتر، وهي أطول الموجات الضوئية التي يمكن للعين أن تراها، لأن أي ضوء يتجاوز طول موجته هذا الرقم يسمى «أشعة» ما تحت الحمراء، وهذا ما لا يمكن للعين أن تراه..

والمدهش أن «الأصباغ الحمراء» كانت في أحد العصور الأغلى ثمنًا.. بل في عصر «ديوكيسيان» يعادل وزنه ذهبًا، لذلك أعتمد الامبراطور الروماني أن يكون الزي الرسمي لأباطرته هو «الأحمر» ومنهم أنتقل هذا التقليد إلى معظم ملوك أوروبا حتى القرن التاسع عشر.

وربما تكون ملابس الملك بألوانها مختلفة تكاد لاتخلو من إضافة لمسة حمراء مميزة، مثل الأحذية الحمراء التي يرتديها لويس الرابع عشر على سبيل المثال في الحفلات الرسمية..

أما معاطف حفلات التتويج فكانت كلها حمراء إلى أن تغير الأمر في عهد الملكة فيكتوريا في بريطانيا، حين أصبح اللون الأحمر رمزًا لحياة الفسق والفجور، فامتنع عنه البلاط ومن ثم الاستقراطية.. بأسرها[١]..

ظل الأحمر طوال القرون الوسطى حكرًا على النبلاء وفي أحدى الثورات التي أندلعت في المانيا عام ١٥٥٢م، كانت المطالبة بالحق في ارتداء الملابس الحمراء من ضمن مطالب الفلاحين..

وبقيت الأحذية الحمراء ذات الكعوب العالية ممنوعة قانونيًا على غير النبلاء في فرنسا حتى قيام الثورة الفرنسية.. وسنت قوانين جديدة تحصر حق أرتداء القبعات وأغطية الرأس الحمراء للطبقة البرجوازية العليا، الأمر الذي تحداه أبناء الطبقات الأدنى لأن جاذبية الأحمر كانت أقوى القوانين..

وفي أواخر الدولة العثمانية أنتشرت الطرابيش الحمراء بشكل لافت في كل من (تركيا وبلاد الشام ومصر وتونس) أما في دول الخليج وتحديدًا السعودية فهناك الشماغ «الأحمر» الذي يعتبر أهم مكونات الزي الرسمي وينتشر بشكل كبير.

وفي الولايات المتحدة وخلال الحرب الأهلية «الأمريكية» لم يكن الجنوب الأمريكي الذي أخذ إلى الحرب بشكل مفاجئ فلم يتهئ لتوحيد الزي العسكري..

(١) تحول اللون الأحمر إلى اللون الأسود عند الأستقراطيون فأصبح هو اللون المفضل لديهم، انظر لزاوية اللون الأسود في هذاالكتاب.

فقامت النسوة بإهداء الجنود مناديل حمراء تربط حول العنق لأذكاء الحماسة وتوحيد الزي..

والجيش البريطاني الذي استعمر أمريكا كان مميزًا بسترته الحمراء.. كما «غير» نابليون بونابارت في عام ١٨٠٧م لون سترات الجيش الفرنسي من الأبيض والأزرق إلى «الأحمر»..

أما في الصين فقد أعتبر الصينيون اللون الأحمر هو صاحب الثقافة بدون منازع وأخذ زخمًا واسعًا دون الألوان الأخرى.. فكل المطعام الصينية إينما كان في العالم لونها «أحمر» من مصابيح الزينة وأغطية الطاولات وحتى الجدران والأبواب جميعها حمراء..

ولون العرش الإمبراطوري «أحمر» كذلك المدينة المحرمة التي كانت مقرًا لعظماء الدولة لونها حمراء.. وحتى ملابس العروس لديهم حمراء..

فالحظ والمجد والصدق والشجاعة والشرف والنجاح والثروة والخصوبة والسعادة ترمز لدى الصينيون بلون واحد هو «الأحمر» بل هو لون العلم لوحدة البلاد.. فصينيون يحبون اللون الأحمر كرمز للقوة والنشاط والمروءة حيث أن الأحمر لديهم هو الحراره والدف والحب وهو مرتبط بكل مناسباتهم، ففي عيد الربيع يقدمون العيدية ملفوفة في ورق أحمر للأطفال أما جارتهم «التبت» يحرص البوذيون لباس الأحمر وأهميته في الطقوس الدينية وشعائرهم، كما أن الأسرة الحاكمة تلبس الرداء الأحمر وكل مايحيط القصر الملكي احمر اللون.

فيبدو أن للأحمر معاني ودلالات وموشرات متنوعة في العديد من الدول وكثير من الشعوب..

فهوعند الفرس لون العار، وأما في تركيا والهند يعد الأحمر لون الزفاف حيث ترتدي العرس خمار أحمر اللون على رأسها عشية زفافها وتحيط خصرها بحزام أحمر يوم الزفاف,,

أما في سان فرانسيسكو الأمريكيه تمنع المراءة من قيادة السيارة ما لم تحط رقبتها بوشاح أحمر..

وفي روسيا يعمل الجيش في كبائن مطلية بالأحمر وذلك لرفع حرارة أجسادهم أثناء الشتاء ويبقيهم متحفزين على الدوام..

أما في إسرائيل وحسب وكالة «رويترز» أعربت نائبات في البرلمان الأسرائيلي وكثير من النساء الإسرايليات عن غضبهن الشديد بعد أن أثيرت فتوى للحاخام اليهودي بعدم إرتدي اللون الأحمر للسيدات ووصف من يرتدي هذا اللون بالعاهرات..

أما هذا اللون عند العرب فهو صاحب دلالة على «الحسن» كما يقول بشار بن برد:

هجان عليها حمرة في بياضها تروق به العينان والحسن أحمر

بل أن العرب تطلق على المرأة البيضاء (حمراء) وكانت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين شديدة البياض لذلك كنيت (بالحميراء)..

وإذا بدت في خمرة فكأنه ورد من الداري حسنًا مكتسي

(ابن المعتز)

أثارت بحوثات عديدة في علم النفس وأعصاب الدماغ أن اللون الأحمر لون مثير أناري صارخ ومع ذلك ينصح فقط في الابتعاد عنه بغرفة النوم لأنه يودي إلى التنبيه الذي يؤدي بدوره إلى حالات الأرق وعدم الأسترخاء..

فقد لاحظ العلماء أن الون الأحمر له تأثيره الفيزيولوجي حيث يؤدي التعرض لهذا اللون لفترة طويلة إلى لزيادة ضغط الدم، وهو يملك تأثيرًا على مختلف غدد الجسم وبالتالي ينشط خلايا الجسم ويرفع طاقتها، وإذا قمنا بتخفيف اللون الأحمر لصبح زهريا فإن تأثيره سيقل؟!

وإذا كان الأنسان يستعين بالأحمر كاشارات ورايات حمراء في أماكن الخطر والعمل ومن أجل تفادي الحوادث المميتة..

فإن الحيوانات والحشرات تستعين هي الأخرى باللون الأحمر وتستخدمها منذ ولادتها كنظام لأظهار مكامن الخطر وأماكن الموت ومن الطريف أن هذا يساعد الحشرات في صراعها الدائم من أجل البقاء!!

فمثلًا حشرات البق الصغيرة تستعين بلونها الأحمر لتبتعد الحشرات الأخرى التي تسول لها نفسها بالاقتراب منها وتحذرها بإنها سامة وبأنها من فصيلة الحشرات التي لا تؤكل!!

ونلاحظ أيضا أنه في المجال التعليمي والثقافي وفي مجال الإدارة أو الصحافة إرتبط الخطر والحضر والعقاب والالتفات السلبي خط أحمر «أو اللائحة حمراء»..

وما نشاهد في أعلام أغلبية دول العالم التي تلونها أجزاء أو كافة العلم بالأحمر وربما دل على دماء القتلى أو الفدائيون لأوطانهم..

وفي تراثنا العربي القديم كان العرب يجتمعون كل عام في سوق عكاظ، وهناك كانت تضرب قبة من الجلد الأحمر يتسيدها النابغة الذبياني ليحكم بين الشعراء ويميز من هو الشاعر الأفضل وهذا مانلاحظه اليوم في برامج الشعر وحضور الأحمر فيها.. حيث يجلس الشاعر على كرسي أحمر اللون وبعد مراحل متعددة يخوضها الشعراء ليتم تتويج الفائز ببيرق أحمر اللون شعارًا لفوز الشاعر بهذه المناسبة..

كما نشاهد اليوم في ملاعب كرة القدم وغيرها من الألعاب المختلفة ويديرها حكمًا يحمل معه بطاقات حمراء أو إشارات حمراء، وحين حدوث أشتباك عنيف أو عرقلة يشهر الحكم البطاقة الحمراء ويخرج على أثرها اللاعب المخطئ..

العالم يستنزف

دائمًا ما يرتبط اللون الأحمر بالصراع السياسي والاجتماعي فقد ظل الأحمر لسنوات طويلة رمزًا للعنف والقتل والظلم والارهاب ومعاداة الديمقراطية..

وفي المجال السياسي فيشير اللون الأحمر إلى الإثارة والقوة والدفاع كالحروب والثورات..

ففي اليابان تسمى القوة العسكرية «بالجيش الأحمر» الذي أسس عام ١٩٦٩م..

أما الجيش السوفيتي الأحمر الذي أسس عقب ثورة ١٩١٧م توج بعدها «ليلين» رئيسًا للدولة فاستحدث أنظمة إطهادية وقوانين قاسية أودت بحتف الكثير من أرواح شعبة، ومن

بعده جاء «الدكتاتور الأحمر» كما يحلو للمؤرخين الغرب تسميته وهو «أستالين» القائد الدموي الشهير.

فالاحصائيات أو الأرقام العالية تفاوتت بعدد القتلى في الجرائم التي تم أرتكابها سواء في حق شعبة أو من خلال الحروب التي خاضها..

ففي إحدى التقارير للمخابرات الروسية قالت أن الرقم لا يقل عن ٣٦ مليون مواطن.. تم قتلهم بيد هذا الدكتاتور..

أما المؤرخ البريطاني المعروف (نورمان ديفيد) فيقدر العدد من ضحايا ومنكوبين بـ ٥٤ مليون..

ويدعي الكسندر سولز نيثين (الأديب الروسي المنشق والحائز على جائزة نوبل) أن عدد الضحايا في عهد ليلين وستالين زاد على ٦٦ مليون نسمه..

أنها أعداد مروعه مخفيه لأنظمة فأسدة أرتكبت بحق الإنسانية وما أرتكبه القائد النازي لألمانيا، «أدلف هتلر» لا يختلف عن أستالين في الاباده والقتل ودخول حرب عالمية ثانية.. وهلاك أمم وشعوب.. كانت النهاية قاسية.. حينما تبخرت أحلام..

هذا القائد بإن يتزعم العالم كما ذاق مصيره العديد من الطغاة الذين مرو من قبلة مثل قبلاي خان، وجينكز خان، وهولاكو، وتيمورلنك، ونابليون.

أنهار الحزب النازي، وهزمة برلين، وأسدل الستار، وسقطت الأقنعة، وفي ٣٠ نيسان ١٩٤٥م وجد الزعيم الذي دوخ العالم تحت الأرض في مركز قيادته مع عشيقته (أيفان بروان) منتحريين.

إن الحروب الطاحنة على مر العصور وما خلفتها من قتل وتدمير وما نتج عن الحربين العالميتين؛ الأولى عام ١٩١٤م والثانية عام ١٩٣٩م حيث خلفت المعارك، نزيفًا أحمر، يعاني آثارة العالم مثلما عانته مدينتي (هيروشيما) و(ناجزاكي) اليابانية من قبل القوات الأمريكا، ونتائج الحرب هي ثمانين مليون قتيل لقو حتفهم جراء الحرب العالمية الثانية فقط!!

أما الأولويه الحمراء الأيطاليه فهي منظمة إرهابية يسارية متطرفه أختارت اللون الأحمر والعنف في سعيها لتهئية إيطاليا في السبعينات لثورة ماركسيه، كما أختار الثوريون الصينيون الذين سعوا لأنهاء الثقافة التقليدية الصينية للون الأحمر فطال العنف كما تبعهم الثوار الكمبوديون، الذين يعرفون باسم «الخمير الحمر» والذين قاموا بقتل جيل بأكمله أوما يقارب المليون ونصف المليون نسمة من السكان البالغ عددهم ٥,٧ مليون نسمه في فترة حكم أمتدت لثلاث سنوات.

أما «الهنود الحمر» السكان الأصليون للأمويكيتين أصحاب البشرة الحمراء فقد صاحبتهم الكثير من الأصطدامات الدموية العنيفة مع الجنود الأمريكان البيض وذلك في القرن الثامن عشر الميلاد..

وتقول المصادر الحديثة أن الهنود الحمر من الشعوب التي على وشل الانقراض وهناك نسبة منها تعيش الأن في دولة البيرووهم أول الشعوب التي تكتشف الأرقام ورموزها وكانوا متقدمين جدًا كحضارة عريقة، وذلك قبل ميلاد المسيح بـ ٣٧٠٠ سنة، ويقال أنهم سموا بالهنود الحمر لأن «كريستوفر كومبس» ظن خطأ أنه في الهند عندما أكتشفها!!

أما في العالم العربي القديم أو ما قبل الإسلام فقد كانت هناك حروب دموية طاحنه أشهرها حرب البسوس وهي إمرأة أوقعت بين أبناء العمومة فاشتعلت الحرب بين بكر وتغلب واستمرت أربعون عامًا حينما أوغرت جساس بقتل الملك كليب، مما حد بالزير سالم أبو ليلى المهلهل بالثار لأخيه كليب، والقصة مشهورة بين العرب..

والحرب التي دارت بين المناذرة والغساسة فنتصر خلالها الغساسنة، وهي التي تعرف بيوم حليمه، وهو المثل الشهير يوم حليمه ليس بسر وهي الفتاة الجملية إبنة الملك الحارث ابن أبي سمر الغساني (ملك العرب بالشام) الذي طلب من ابنته «حليمه» بوضع الطيب على الفرسان ووجه رسالة حماسية ملهبه لفرسانه أن من يقتل ملك المناذرة «المنذر ابن ماء السماء» ملك العرب بالحيرة، فهو زوج لأبنته حليمه كعربون شرف ومكانه.

كما لا ننسى أحد أهم الحروب الجاهلية التي وقعت بين عبس وذبيان استمرت أربعون

عام وعرفت بداحس والغبراء، وهما فرسين الأول حصان لقيس أبن زهير لعبسى، والغبراء فرس لحذيفه بن بدر اتفقا على رهان وقدره مائة من الأبل لمن يسبق من الفرسين.

ولطول المسافة في السباق تقدم الحصان داحس لبني عبس، مما دفع بعض أتباع بني ذبيان ألى محاولة الحد من تقدم الفرس داحس.. فثارت هذه العرقلة بنى عبس فتطورت الأحداث إلى ما لا يحمد عقباه لسنوات طويلة من حرب دامية.. رهيبة.. فني منها الكثير من القبيلتان.

وفي ذلك يقول زهير بن ابن سلمى:

تداركتمًا عبسًا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم(١)

ولما جاء الإسلام وأشرقت الدنيا بنوره، كانت الفتوحات العظيمة فطهرت دماء الشهداء الأرض.

يقول عمر الفرا في الشهداء :

هما رقدوا.. هنا سجدوا.. هنا قصفوا..

هنا وقفوا.. هنا رغبوا.. هنا سُلبوا ..

هنا صلبوا..

هنا ركبوا براق الله ونسكبوا بشلال من الشهداء..

ومن الثورات الشهيرة الدامية في الإسلام ثورة المسودة العباسيين ضد الأمويين.. بقيادة أبو العباس عبد الله بن محمد، المعروف بالسفاح «حينما أباد»..

الكم الهائل من أبناء بني أمية في مجزرة لايزال التاريخ يتحدث عنها بلسان المرؤخين، ومن خلالها أي الثورة نجا الرجل «الأسطورة» صقر قريش عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي بنى مجدًا جديدًا لبنى أمية في الأندلس «إسبانيا والبرتقال حاليًا».

(١) المنشم المر شاق الدق.. ومنشم: اسم عطاره كانت بمكه، كانوا إذا اقتلوا تعطروا بهذا العطر فصارت مثلًا للشؤم.

أما أكثر المشاهد رعبًا ودموية في التاريخ الأسلام هو المد الماغولي الكاسح بقيادة «هولاكو» و إبادة المدن الإسلامية الواحدة تلو الأخرى حتى وصلوا إلى العاصمة الإسلامية العباسية الجميلة «بغداد» الزاهرة بالعلوم، ودنسوا كل شيء وأعدموا حتى الكتب فأصبح نهر دجلة أسود اللون، وأخذو بقتل الرجال والنساء والعلماء وجيء بأخر خلفاء بني العباسي المعتصم بالله وقتل بطريقة مذله بيد «هولاكو» واستمر هذا المد المرعب بالاتجاه من شرق العالم الإسلامي إلى غربه في الشام وفلسطين وتركيا ولبنان ليأكل المغول الأخضر واليابس حتى تمكن القائد الإسلامي الرجل الزئبق، قطز «وركن الدين بيبرس» والقادة المماليك وأحفاد صلاح الدين الأيوبي من صد هذا المد الوحشي المدمر وهزيمتهم ودحرهم بالمعركة الشهيرة عين جالوت في يوم مشهود من الخامس والعشرون من رمضان لسنة ٦٥٨هـ.

إن المشاهد التي خلفها المغول حول العالم بقيادة الزعيم «جنيكز خان» من مذابح بشعة وسفك للدماء، نالت منها الصين واليابان والهند وروسيا وأجزاء كبيرة من قارة أوروبا حيث قتل الملائين من البشر ظلمًا وعدوانًا.. كما فعل أسلافهم الهون[١].

ولا يزال العالم أجمع حتى يومنا هذا يموج بمد هائل من الدماء والعنف والحروب والثورات.. المصاحبة للون الأحمر..

ناهيك عن الحوادث الكوراثية كالأعاصير والزلازل والبراكين أضف على ذلك حوادث الطائرات والقطارات والسيارات المفزعه!!

وبرغم أن هذا اللون الأحمر صاحب عنف وقتل وجروح.. ودماء.. إلا أنه صاحب مفارقات عجيبة ومثيرة..

فالأحمر يرمز أيضًا للحب والأشواق والرومنسية..

والمشاعر الجياشة.. ودموع العشاق وقلوبهم الدامية.. وعاطفة الإنسان إنما هي وحي ورغبة جامحة قوية ترتبط «الأنفس» وتغدو بها الروح إلى درجات عميقة من الوجدان

(١) الهون: شعب مغولي مترحل سيطر على جزء كبير من أوروبى الوسطى والشرقية وذلك بقيادة أتيلا حوالي عام ٤٥١م.

العاطفي، ومع هذا اللون «المثير» يبقى «الحب» بل أنه لون «الحب»، ففي الأحتفالات الرومانسية كيوم يزيد الحب الاهتمام بالأحمر كرسالة غرامية لاستجابة الدماغ التي ترتوي خلالها الأشواق، وتعبيرًا لهذا «الحب» تبقى الوسيلة الرائدة للمتحابين هي «الورده الحمراء» التي بدورها تصف أسمى المعاني الصادقة في الحب..

وقبل أن ندخل في أعماق الحب.. لنتعرف على الأسرار التي تلهب مشاعرنا وتجعلنا نحب ونعشق ونتيمم؟!

إمفيتامينات الحب

في خلايا الدماغ مواد تتشكل لتفرز ما يسمى (إمفيتامينات) فتصبح حدثًا مذهلًا إسمه (الحب) بكل أنواعه من عشق ووجد وهيام..

فالدراسات العديده أثبتت أن أدمغة العشاق تتضمن تركيزًا عاليًا من مواد مخدره طبيعية مثل (الأندروفين) و(الدروبامين) و(النوريبفوين) وأخيرًا (الفينيلثيلامين) المادة الأهم..

وهذه المواد تفرز في الدماغ بشكل طبيعي وتندرج تحت مسمى (الامفيتامينات) كما ذكرنا قبل لحظات..

وفي حالة ارتفاعها يزداد الذهن والاعصاب فتزداد حالة العشق أو الحب!!

تقول عالمة الأعصاب (هلين فشر) من جامعة روتجر، وجود ثلاث مراحل للحب تتغلب في كل مرحلة مادة كيميائية معينة، والمادة الأخيرة (الفينيلثيلامين) تفرز بأقصى قوتها عند الوقوع في الهوى لأول مره الأثر الذي قد يفسر عدم نسيان أول حب أو أول لقاء.. أو اللحظات الممتعة..

أما المادة الأولى (أندروفين) فيفرزها الدماغ عاده وقت الطواري لحجب الألم ولكنها تستمر لدى العشاق فتمنحه شعورًا إدمانيًا مسكنًا.. وبرغم ألم البعد لدى المحبين فقد تكسبهم المقاومة وشعورًا جميلًا بالسعادة والمتعة بألم الفراق..

أما الدكتورة (ماري ووك) في جامعة ستانفورد فتصف الحب كمرض حقيقي يؤثر على كيميائية المخ ويسبب أعراضًا جسمانية ونفسية أحدهما السرحان وأنخفاض حاسة التذوق وفقدان الشهية..

وهو أمر غير مستغرب.. فهذه حالات مكشوفة عند العرب منذ القدم أضف على ما قالته (ماري)، العزلة، والاكتئاب التي يمر بها العاشق!!

والمدهش في الأمر حينما قام الدكتور (أندرياس بارتيلز) عالم المخ والأعصاب في جامعة لندن بتجرية ناجحة لمتطوعين حيث أشترط أن يكون المتطوع واقعًا في الحب حتى النخاع، فوجد هؤلاء وأقعون (لمصيدة الحب) وهذا بستعمال تقنية التطوير المعروفة بـ MRI، وأن أدمغتهم (ملتهبة) وناشطة في ١٣ منطقة مختلفة!!

(وكلما قل إفراز الامفيتامينات أنخفضت نسبة الحب بين العشاق) وحينما تزداد يصبح الأمر في أشده من الحب هنا في أعتقادي أن مرحلة الهجر والفراق أو البعد.. هي قمة الأسى والحزن والألم وهو ما أنطبق على العشاق مثل قيس ليلى وكثير؛ عزه وجميل بثينه.. أو حتى حب الوزير إبن زيدون والأمير ولاده ..والمتنبي مع خوله أخت سيف الدولة.. وغيرهم..

مثل أشهر العشاق الغربيون.. كتريستان وإيزولده.. وروميو وجوليت.. واستفين ومجدولين.. والغريب أن حالات الهيام أو الحب تصل ربما لأنهيار عاطفي أو لأكتئاب طويل.. أو أنفصال عن الواقع.. أو الجنون.. وهنا الأمثله معروفه أصابت الكثير من العشاق.. مثل المتيم قيس بن الملوح.. حينما قطع الصحاري والقفار الطويلة تحت لهيب الشمس الحارة.. وهو نوع من جلد الذات.. أو الحالة الجنونية التي أقدم عليها الرسام الشهير (فان جاخ) بقطع أذنه وربط رأسه المصاب ثم قدم الأذن المقطوعة في لفافة (هدية) إلى محبوبته.. التي طلبت أذنه خلال إحدى مداعباتها له.. والأغرب أن مثل هذه الحالات تفرد بها الرجال دون النساء.. يقول الفرنسي دوبرييه، الرجال يموتون من الحب والنساء يحيين به.

ويقول الأبرويسيسر، الحب مبارزة تخرج منها المرأة منتصرة إذا أرادت.

أما هيلين رونالد فيقول: الحب ربيع المرأة وخريف الرجل!!

والشيء الذي يدعوا للحيرة وفعلا هو مركز العواطف في الدماغ لدى النساء أكبر من الرجال!!

ولسبنسر مقوله/ الحب أقوى العواطف لأنه أكثرها تركيبًا!!

أما ستا ندال فيقول/ نتائج الحب غير متوقعة.

وتقول سيمون دي برافوا/ الحب سلطان ولذلك هو فوق القانون.

وهو معنى مشابه لمقولة الدكتور طارق الحبيب (الحب لا يخضع للقوانين).

أما الشاعر نزار قباني فيقول:

إن الحب في الأرض بعض من تخيلنا   لو لم يكن موجودًا في الأرض لأخترعناه

ويقول المجنون:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادق قلبًا خاليًا فتمكنا

ولكن ماهي المشاعر المدفونة التي يخبئها المحب للمحبوب والتي يكنها في أحشائه ومهجته.. وكيف تكون المشاهد حينما يلتقي الطرفان فالأول يخفي هذا الشيء ولا يستطيع البوح به..

يقول أبو تمام في ذلك:

أفي الحق أن يضحي بقلبي مأتم   من الشوق والبلوى وعيناي في عرس

أما جرير فيقول:

إلا أيها القلب الطروب المكلف   أفق ربما يناي هواك ويسعف

والجميل ما قاله كثير عزة:

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا   ولا موجعات القلب حتى تولت

وأحد الصور الدراميا يصورها «ابن الدمينة» في قوله:

غـدت مقلتي في جنـة من جمالها وقلبـي غدا مـن هجرها في جهنم

ومن وجهته نظري المتواضعة.. أن الدماغ إنما هو مركز لذاكرة وهو (بدء) أول لحظات الحب التي يصطدم بها الإنسان فيصدر المخ ذبذبات أو مؤشرات وبالتالي يرسلها نحو (القلب) الذي هو مكمن الحدث حيث يكون القلب هو البيت لهذا الحب وقصره الكبير الذي يهيم ويستريح فيه!!

وهذا يدل دلالة واضحة أن الرمز الأول والأخير لمعنى «الحب» هو القلب.. وهو ما يجعلنا نصنفه في خانة (الأحمر) ..

يقول العباس الاحنف:

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عـدوي بـين أضلاعـي

ويقول قيس ليلي (المجنون):

وكنـت وعدتـني يا قلـب أني إذا مـا تبـت عـن ليـلي تتوب
فهـا انا تائـب عن حـب ليلي فـما لك كلـما ذكـرت تذوب

القلوب

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ليس القلب ذو الحجم الصغير في الجسد مجرد عضو يضخ الدم لكافة أعضاء الجسم ويبقى الإنسان بنبضه على قيد الحياة وإذا توقف «أنتهت حياته» بل هو مجموعة مذهلة من التشكلات والتنوعات والتقلبات، إن القلب سمي قلبًا لتقلبه لقول الرسول ﷺ: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء**»[(١)].

وورد أن قلب أبن آدم كريشه ملقاه في فلاه تفيئها الرياح..

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وقال الألباني صحيح.

أنه أشبه بمخلوق صغير يعيش بين أحضاننا يتألم معنا ويشقى معنا ويفرح معنا ومن أجلنا ويحب ما يشاء ويبغض ما يشاء.. ويحن ويكره.. ويخاف ويقدم يمرض ويشفي..

فالقلب المؤثر في كافة أنحاء الجسم بل هو المفكر وهو العقل فكيف ذلك؟!

يقول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦].

فالقلب يفكر ويتدبر، يقول عبد الدائم الحكيل في موقع أسرار الأعجاز في القرآن والسنة، أن القلب فيه أربعين ألف خلية عجيبه لهادور في هذه المهمة، أكتشفها العلم الحديث.. يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، ويؤكد الدكتور زغلول النجار أن القلب يفوق أهمية العقل!!

«هذا لما أثبتته الدراسات المختبرية به أن المجال المغناطيسي يفوق المغناطيسي للمخ بالفي مره والمجال الكهربي بـ ٢٠٠ ضعف.. وخلايا الذاكرة في القلب أكثر بكثير من خلايا الذاكرة في المخ».

كما أن العلماء لا حضوا أن أي أنسان له عملية جراحية في القلب يفقد جزءًا من ذكرته «فإدراكه القلب وعي الذكرة».

وأي إنسان يتم له نقل قلب أخر يكسب من مواهب هذا الإنسان وقدرته ومن عواطفه ومشاعره..

وحينما نقل قلب شاعر إلى سائق شاحنة.. صار هذا الأخير يكتب شعرًا!!

ونقل قلب موسيقار مشهور إلى إنسان لا يعرف الموسيقة.. أصبح موسيقيًا..

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].مما يؤكد أن المركز الخطير في الإنسان هو القلب الذي يفوق أهميته الدماغ.

دقات القلب والحياة:

يقول أحمد شوقي:

دقـات قلـب المـرء قائلة له   أن الحيـاة دقائـق وثـواني

هناك نظرية صائبة جدًا، حيث تقول إن القلب مع عمر الإنسان وكافة المخلوقات تكون بحسب دقات القلب ونبضاته!! فالمخلوقات التي تخفق قلوبهم بسرعة كبيرة تعيش لوقت قصير.. والتي تخفق ببطء تعيش لعمر أطول.. فقلب الفيل مثلًا يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة ويعيش لنحو ستين عام أو أكثر، في حين طائر الطنان الصغير الحجم يخفق قلبه ١٣٢٠ مرة في الدقيقة وهو بالكاد لا يعيش لأكثر من عام وبرغم تفاوت سرعة الخفقات بين مختلف المخلوقات إلا أن عدد الخفقات ذاتها يكاد يتساوى لدى الجميع.. بمعنى أن الفيل والحصان والفار وطائر الطنان يتساوون في عدد الخفقات مع أعمارهم الافتراضية.. وهذا ينطبق أيضًا من الناحية «الزمنية» حيث أن الفار وطائر الطنان والنحل أو حتى الفراشات برغم المدة القصيرة التي تعيشها تتناسب مع حياتها، وإحساسها الزمني أو مع الوقت «الطويل» بنسبة لعمرها!!

الفواكه الحمراء

أثبتت الدراسات أن الفواكه الحمراء مفيدة جدًا للاوعية الدموية وتساعد على حماية القلب..

وهناك نظرية حديثة عجيبة تقول: أن الأشكال والألوان للفواكه تأخذ نفس صفات العنصر الذي تكون مشابهة له في جسم الإنسان..

فالفواكه الحمراء مثلًا كالفراولة والتوت والكرز والعنب الأحمر والتفاح الأحمر والطماطم، هي ما تفيد كليًا للعضو المشابه لها في جسم الإنسان..

فحين نقوم مثلًا بشطر الطماطم ونأخذ شريحتها التي تتكون من أربعة حجرات مثل حجرات القلب الأربعة (البطينين والأذونيين) فالأبحاث الحديثة تؤكد أن الطماطم طعام القلب والدم.. وكذلك عنقود العنب الأحمر الداكن الذي يشبه خلية دموية فهو مفيد للقلب والدم كذلك..

أما الفصولية الحمراء التي تشبه الكلى فهي تساعد في أداء مهام الكلى بفعالية عالية..

أما الفراولة فهي صديقة القلب الحميم.. وهما متشابهان للغاية.. فالفراولة مفيدة جدًا للقلب، وتحفظ من خطر الإصابة بالسرطان وتعمل على الوقاية من السكر؛ إذ أن الصبغة «الحمراء» الموجودة بالفراولة تحمى القلب مثل الطماطم وعصير الفرولة محافظ جيد على الرشاقة حيث يحتوي ١٠٠ جرام منها على ٣٠ سعره حرارية وتعد الفرولة من الفصيلة الوردية يطبق عليها أيضًا اسم «فريز» وذلك نسبة إلى الشاب الفرنسي (فريزييه) الذي حملها لفرنسا في عهد الملك لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر..

التفاح الأحمر.. وأشهر ثلاث تفاحات:

التفاح هو حامي القلب بدرجة «جنرال» فهو يمتاز بغنى المواد المضادة للأكسدة كذلك فهو يتمتع بمميزات أكثر من التفاح الأصفر والأخضر وهذه المستويات العالية المضادة للأكسيدة المقاومة للسرطان عالية جدًاُ والمعروفة باسم (بوليفنول) من النوع المعروف باسم (ايمبير) الذي يحتوي على أقل مستوى من العناصر الغذائية المفيدة.. و(بوليفينول) مركبات توجد داخل الثمرة.. وطعمها الحلو متواجده في التفاح الأحمر.. دون التفاح الأخضر الحامض الطعم..

وإذا كان للتفاح ثلاثة ألوان جميلة.. فهناك ثلاث تفاحات شهيرة دخلت التاريخ من أوسع أبوابه.. بل وغيرت مسار الحياة البشرية!!

فتفاحة آدم عليه السلام وبأكلها كانت سببًا في خروجنا من الجنة ..وتفاحة نيوتن ونظرية الجاذبية التي دخلت بها العلوم الفيزيائية وغيرها في نمط الحياة على مستوى الأرض والفضاء!!

وتفاحة (أبل) الشركة التي أسسها ستيف جويز عام ١٩٧٦م وأنطلقت خلالها الثقافة التكنولجية عبر جهاز الكمبيوتر الشخصي.

وأخيرًا لنأخذ هذا البيت من ديوان ابن زيدون في التفاح:

يقـدم أفـواه الكونـس بتفاح إذا طلعت في راحة أنجم الراح

ثمرة التوت التي تغير لونها إلى الأحمر:

رمزت في الأساطير اليونانية إلى الحب التراجيدي المفجع باعتبارها قد تشكلت من دماء عاشقين هما بيرمواس وتي فتحولت هذه الثمرة إلى الأحمر بعدما كانت بيضاء!!

(شجرة التوت هي مربي لدودة القز التي تنتج الحرير)[١].

يقول المتنبي:

كل شيء من الدماء حرام ... شربة ما خلا دم العنقود

ويريد بدم العنقود (الخمر) لأنها تخلب منه كما يسيل الدم من المقتول وليس الأمر ما قال شرب الخمر لا يحل إلا أن يريد بدم العنقود خلاصة الثمار وعصيرها.

الفاكهة الياقوتة «الرمان»:

قال تعالى: ﴿وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] أن ثمرة الرمان قد حظيت بتقدير لما أشار إليها القرآن الكريم في العديد من المواضع والاكتشافات المذهلة لهذه الثمرة من فوائد شتى وعلاج لكثير من الأمراض وعلى رأسها «السرطانات» وأمراض المعدة بكل أشكالها وتعدداتها والجهاز الهضمي والألتهابات أهمها الجهاز التناسلي والافرازات لدى النساء وفرط الطمث، وأمراض الجلد وما نراه الأن في العديد من «الشعارات للجمعيات الطبية البرطانية» هي صوره «للرمان» كأحد أهم الرموز أو العلامات لشعارات الهيئات الطبية العالمية..

فالمصريون القدماء كانوا يعتبرونه واحدًا من الفواكه المفيدة ووجد في الرسوم الموجودة في المعابد المصرية القديمة..

كما أن الديانة اليهودية ذكرت الرمان باعتباره إحدى من وصايا التوراة فهو يرمز إلى

---

(١) انظر لزاوية الأبيض في هذا الكتاب عن «الحرير».

الحرمة والقداسة والخصوبة، لذلك فقد كان يزين أعمده هيكل سليمان كما يزين ملابس ملوك اليهود وأحبارهم.. وفي الفنون المسيحية يعتبر رمزًا للبعث والحياة والابدية فهو يوجد في تماثيلهم المقدسة كما تحوى عليه الايقونة الشهيرة للعذراء والطفل.. وفي البوذية يعتبر الرمان واحدًا من الفواكه الثلاثة المقدسة وفي أسطورة (هارتي) التي كانت متوحشة وتأكل الأطفال فقد شفيت من الشر عندما أعطاها بوذا رمانة لتأكلها وشخصية (هارتي) يقدمها اليابانيون أيضًا ويتقرب إليها النساء العاقرات..

أما في الصين فيستخدمه الشعب بشكل كبير في فنون الخزف حيث يرمز إلى الخصوبة والوفرة والذرية الصالحة والمستقبل السعيد.

وكذلك في الديانة الزرادشيه، والموطن الأصلي للرمان في بلاد فارس كان يستخدم كثيرًا في الطقوس والشعائر الدينية..

وأمافي الحضارة اليونانية فإن الرمان كان يمثل الحياة والتكاثر والزواج.. أما في عالمنا العربي دخل الرمان قشرته في الطب الشعبي من أوسع أبوابة لفوائده الكبيرة على سلامة وصحة الإنسان.. يقول أحمد محمد بن فرح وأصفًا الرمان «بالأندلس»:

ولا بسة صدفًا أحمرًا أتتك وقد مُلئت جوهرًا
كأنك فاتح حق لطيف تضمن مرجانة الأحمرا

الزهور الحمراء.. حب وإغراء

زهرةالرمان:

وتسمى «الجلنار» وهو اسم فارسي، تسقط زهورها الجميلة بعد أن أعياها برد الشتاء وبعد أن أخذت حمرة الرمان.. وقد لفتت هذه الزهرة الحمراء رائعة المظهر نظر العديد من الشعراء نظرًا لجمالها وجاذبيتها..

يقول نزار قباني:

تلك العيناها.. أصفى من ماء الخلجان..

تلك الشفتاها.. أشهى من زهر الرمان..

ولأبو العباس الناشي بيت يقول فيه:

كأن الدموع على خدها بقيـة طـل عـلى جلنـار

زهور التوليت:

يعتبر هذا النوع من أجمل الزهور الحمراء وهوغاية في الرقة ذو رائحة عطرية جذابة.. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أرسل الهولنديون السفن المشحونة بكميات هائلة من بصيلات وزهور «التوليت» الحمراء إلى أوتو الكندية كعربون شكر من الشعب الهولندي إلى كافة الجند والحكومة الكندية التي أستقبلت الملكة ماريا ورعتها أثناء اشتعال الحرب.. ومن حكايات الوردة الحمراء.. بائعة الورد الفرنسية الجميلة البيجوم (أم حبيبة) التي عشقها أغا خان الثالث وتزوجها وجعلها أغنى أمراءه في العالم فبعد رحيل زوجها الأغا خان ومنذ أكثر من سبعة وثلاثون عام وحتى الآن.. يتم صباح كل يوم وضع ورده حمراء داخل كأس فضي رقيق على قبر أغا خان وقد حرصت (أم حبيبة) قبل رحيلها على زراعة حديقة فلتها الموجودة بمصر بهذا النوع من الورد الأحمر بكميات كبيرة تنفيذًا لوصية زوجها الذي كان لا يجلس بمكان ى يحتوي زهورًا حمراء..

يقول الرصافي:

وكأن محمـر الشـقيق وحولـه في الروض زهر الياسمين يمور
شـمع توقـد في زجـاج أحمـر فغـدا حواليـه الفـراش يدور

زهرة شقائق النعمان:

يقول المتنبي:

وقدصارت الاجفان قرحى من البكا وصـار بهـارًا في الخـدود الشـقائق

أرتبط اسم شقائق النعمان في الأدب العربي وذلك حينما طلب ملك الفرس أن يأتي بأجمل

النساء العربيات.. اللاتي يقمن بقصر الملك النعمان بن المنذر ومن حضايا الملك، فرفض النعمان ذلك الطلب والخضوع مما أسفر عن مقتله بعدما داستهُ الفيلة.. فنمت بقصره هذه الزهور الحمراء.. بعد أن تمكن العرب من هزيمة الفرس وسحقهم في معركة شهيرة إسمها «ذي قار» ويقال أن الملك النعمان بن المنذر أستحسن الزهور الحمراء التي تعرف إلى يومنا هذا «بشقائق النعمان» فأمر يزرعها حول قصرة المعروف بـ «الخورنق وأمر بحمايتها».

وفي حديث أبي رافع في كتاب لسان العرب إن في الجنة شجرة تحمل كسوة أهلها أشد حمرة من الشقائق، وهو هذا الزهر الأحمر المعروف.. ويقال له الشقر وأصله من الشقيقة وهي الفرجة بين الرمال..

يقول صفى الدين حلى:

نسج الغبار على الجياد مدرعًا موصولة بمدامع الفرسان
ودم بأذيال الدروع كأنه حول الغدير شقائق النعمان

ولزهور النعمان فوائد علاجية عديدة كما أشار العشاب الإيرلندي «كيوخ» وذلك عام ١٧٣٥م أن غلى الزهرات ثم شربها بعد تصفيتها؛ ليخفف الألام، ويحث على النوم لأنها علاج فعال للسعال والربو..

يقول أبو نواس: «وأشرب على الورد من حمراء كالورد»

ولجمال المراءة وحسنها عند العرب أمتزاجٌ بالأحمر فالاوصاف التي تغنى بها كبار الشعراء.. والاوصاف الرائعة في لون الخدود الحمراء «بألوان الورود».

وما أجمل ما قاله الشاعر الحصري القيرواني، بمحبوبته:

يا من حجدت عيناه دمي وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمي فعلام جفونك تجحده

أما شوقي، فيقول متغزلًا..

وتأودت أعطاف بانك في يدي وأحمر من خديهما خداك

أين الشـقائق منك حـين تمايلا وأحمـر مـن حفريهـما خداك

وللمتنبي أيضًا بيت جميل:

كـم قتيـلًا كـما قتلت شـهيدٍ بيـاض الطـلا وورد الخـدود

ولأبي فراس الحمداني وصف آخر:

حسنت فطاب نسيمها فكأنها مسك تسـاقط فوق خد أحمر

وللشفاه الحمراء عند العرب جمال من نوع أخر:

فيقول ذو الرمة:

«لمياء في شفتيها حمرة العس»

أما ابن المعتز فيقول:

غدا بأحمرار الخد للحسن جامعًا ومـن فيـه للتبسـم رضوانـا
فأبـدى لنـا من ثغـره ورضا به وعأرضه راحًا وروحًا وريحانا

يصف الواؤاء الدمشقي محبوبته بعض شفتيها تحسرًا على فراقة، فيقول :

وامطـرت لؤلـؤا مـن نرجسًـا وعضـت عـلى العنـاب بالبرد

أما الشاعر عازار نجار فقد جمع لون الخدود مع حمرة الشفاه فقال:

تقمص ورد المـرج لون خدودها ومن شفتيها استلهم الحمرة الزهر

وأخيرًا لـ إيليا أبو ماضي.. هدية العيد لمحبوبته التي أحتار فيها أي نوعية تعبر عن الحب «من الأشياء وأيهم أكثر قيمة وغلاء».

فيقول لها:

أي شيء في العيـد أهـدي إليك يـا مـلاكي وكل شيء لديـك

أساور أم دملجا من نضار لا أحب القيود في معصميك
أم ورد والورد أجمله عندي الذي قد نشقت من خديك
أم عقيقًا كمهجتي يتلضى والعقيق الثمين في شفتيك

حمرة الشفاة (الميكآب)

لجأ الإغريق إلى استخدام الحمرة لتحمير الوجنات بالرغم من تقديرهم للمظهر الطبيعي وتحاشيهم استخدام معظم مواد التجميل، كما اجتاحت اوربا حمرة الخدود التى توضع مع المسحوق الأبيض الذي يتواجد من خلالها مادة الرصاص فقد يضعن النساء هذا المسحوق لأعناقهن وصدورهن طيلة ألفي عام تلت، ولكن تبين بعد ذلك أن لهذا المسحوق تدمير للبشرة، ودفع بأعداد كبيرة من النساء للموت المبكر، وفي منتصف الثامن عشر الميلادية استخلصت أدوات هذه الزينة وحمرة الشفاة من مركبات مستخلصة من الفاكهة مثل التوت المركب وبعض الخضار لسنوات.

سنت قوانين إغريقية ورومانية صارمة تحد من وضع الطلاء على وجوه النساء واعتبر ذلك بمثابة الخداع للرجل والزواج منه بطريق غير شريفة، كما أعلن اللاهوتي اكليمنضس الإسكندري[١] قانونًا فى القرن الثاني يحرم على النساء خداع الرجال للزواج بهن بواسطة استخدام مستحضرات التجميل وأدخل فى نهاية عام ١٧٧٠م[٢] التشريع القاسي إلى البرلمان البريطاني الذى نص: «أيا كان عمر المرأه، عرقها أو مهنتها أو وضعيتها العائلية من عازبة إلى متزوجة أو حتى إلى ارملة، سينزل بها العقاب شانها فى ذلك شان الساحرات، إن هي أغرت أحد الرجال أو خدعته للزواج منه باستخدام العطور أو مواد التجميل أو الاسنان الاصطناعية أو الشعر المستعار وسيبقي زواجها مسجلًا دون أن يعمل به . لكن لم يدم هذا التشريع طويلًا».

(١) أكليمنضس الإسكندري (١٥١-٢١٤) كاتب مسيحي علم في الإسكندرية وكان من مؤسسي مدرستها اللاهوتيه.

(٢) انظر كتاب العادات والتقاليد لتشاارلز باناتي، ص٢٤١.

الجدير بالملاحظة فى تلك الحقبة من الزمن، اشتد هوس استخدام اللون الأحمر فوق مساحيق الوجة البيضاء فى بريطانيا وفرنسا وقد وصفت النساء الشغوفات بأحمر الشفاة وحمرة الخدود بالاعلام والصحف بابشع الاوصاف وأهينت المرأة المتزوجة التى تمارس هذا التقليد حتى اختفت فى أواخر القرن التاسع عشر، الحمرة ومساحيق الوجه وأحمر الشفاة التي يبلغ عمرها ستة آلاف عام من أوروبا.

ذكرت إحدى مجلات الموضة فى تلك الفترة من الجمود تقول: يعد طلاء الوجه والشفاه مقبولًا فقط فى هؤلاء الذين يظهرون على خشبة المسرح لضرورة العمل.

اقتصرت فى تلك الفترة، مستحضرات التجميل المعدة منزليًا على ممثلات المسرح ومع اقتراب بزوغ القرن العشرين عاد الناس خاصة فى فرنسا إلى تلك المستحضرات مما خلق رواجًا لصناعة مواد التجميل وصارت تباع فى المتاجر تحت اسماء تجارية مسجلة مثل: غويرلاين، ويغلون، لودير، آفون أكسب انكباب الكيميائين على عملهم لإنتاج اول مستحضرات جمال صحية فى العالم.

وردة الدهان

قال الله تعالى: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

وهنا إشارة بإن السماء سوف تفتح فتصبح كالوردة الحمراء وذلك اليوم الموعود يوم الحساب والجزاء..

وهذا الوصف لأشتعال السماء كاللهب أو الجمرة وتغير معالم الأرض من خلالها والكون كافة، أما الدهان ما ينظر من الدهن يكون متلونًا بألوان متعددة..

الأشعة ما دون الحمراء:

نسمع دومًا عن الأشعة ما دون الحمراء ولنتعرف عليها، إذ أن ضوء الشمس يتألف من ألوان عديدة وهي مكونات (قوس قزح) وهناك أشعة غير مرئية تنبعث من الشمس ومن بينها الأشعة دون الحمراء.

وتعتبر الأشعه الحمراء سلاحًا صالحًا للتصوير الجوي لانها تستطيع اختراق السحب والضباب وذلك أكثر من الاشعه الضوئية المرئية كما أن آلات التصوير بالأشعة دون الحمراء تستخدم فى تصوير النجوم البعيدة..

والأشعة دون الحمراء هي المسئولة عن شعورنا بالدفء والحر عندما نتعرض للشمس.

وأيضًا نستخدم هذه الاشعة فى توليد الحرارة المفيدة فى أنواع معينة من العلاج الطبي[١].

أما النباتات فتبين للعلماء انها لا تمتص الاشعة تحت الحمراء بل تعيدها وهذا يساهم فى تنظيم درجة الحرارة للغلاف الجوي ولا يزال هذا الامر لغزًا محيرًا للعلماء!!

تطلق العرب على اللون الأحمر عدة أسماء مثل أحمر قاني، ومدمي وكميت وجريال، وعندم، واسفح وارجواني..

يقول عنترة:

وما كنت فى دوح تمس غصونة   ولا خضبت رجـلاك أحمر قاني

و«جريال» أطلقه «قيس بن زهير» اسمًا لفرسه، وهو صبغ أحمر..

يقول المتنبي:

ساقي كوؤس الموت والجريال   لمـا أصـار القفص أمـس الخالي

أي أنه يسقي أعداءه كوؤس الموت والدماء الحمراء، ويسقي أولياءه كوؤس الخمر..

قصة الأرجوان

الأرجوان هو صبغ أحمر والفينقيون[٢] هم من استخرجوه من بعض الأصداف،

(١) انظر كتاب لقطات من العالم - للأخوين إبراهيم وعلي شرف الدين، ص١٦٤.
(٢) لفينقيون هم من أصل سامي شعب انحدر من الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين وانتشرو في غرب=

وتوجد كميات كبيرة فى سواحل البحر الأبيض المتوسط من صدف «الموركس» كما تؤكد الأسطورة اليونانية أن الملكة هيلين كانت تتنزه فى طروادة للتخفيف من ألم الأسر فلاحظت أن السمكة الصدفية التى كان كلبها قد مضغها صبغت فمه بالون ارجواني غامق فاعجبت بهذا اللون واشترطت على من يتزوجها ان يقدم لها ثوبًا مصبوغًا بالأرجواني؛ لذلك كانت الثياب المصبوغة باللون الارجواني ثمنها مرتفع!! لدرجة ان هذا اللون أصبح لطبقة الأغنياء وللملوك فى اليونان والرومان وتتفرد المرأة العربية منذ القدم بزيها الأحمر فقد كانت ولا تزال تتزين بملابس وجلاليب حمراء اللون.

وفى ذلك يقول المتنبي:

مـن الجـاذر في زي الاعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وهنا يصف المتنبي النساء وحسن عيونهن بالجاذر/ جمع جوذر ولد البقرة الوحشية لجمال العيون الواسعه السوداء، المتحليات بالذهب الأحمر، الممتطيات النياق الحمر ومشتملات فى الثياب الحمراء، يعني أنهن من نساء الملوك لأن الحمره لون الاشراف عندهم، والنياق الحمر أغلى واكرم النياق لدى العرب . وهذا لما اخبر به النبي ﷺ فى صحيح البخاري: قال عليه الصلاة والسلام «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**».

حمر النعم: هي الابل الحمر، وهي المثل عند العرب فى نفائس الأشياء وأموالهم.

أما الخيول الكمت وهي وصف للخيول العربية «الحمراء»

يقول الشاعر الجاهلي علقمة الفحل:

لبيع الـرداء فى الصوان المكعب   كميت كلون الارجوان نشرته

= الأردن وسواحل سوريا ولبنان حيث استقرو هناك في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، ومن المفراقات العجيبة أن كلمة كنعان السامية تعني اللون الأحمر وكلمة فينكس phoenix التي منها فينيقيا معناها في اللغة اليونانية اللون الأحمر، وذلك حينما اتصل اليونانيون بشواطيء سوريا ولبنان وأطلقو عليهم اسم فينكس أي اللون الأحمر لأنهم تخصصوا في صناعة الصبغة الحمراء والملابس الأرجوانية الزاهية. كما أن الفينقيون هم من اخترع الحروف الهجائيه وذلك لتجارتهم ومعاملاتهم.
انظر كتاب تاريخ المغرب والأندلس لدكتور: أحمد مختار العبادي، ص٢٦،٢٣.

الشهرة أو الموت.. على نغمات الفلامنجو الإسبانية

مصارعة الثيران «اللعبة الدموية» القاسية العنيفة، إما أن يترنح الثور حتى الموت جرا السهام العديدة التي يلقيها عليه المصارع أو بغرز السيف الذى يحمله.. أو ربما يحدث العكس فبلحظة خاطفة يمزق الثور بقرنه جسد المصارع الأنيق!!

بدأت هذه اللعبه بإسبانيا فى القرن الثامن الميلادي وحرمتها الكنيسه الكاثوليكية ثم عادت فاباحتها شريطة أن يشترك الثور لمره واحده فقط!!

توجد فى إسبانيا أكثر من اربعمائة حلبه للمصارعه يبلغ بعضها لأكثر من ٢٠ الاف متفرج.. وتقام حفلات المصارعه تحت رعاية محافظ المدينة..

ويتم إختيار الثور القوي البنية الشجاع فالثور الجبان قد يفسد اللعبه لانه قد يقتل من الوهله الأولي من المباراه!!

وعلى «نغمات الفلامنجو» الإسبانية «تبدأ الملحمة الحمراء».

يحمل المصارع الرشيق السهام والصولجان وقطعة القماش الحمراء لتهييج الثور من خلال تحريكها وفى الحقيقة أن الثور مصاب بعمى الألوان فهو يرى كل الألوان رمادية إنما تهيجه من تمايل قطعة القماش..

«الكوريدا» أو مصارعة الثيران هي جزء من الثقافة الإسبانية فقد خصص لها كبار الرسامين مثل غوياو سالفادور دالي وبيكاسو لوحاتًا خالده..

وتوجد روايات مشوقه ابطالها من مصارعي الثيران علاوة على إفلام سينمائية.. والأهم انها لقت شعبية جارفه وأصبحت صناعه تدر مئات الملائيين من اليورو..

حاولت الحكومة والبرلمان الإسباني وتحديدًا مقاطعة كاتلونيا بمنع هذه اللعبه واصفينها بالبشعه بحق قتل حيوان برئ.. وحاول الفاتيكان فى القرن التاسع عشر منع مصارعة الثيران ولكنه تراجع فى نهاية المطاف..

فالحزب الشعبي المحافظ يعتبر مصارعة الثيران جزءً من الثقافة الإسبانية والتخلي عنه يعني مباشرة ضرب كل هذه الثقافة فى العمق..

ومن السخرية ان يعلل كثير من هواة هذه اللعبة والمهتمون بتربيتها.. بقولهم.

«ثيراننا تربي وتعيش فى ظل طمانينة الريف قبل أن تموت ميته شريفه وسط الحلبه..

ونرى الطريقه التى تستعمل فى قتل الحيوانات لأكل لحومها أكثر وحشية»؟!

وبعد إصرار من البرلمان الكتلوني.. منعت أخيرًا الكوريدا.

وفى نهاية ٢٥ سبتمبر ٢٠١١م أحتفلت مدينة برشلونة بآخر مباراة لمصارعة الثيران على أرضها المقاطعه «الكاتلونية» وشارك فى مبارة الوداع لهذه «المعركة» المصارع الشهير خوسيه توماس اللاعب رقم واحد فى إسبانيا، حيث بدأ المباراة بتوجيه الطعنات التقليدية إلى الثور الهائج، بينما أختتم المباراة زميله المصارع سيرافين مارين الذى نجح فى قتل الثور السادس والأخير وسط تصفيق حاد من الجماهير التي اكتظت حول حلبة «لامونيونتال» التي تبلغ سعتها ٢٠ الف مشاهد والتصفيق المهول ليس بقتل الثور إنما تكريمًا له بإعتباره الماتادور الأخير الذى سيشهدونه..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل سارع الكثير من الحاضرين إلى إقتحام أرضية الملعب الترابية ومحاولة الحصول على حفنة من التراب فى زجاجات تخليدًا لهذه الذكرى.!!

الياقوت الأحمر الأغلى ثمنا

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨].

قال القرطبي فى تفسيره ما رواه الترمزي عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ: «**إن المراة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة، حتى يرى مخها**».

وهي وصف لحوريات الجنة، وقال الحسن: هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان، فالياقوت هو حجر كريم أحمر اللون زجاجي براق وهو عباره عن أكسيد الألمونيوم

ينتج اللون الأحمر بشكل أساسي من وجود مادة الكروم التي توجد داخل الصخور المترسبة.

أما بقية الحجار الكريمة «الحمراء» فانها تكتسب حمرتها من اختلاط معدنها الاساسي بشيء من الماغنيزيوم أو اكسيد الحديد اضافة كما ذكرنا مادة الكروم وأكسيد الألمنيوم ومع تشكلها بهذا اللون يعطيها اسمًا مميزًا ويرفع سعره إلى مستويات فلكية ومن هذه الحجارة نذكر (البيروب) أغلى حجر فى عائلة الغرانيب والروبيلايت وهو التورمالين الأحمر والروبيسال وهو السبينال الأحمر والياقوت الأحمر (RUBY) وهو من عائلة الكورندوم وهذا الاخير كما ذكرنا هو الاشهر والأغلى.

السبينال شبيه الياقوت الأحمر «يخدع الملوك»!!

يمكن لحمرة الحجارة الكريمة ان تتقارب إلى درجة تخدع فيها أكثر العيون تمرسًا باللون الأحمر وعيون ملوك اوروبا ففي وسط التاج الذى تعتمره ملكة بريطانيا يوجد حجر كريم أحمر عرف تاريخيًا باسم «ياقوتة الأمير الأسود» ولهذه «الياقوتة» التي تزن ١٧٠ قيراطًا، سيرة ملحمية تبدأ من الأندلس ففي اواسط القرن الرابع عشر كانت هذه الجوهرة الحمراء فى حوزة صاحب «قصر الحمراء» أبو سعيد امير غرناطة الذى قتله غدرا مضيفه بطرس الرهيب صاحب إشبيلية للأستيلاء على جواهره. ولكن بطرس الرهيب تعرض لتمرد من اخيه فاستنجد بالأمير الإنجليزي ادوارد اوف وودستوك المعروف باسم «الأمير الأسود» وقدم هذا الاخير المساعدة العسكرية المطلوبة مشترطًا الحصول على «الياقوتة الحمراء» فكان له ما أراد بعد معركة «ناجيرا» التى دارت عام ١٣٧٦م فى إسبانيا ومنذ ذلك الحين استقرت هذه الجوهرة ضمن ممتلكات ملوك انجلترا، وظهرت فى مناسبات تاريخية ومعارك عديدة، حتى استقرت وسط التاج الذى صيغ لتتويج الملكة «فيكتوريا» وما زال ملوك بريطانيا يستخدمونه فى بعض المناسبات الرسمية، الطريف في الامر أنه بعد تطور وسائل اختبار نوعية الحجارة الكريمة فى العصر الحديث كشفت أن «ياقوتة الأمير الأسود» ليس «بياقوت» بل حجر «سبينال» ولكن ذلك لا يعني انتقاصًا من قيمة هذه الجوهرة الحمراء لأن «السبينال» بهذا الحجم الكبير يبقى يساوي ملايين الدولارات ناهيك عن قيمته التاريخية

وأكثر من ذلك يؤكد الخبراء فى هذا الشأن أن كل الاحجار الضخمة التى رصعت تيجان اوربا فى الماضى بوصفها من الياقوت هو فى الواقع سبينال!!.

من أشهر الجبال التاريخية الحمراء

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

«جبال القلمون» فى سوريا وبها الأثار والمغاور والمباني المحفورة فى الصخر والكهوف والمعابد والكنائس والمقدسات المسيحية التاريخية المهمة، ومنها جبل قاسيون الشهير بدمشق وفيه آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبها مغارة الدم، التي يقال فيها قتل قابيل لأخيه هابيل..

وبعض من السكان لا زالو يتحدثون اللغة الأرمية (اللغة السورية القديمة) وهي مناطق جبلية خلابة واطلالتها الساحرة ومصايفها الشهيرة وتكثر بها الاشجار وتثمر بها انواع الفواكه.

«جبل الرقيم» المذكور بالقران ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

فهو اسم الجبل الذى فيه الكهف الموجود بين عمورية ونبقية ويقال أن عباده بن الصامت لما بعثه أبوبكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رسولًا إلى ملك الروم للإسلام، وبدخوله أرض الروم شاهد جبلًا أحمر، قالو أنه جبل اصحاب الكهف وحينما دخل سرداب الجبل إذا به بابًا حديديًا ففتحوه لعباده وصحبه، فوجد به ثلاثه عشر رجلًا مضجعين وكأنهم رقود، ووجوهم مضاه وصفاء الألوان كالاحياء، وبعضهم شباب، وبعضهم موفوره شعورهم، وهم على زي المسلمين، فلما أنتهو أي (عباده ومن معه) إلى أخرهم فاذا هو مضروب الوجه كأنه ضرب فى يومه.

وأن هؤلاء كانوا أنبياء بعثوا فى زمن واحد وذلك قبل المسيح بـ ٤٠٠ سنة[١].

(١) انظر كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني، ص١٥٣.

«جبل الطور» الموجود بسينا بمصر والأيات العديدة التى ذكرها الله وأقسم به في كتابه العزيز هو المكان الذى كلم الله تبارك وتعالي موسي عليه السلام والأيات والمعجزات التي حدثت ومنها لقاء موسى بالعبد الصالح خضر، والموقع الذى حدث به الرفع على بني إسرائيل.

«جبل سرنديب» الموجود في الصين وهو الجبل الذى اهبط عليه ادم عليه السلام كما يوجد فيه آثار أقدام أدم عليه السلام ويقال أن الياقوت الأحمر والألماس «والعود» الخشب الطيب الرائحه توجد بكميات كبيرة منها على سفوح هذا الجبل.

قصر الحمراء[١] وبنو الأحمر بالأندلس

«غرناطة» المدينة الأندلسية الجميلة التي تقع جنوب أسبانيا والعاصمة مدريد وهي أخر مدينة تسقط من يد المسلمين، وبها المعقل الأثري «قصر الحمراء» شيدها الأمير الأمازيغي باديس بن حبوس وأنتهى بناؤها فى عصر بني الأحمر، وقصر الحمراء هو القصر الملكي لبني الأحمر أو بني نصر في الحقبة الإسلامية الأخيرة في الأندلس وهو تحفة فنية رائعة تمثل ذروة الازدهار الفني من حيث نقوشه وأبهائه ونافوراته وحدائقه، كما أنه يعتبر مدينة مصغرة مقسمة لعدة أقسام، القسم الملكي، الأسرة المالكة والوصيفات والقادة والحرس والخدم والجواري والقسم العسكري الذي يضم الأساور والأبراج وهو ما جعل القصر منيعًا استعصى على الغزاة أحتلاله لمدة تفوق ٢٥٠ عام ولكن الضعف والخذلان، ضيعا أخر جوهرة ثمينة من العقد الفريد بالأندلس، وعلى أثرهما سقطت غرناطة والحمراء.. وبكاها آخر ملوكها الفتى أبو عبدالله بن محمد الثاني عشر وملقبه الغالب بالله بعد أن حوصر فى المدينة وضيق عليه الخناق من فرناندو الثاني ملك (أرغون) ومن معه من المتحالفين الأسبان.. إلا أن استسلمت وذلك عام ١٤٩٢م،[٢] المكان الذى القي منه هذا الامير محمد الثاني عشر نظرته الأخيره على قصر الحمراء.. وغرناطة ما زال معروفًا باسم «زفرة العربي

(١) سميت بالحمراء لأن الربوة التي قامت عليها هذه القلعة تربتها حمراء اللون ولهذا عرفت باسم السبيكة؛ لأنها تكون تحت أشعة الشمس مثل سبيكة الذهب الحمراء.

(٢) انظر كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري، الجزء السادس، ص٢١٤.

الأخيرة» بكى هذا الامير مودعًا غرناطه والحمراء بل الأندلس با كملها.. حينها قالت له أمه عائشة الحره (أبك مثل النساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال).

وقد صوره المستشرق الإسباني «غرسيه جومز» بالثمالة الأخيرة أو العصرة الأخيرة لليمونة فهي حلوة ومرة في آن واحد[1].

يعد قصر الحمراء اليوم موقعًا سياحيًا واقتصاديًا ومشهدًا يلهب الزوار شوقًا لرؤيته: وهو تحفة فنية معمارية وطراز هندسي قمة فى الروعه وبه الزخارف والنقوشات من آيات قرانية وأدعية وقصائد لأعظم الشعراء، ومنها قصائد الوزير الشهير (لسان الدين الخطيب: الفيلسوف والمؤرخ والطبيب والسياسي الأندلسي، فقد نقشت أشعاره على حائط القصر بالحمراء) وهو صاحب القصيدة الفريده.

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما فى الكرى أو خلسة المختلس

أما بنو الأحمر فهم سلالة من قبيلة الخزرج القحطانية من جنوب غرب الجزيرة جاء اجداد الأسرة الأندلسية مع سقوط دولة الموحدين فى الأندلس وتمكن محمد بن نصير بن الأحمر سنة ١٢٣٢م من الأستحواذه على ارجون وأعلن نفسه سلطانًا وأستولى بعدها على العديد من المناطق والمدن جنوب الأندلس (غرناطة) و(ملقه) سنة ١٢٣٨م فاصبحت غرناطة مركز للحضارة الإسلامية فى الأندلس إلى سنة ١٤٠٨م.

فبدأت رحلة السقوط ودخول العديد من الافراد فى صراعات داخلية على السلطة، وكانوا يلجأون أبناء العمومة من بني الأحمر على الأستعانه لملوك القشتاليين لطلب المساعدة (وللأسف) من أجل قتل بعضهم البعض وهكذا بدأ يدب الضعف والهوان والتخاذل حتى سقطت أجمل معاقل الإسلام، وأنتهت حضارة دامت ٨٠٠ عام.

(١) انظر كتاب في المغرب والأندلس للدكتور: أحمد مختار العبادي، ص١٨.

الصبغة المثيرة للجدل

الأحمر يندر وجوده فى الطبيعة، هذا أذا قورن مع الألون الأخرى مثل الأزرق (السماء والبحار) والأصفر مثلًا (الشمس والرمال) أو الأخضر (النباتات) وكذالك الأبيض (الثلج والنور) والأسود (الليل) ... وبرغم ان الأحمر لون أساسي ومن العيار الثقيل في عالم الألوان إلى أنه نادر في عالمنا الجميل.

ومع هذا أخذ زخمًا واسعًا.. ومثار أعجاب وخاصة في المجال الفني الكلاسيكي لرسوم والنقوشات والمنمنمات.. حول العالم..

قبيل القرن الخامس قبل الميلاد أكتشف الرسامون في الشرق الاقصى طريقة لصناعة لون قريب من الأحمر من تركيبه كيميائية عرفت باسم «كبريتوز الزئبق» ولكن كان هذا اللون مرتفع الكلفه وسامًا، كما أنه يتحول إلى اللون الأسود بتعرضه للضوء.. ومع ذلك فقد أستمر استخدامه في الفنون الاسيويه لنحو ألف عام أما مهمة صايغي الأقمشة فكانت أصعب إذ كان عليهم أن يكتشفوا مادة صباغ تقاوم الضوء والغسيل فظلو نحو ألفي عام وأكثر يعتمدون على مصادر طبيعيه مثل النباتات والحشرات وأستخدموا لهذا الغايه جذور نبات القوه وحشرة اللك التي تعيش في الهند وجنوب أسيا وغيرها.. غير أن أفضل مصدر للون الأحمرالجميل المقاوم لعوامل الزمن كان في «حشرة الأحمر الأرمني» التي تعيش في أرمينيا وأذربيجان وجورجيا وتركيا و إيران.. أستخدم اللون الأحمر المستخرج منها في صباغة الأقمشة وأرقى أنواع السجاد اليدوي.

«الكوشنيل» صبغة حمراء تغزو أوروبا:

فى عام ١٥١٩م أكتشف الغزاة الإسبان فى أمريكا الوسطى أن الهنود الأزتيك يبيعون مادة صبغية حمراء فى اسواق مكسيكو.. ويطلقون عليها اسم «الكوشنيل» فشحن الغزاة هذه المادة مع باقي الأشياء التي نهبوها من هناك إلى أوروبا حيث أنتج منها اللون الأحمر الأكثر إشراقًا الذي عرف فى العالم حتى آنذاك..

بعد ذلك بسنوات ثلاث، أعد كارلوس، ملك أسبانيا حملة لأحتلال تنشتنلان عاصمة الأزتيك[١] ونهب ما فيها من ذهب وأصباغ وكان له ما اراد، فبدأ الصباغ الأحمر يتدفق على أسبانيا ومنها إلى بقية أنحاء أوروبا، أستخدم القسم الأكبر من الكوشنيل فى صناعة الملابس، إلا أن هذه الحشرة التى تنتج الصمغ الأحمر..

(الكوشنيل) أستخدمت لأغراض أخرى فخلال عصر إليزابيت الاولى فى انجلترا أعتبر التنافر ما بين الشفاه المطية بالكوشنيل مع الوجه المطلي ببودره بيضاء شاحبة أرفع درجات الجمال، كما استخدم الرسامون الاوربيون الكوشنيل فى فنهم، كما اضافة الطباخون إلى بعض الاطعمة وأستخدمه الأطباء كدواء لبعض الأمراض، احتكرت أسبانيا تجارة الكوشنيل التى لم تصل أوروبا إلا فى العقد التالي.. فنتشر إنتشار النار فى الهشيم!!

فبعد استقلال المكسيك عن أسبانيا عام ١٨٢١ وفرار حشرة الكوشنيل من المكسيك إلى غواتيمالا المجاوره خشيت أسبانيا من خسارة هذه السلعة الثمينة، فنقلتها إليها، ومنها راحت تنتشر وتذهل الفرنسيين والايطاليين وجزر المتوسط وشمال افريقيا ايضًا، ولكن هذه البيئة الجديدة لم توفر إنتاجًا بجودة الأصل المكسيكي.

صدفة مذهلة تنهي أمجاد الكوشنيل؟!

فى عام ١٨٥٣م انضم شاب إنجليزي فى الخامسه عشر من عمره يدعى «وليم بيركن» إلى الكلية الملكية البريطانية للكيمياء، وبعد ذلك بسنوات ثلاث وخلال سعيه لاكتشاف الكينين المضاد للملاريا، أكتشف بالصدفة مادة سوف تطوي حقبة دموية من تاريخ الأصابغ ففي نهاية التجربة حصل بيركن على مسحوق أحمر يميل قليلًا إلى البني ودفعة

(١) الأزتيك إحدى قبائل الهنود الحمر المهمة التي أقيمت في المكسيك ويرأسها رئيس يدعى «منتزوما» وخلال عامي (١٥١٩-١٥٢١) تمكن الإسبان من الاستيلاء على هذه المدينة بقيادة الزعيم «فرناند كورتيز» وقت لرئيسها - سقطت دولة الازتيك التي كانت موطن حضارة عظيمة ذات مدن ومباني عظيمة اشتهرت بعلوم الفلك والزراعة والصناعة والمعادن الثمينة مثل الذهب والفضة والنحاس والزنك وصناعة المنسوجات وتلوينها بصور وأشكال زاهية.

فضوله إلى تجربته على قطعه قماش، ثم أرسل نماذج منها إلى مصانع الألبسه فى اسكتلندا ليسأل رايهم فيها!!.

فاجمعت الأجوبة على أن هذا اللون مرغوب وسيلقي رواجًا إذا كان ثمنه رخيصًا، بدأ بيركن بإنتاج المادة الجديدة بكميات تجارية بين عامي ١٨٥٥م ١٨٦٣م وراح الناس يتحولون من الكوشنيل إلى الأحمر الصناعي لوفرته ورخصه وبهذا غابت شمس الكوشنيل إلى الابد.. وتوالت الصناعات الكبيرة فى إنتاج أصباغ حمراء عديدة للملابس وللطلاء «للرساميين» والسجاد الأحمر الجميل (وأحمر الشفاه، وصولًا إلى صبغات الطعام) الورار يد أي سي.

فن رسم المنمنمات

لقد زودت المنمنمات المخطوطات بالصور منذ العصور الوسطى في أوروبا الغربية وأسيا، والكلمة «منمنمات» مشتقه من الكلمة اللاتينية minium أي الرصاص الأحمر، وهو الصباغ الأكثر استخدامًا في الأصل وعلى نطاق واسع، في هذه الصور. وهي ليست مشتقة من كلمة تشير إلى حجم الصورة وفقًا للاعتقاد السائد بشكل عام.

ظهرت النماذج الأولى من هذه الصور في العالم الإسلامي في مصر خلال القرن التاسع، وقد قام الفنانون الأتراك في اسيا الوسطى باعمال قريبة من المنمنمات قبل مجيء الإسلام برسوم صغيره على قطع قماش حريري لوجوه أشخاص..

أزدهرت المنمنمات في الامبراطورية العثمانيه وقد ساهمت النقوشات الإسلامية والفارسية وطغت عليه وخاصة في عهد سليمان القانوني، وقد شارك الفنانون والمؤرخون في تسجيل الأحداث التاريخية والاحتفالات والمناسبات الخاصة.

وكانت هذه المنمنمات تجمع في البومات لتكون جزءًا من كتاب، أوتشكل كتابًا تصويريًا مستقلًا.

أما مزخرفو المخطوطات العثمانيون يرسمون صور وجوه اشخاص حقيقيين ولاسيما

السلاطين، أو الرسم المنظوري، أورسم نماذج بشرية وذلك من خلال تلوين العالم الطبيعي بطريقة سوريالية مفرطة على سبيل المثال..

كما أن الألوان البراقة، والشعور المرهف تظهر واضحه في الرسوم وتعبر عن شعور المصممين التصويريين المرهف وهي من بين الصفات المميزة لرسم المنمنمات التركية.. وفي قصر السلطان سليمان القانوني (قصر توبكابي)[١] مجموعة ضخمة من المنمنمات[٢].

(١) قصر توبكابي: كان القصر السلطاني معروفًا على نطاق واسع في أوروبا الغربية وكان العثمانيون يعتبرونه رمزًا لسلاطين ومقرًا سياسًا واجتماعيًا لهم يعود استخدامه في أواسط القرن التاسع عشر.

(٢) انظر رواية (وسط حدائق الخزامي) للكاتبة التركية «غول إيربول» ص١٣.

«عطر البنفسج»

عندما تحول المساء «بنفسجيًا»

وسط الضوء الهارب

شابُ مر حاملا

ورود «الليلك» من القمر

الشاعر الإسباني

(فدريكو جارسيا)

البنفسجي

(الليلكي)

هو اقصر موجة في الألوان.. والأعلى ترددًا..

لذا فهو لون الخيال.. لون الفن والموسيقى..

اللون البنفسجي هو «لون الملوك».. لون المبدعين.. والرسامين..

البنفسجي يجمع ما بين الحب والحكمة لأنه مزيج من الأحمر والأزرق.. لون المعزوفة.. والالهام.. لون النفوذ والسيطرة.. والقنوع والخضوع..

يعود اسمه من الزهرة الجميلة «البنفسج»..

كما يسمى أيضًا بالون «الليلكي» نسبةً لزهرة «الليلك» الرائعة.. ولأن هذا اللون هو الذي يغذي مراكز الفهم والبصيرة فى المخ..

فقد سميت «زهرة البنفسج» زهرة التفكير بالفرنسية..

يقول الشاعر:

للورد فضل على زهر الربيع سوى — أن البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه — أثار قرص يد فى خد ذي غنج

أما الشاعرة العراقية نازك الملائكة: فتقول:

أتركني أرى الربيع طيورًا — ليس ينوي لها الأذى مغتال
ولتكن زهرة البنفسج في عيني — خلودًا لا يعترية زوال

يحكى أن أحد الأباطرة البيزنطيين يعشق هذا اللون لدرجة أنه احتكره لوحده دون غيره من الطبقة البرجوازية والشعب.. فجعل الحلة الرسمية الملكية «بنفسجية اللون» وحتى أنه بعد موته بنيت مقبرته من حجارة بنفسجية اللون..

أما الملكة «كيلو باترا» فلا يكاد يفارقها هذا اللون الأخاذ فهو أحد أهم الألوان التي تتزين به.. فقد اعتبرتهُ لون الجمال..

ومنذ عصور كان ملوك فرنسا والكاردينالات يخصصون اللون «البنفسجي» في مراسم الحداد..

كما أن الاباطرة الرومانيون يستعملون اللون البنفسجي في ملابسهم أو ديكورات منازلهم كعلامة على الملكية والسلطة..

وربما أقتنع الاوربيون قديمًا بانه اللون الملكي..

وفي جنوب أفريقيا وجزيرة موريس يعطي هذا اللون الروحانية ويرمزون بذلك له لاعتقادهم بأنه مصير الحياة فوق الأرض.. وهو مثار أعجاب لدى المبدعين والرسامين بل إنه أصبح أحد الرموز الفنية الأساسية فقد مزج أشهر الفنانون هذا اللون في لوحاتهم الرسومية الشهيرة.. ويرى ليوناردو دافينشي أن قوة التأمل والتركيز تزداد عشر مرات في محيط من الأضاءة البنفسجية، وتقول المصادر الفنية أن أهل الفن يفضلون أن يحيطوا أنفسهم بهذا اللون..

كما أن الموسيقار الألماني الكبير (فاجنر) كان يحيط نفسه بالستائر البنفسجية حين يبدع ألحانه ومعزوفاته الموسيقية..

لذا يطلق على «البنفسجي» صاحب الذوق الرفيع..

وكونه أخر ألوان الطيف المرئي فهذا يعطيه بعدًا زمنيًا وفضائيًا..

الأشعة فوق البنفسجية.. «وعيون الديك»..!!

في زاوية اللون الأحمر تكلمنا عن الأشعة ما دون الحمراء ..

أما الأشعة فوق البنفسجية هي كتل شعاعية تصل إلينا من خلال ضوء الشمس في أمواج مختلفة الطول وأقصرها الأمواج البنفسجية وأطولها الأمواج الحمراء، بالأضافة إلى أمواج الألوان تبعث كذلك الشمس أمواج أقصر من الأمواج البنفسجية فلا تستطيع رؤيتها وتسمى الأشعة فوق البنفسجية وهذا الأشعة هي التي تولد الصبغة على جلد الاناس عند تعرضه للشمس، فيمتص الهواء الجانب الأكبر من هذه الأشعة لأن هذه الأشعة تصبح خطيرة كلما زادت كمياتها..

ولكن لها أيضًا بعض المنافع فهي تقي بعض الأمراض وتستخدم اليوم (المصابيح الشمسية) لتوليد الأشعة فوق البنفسجية..

كما يستفاد من هذه الأشعة في تعقيم الأدوات «الطبية» كأدوات الجراحة لتقل البكتريا والفيروسات، وتستخدم في صناعة الدوائر الأكترونية الرقيقة ومستويات الطاقة والذرات الكيميائية المختلفة..

أما ما يتعلق بالحيوانات والحشرات وقدرتها على الرؤيه من خلال الأشعه البنفسجية فهي أعجوبة حقًا.. فالنحله مثلًا بإستطاعتها أختراق هذا الشعاع وتميز الأماكن والزهور في البساتين والحقول ومعرفة الزهرة التي مرت خلالها قبل أيام ومعرفة الاتجاهات والعودة للخلية..

أما أنقضاض الطيور الكاسرة فى الظلام الدامس على فرائسها كالعقاب والصقر والنسر ومن مرتفعات شاهقة باستطاعتها تميز هذا بكل سهولة مع تحركاتها السريعة المذهلة..

يصف النابغة الذبياني الجيش كالنسر وتحليقه العالى ورؤية ساحة المعركة وكشفها، فيقول:

إذا ماغزى بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب
يصاحبهم حتى يغرن مغارة من الضاريات بالدماء الذوارب

أما قدرة الديك الرؤية من خلال الأشعة البنفسجية التي هي بمثابة «النور» ومن خلالها مشاهدت الملائكة التي هي مخلوقات من «نور»!!

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم صياح الديكه فاسالوا الله من فضله فإنها رات ملكًا..**»(١).

الأضواء البنفسجية تحيط دافنشيل رسم «الموناليزا»

الفنان الشهير ليوناردو دافنشي يحب «اللون البنفسجي» كثيرًا وهو صاحب أشهر وأغلى لوحة عالمية هي (المونوليزا) أو (الجيوكندا) وهي للسيدة الأميرة «ليزا جوكندا» ويقال إنها لسيدة أيطاليا تدعى «مادونا ليزا» الزوجة الثالثة للتاجر الشهير «الفلورنسي فرانئسيسكو» أحد أبناء عائلات النبلاء في فلورنسا وهو صديق دافنشي الذي طلب منه رسم اللوحة لزوجته عام ١٥٠٣م وتم الانتهاء من اللوحة الشهيرة خلال أربعة أعوام..

ولكن ما هو سر جمال اللوحة والسر في شهرتها وسحرها الذي شغل الناس وهوسهم الطاغي لرؤيتها!!

لقد دخلت هذه اللوحة التاريخ بسر «أشهر ابتسامة» لوجهٌ صاحبته الكثير من التداعيات والمزيد من المعرفة لفك هذا الغموض «الساحر» في إبتسامة «ليزا» لدرجة أن دافنشي أخذ يتنقل باللوحة إينما رحل و إينما حل وهوسه وولعه الشديد بهذه اللوحة «المثيرة للجدل» حتى يومنا هذا..

ففي عام ١٥١٦م رحل دافنشي إلى فرنسا وكانت بين حقائبة التي حملها معه وفي فرنسا باعها إلى الملك «فرنسيس الأول» الذي اشتراها لقصره في منطقة «أمبواز» ثم تنقلت لعدت مدن حتى استقرت في قصر «فرساي» بين مجموعة الملك لويس الرابع عشر، وبعد الثورة الفرنسية وجدت اللوحة طريقها إلى متحف «اللوفر» غير أن نابليون بونابارت استعادها وطلب تعليقها في غرفة نومه وحينما هزم ونفي خارج أوروبا.. تم إعادة اللوحة إلى «اللوفر» في باريس، وفي صيف ١٩١١م سرقة اللوحة من قبل رجل ايطالي يدعى «فنستريو بيروجيا».

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٣١٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

خطة السرقة: يغلق متحف اللوفر أبوابه في وجه الجمهور يوم الاثنين من كل اسبوع، فهو يوم إجازه ليتسنى لعمال الصيانه والفنيون بأعمال النظافه والترميم والتجديد عندما يتقرر ذلك.

وفي يوم الاثنين ٢١ أغسطس عام ١٩١١م[١] كانت الابواب الجانبية مفتوحة لحاملي التصريح الخاص من العمال والموظفين والفنيين، وقد اندس بينهم شخص لايحمل هذا التصريح وهو «بيروجيا» وكانت هيئتة لاتختلف عن هيئة عمال الصيانه فهو شاب عادي يرتدي بالطو العمال الأبيض فوق ملابسه... جاء خصيصا ليسرق اللوحه الثمينه.

انضم في الصباح الباكر إلى مجموعة من العمال خارج المتحف وكان بينهم عدد من اصدقائه الذين تعرف عليهم حين عمل معهم منذ فتره وكانت مهمته هي تنظيف زجاج شبابيك المتحف.. رافقهم بشكل عادي إلى الداخل، دون ان ينتبه أحد إلى أنه لا يحمل تصريحا بالدخول.

ولما عبر الابواب واصبح في داخل المتحف انفصل عن العمال واتجه مباشره إلى أشهر لوحه فنية في العالم (الجيوكندا) التي بهر بجمالها الجمهور طوال خمس قرون.

نزع اللوحة بسرعة من فوق الحائط واتجه إلى باب صغير يؤدي إلى سلم جانبي وجلس على السلم حيث أخرج قماش اللوحه من اطارها ولفها بقطعة من القماش القديم وترك البرواز على السلم وهبط إلى فناء داخلي له باب يؤدي إلى الطريق العام.

كان الباب مغلقا.. فأخرج «بيروجيا» من جيبه مفكا وأخذ ينزع مسامير القفل بهدوء حتى انحل القفل من الباب، وعندئذ سمع وقع أقدام مقبله فوضع القفل في جيبه وجلس على أولى درجات السلم حتى مر به أحد عمال الصيانه فخاطبه «بيروجيا» بهدوء وطلب منه المساعده في فتح الباب . فقدم السمكري بمنتهى المروءة وجذب ضلفة الباب ففتحها وحيا «بيروجيا» وهو خارج إلى الطريق متأبطا اللوحة الشهيرة تحت معطفه!!

(١) انظر كتاب أشهر السرقات من المتاحف د. صبحي الشاروني، ص١١٧.

انفجر الرأي العام غاضبا وتحدثت الصحافه عن الطريقه السهلة التي تمت بها سرقة أثمن الكنوز الفنية التي تملكها فرنسا..

أحدثت السرقه ربكة وفوضة عارمة في البلاد.. وتم تفتيش قصر اللوفر والحدائق المحيطة به حتى الأسوار.. عثر على البرواز الذي كانت به اللوحه.. وأخذت البصمات.. طوقت الشرطه جميع الاماكن لكي يجدو اللص.. التحقيقات جاريه مع عمال المتحف، وتقرر فصل مدير المتحف وفصل رئيس المستخدمين ..

والغريب ان التحقيقات شملت ٢٥٧ أسما يشتبه بهم من ضمنهم «بيروجيا» الذي واجه الأستجواب بكل ثبات ودهاء لدرجة أن المحقق لم يسجل بصمات أصابعه أو تثيرالشبهات من قبل الشرطه والمحقق في هذا الشاب، وأفرج عنه..

حاول «بيروجيا» بيع اللوحه وأخذا يتنقل بها من باريس إلى لندن ولكن لم يستطع بيعها وذلك أن كل من أراد شراها خشيى أن تكون اللوحه مزوره..

وبعد مرور عاميين سئم الشاب الايطالي «بيروجيا» فقرر استردادها بعد ان هدئة الاوضاع وان يحصل على بعض المال مقابل اللوحه وتفوض مع «جيوفاني» مدير لمتحف (أوفيزي) بفلورنسا عن طريق تاجر اللوحات الفنية الايطالية «ألفريد جيري»..

وفي ديسمبر عام ١٩١٣م عرض على بيروجيا مبلغ ضخم من قبل «جيوفاني» مدير متحف أوفيزي بفلورنا.. وبعد تدخل السلطات الفرنسية بحكم تواجد اللوحة: باللوفر والسلطات الإيطالية ومجلس النواب والسفارتين..

ردت اللوحة «المثيرة» وتنقلت الاخبار النبأ في أنحاء العالم..

وفرحت أوروبا وصلى البابا بيوس العاشر صلاة شكر لله على رجوع اللوحة سالمة، وتجمهر الناس حول متحف اللوفر.. لمشاهدة الابتسامة الساحرة.. تمر من أمامهم!!

لمسات فنيه بلون الليلك..

رائعة رومني (ايماهملتون) برداءها الليلكي الفاتح الاخاذ..

لقد ابدع الفنان البريطاني «جورج رومني» الذي حاز عام ١٧٦٢م على جائزة ابرز عمل فني لرسم الوجوه «البورتريه» بلوحات كان لها حدث تاريخي في مجال الفنون عندما لفت نظره واستلهامه وجه السيده (إيماليون) وهي التي عرفت في التاريخ باسم «الليدي هاملتون» فكانت رسوماته لشخصها أكبر مصدر لقمة امجاده ولم تكن الليدي هاملتون نفسها تحلم مهما أشتط طموحها بأن تصبح لوحات رومني عنها من أشهر الأعمال الفنيه لدى المتاحف العالميه.. وربما أخذت هذه اللوحه الرائعه زخما واسعا توازي اللوحه الشهيره «الموناليزا».

فبعد سقوط الدوله البيزنطية في القرن الخامس عشر، وأزدهار الاستشراق الفني فيما بعد، نجد هؤلاء الفنانين المستشرقين «orientalism» قد أبدعوا في رسم الوحات التي لم تمثل جمال المراءه العربيه فقط بل تاريخها وعاداتها وتقاليدها مثل لوحة «قارب الحريم» وهم نسوه يرتدون جلاليب بنفسجيه (ليلكيه) فاتحة جميله للغايه وهم على متنا قارب يعبرون النهر، بريشة الفنان الأمريكي «فريديك أرثر».. ولوحات للفنان الألماني «إدوارد ريتشر» الذي أطلق خياله للتعبير عن شخصية «شهرازاد» في رائعة من لوحاته تحمل نفس الاسم.

وفي عام ١٨٦٤م[1] عرف العالم معرضا اقيم في بريطانيا للفنان الهولندي الأصل «لورانس ألماتديما» والذي تضمن لوحات تحكي خيال وتصوير الفنان للحياة الفرعونيه وفوجى الحضور بروائع لوحاته عن الملكة الفرعونية الشهيره «كيلوباترا» التي سرقت أنظار الحضور وأبهرتهم.

أواني «ويدرج وود» البنفسجية في البلاط الملكي الإنجليزي

بقيت صناعة الخزف على ركودها لحقبة طويلة من الزمن إلى أن ظهر «جوزية ويدج وود» المولود عام ١٧٣٠ لعائلة تعمل بهذه الحرفة في مقاطعة «ستافورد شاير» في إنجلترا، وغير حال تلك الصناعة بما عرف عنه من حزم وذكاء..

(١) أشهر اللوحات العالمية (مقال للأستاذه: هدى العمر) جريدة الرياض - زاويةالفن - الصادره بتاريخ ١١ مارس ٢٠١٣.

وفي عام ١٧٥٦ م أنشأ هذا الشاب ورشة عمل لصناعة الخزف مستقلًا عن العائلة لكونة أخذ يعمل على تلوين الخزف وعمليات كيميائية بمعايير ثابته لهذه الصناعة، فا كانت نقطة تحول هامة لنتائج مبهرة.. جمع «ويدر ج وود» قطع من الأواني مرصعة وناعمة ومزخرفة برسوم متناسقة على خلفية من اللون البنفسجي «الفاتح»، فاجتذبت منتوجاته ذوق الأستقراطيين الذين كانوا قد بدأوا بالابتعاد عن الزخرفات الكثيفة المترفة والباهضة.

لقد ظهرت أطقم ويدج وود الفائقة الجودة التي توحدت جميع قطعها لونًا وشكلًا في فترة تطور الثورة الصناعية واكتشاف الطاقة البخارية وقيام المعامل فانتشرت منتجات ويدج وود بالشكل الملائم..

أعجب البلاط الملكي الإنجليزي بأطباق ويدج وود فكلفة في عام ١٧٦٥م[1] بصنع طقم من الشاي للمملكة «شارلوت» ولما كان ويدج وود إنسانًا يعشق التطوير، وماهرًا إلى درجة خولته أن يعرف أهمية الرعاية الملكية لترويج منتجاته، فسعى حتى حصل على أذن بتسمية منتجاته باسم «أوني الملكة»..

فأصبحت كل عائلة أرستقراطية ترغب في أمتلاك جميع أنواع المجموعات المنزلية التي ينتجها ويدج وود..

وأمرت الإمبراطورة «كاترين» من روسيا بصنع مجموعتين للضيافة تكفيان لمئتي شخص أي ٩٦٢ قطعة من أواني الملكة..

بقى ويد ج وود رجلًا ذا نزعة ديمقراطية قوية على الرغم من تراثه وصداقته للطبقة الراقية الأوروبية إذ صنع صحنا رسمت عليه صورة عبد مقيد كتب تحتها عبارة: ألست إنسانًا وأخًا؟

(١) انظر كتاب قصة العادات والتقاليد لتشارلز باناتي، ص١١٩.

عطر البنفسج وعبق الليلك

لزهرة البنفسج مفعول عجيب في الاسترخاء وجلب النوم والراحة.. بل لراحة القلب وتقويته..

يصف ابن سينا هذه الزهرة.. فيقول: «البنفسج مسكن لسعال.. مفيد للصداع شمًا.. وطلاء»..

ويذكر الأغريقي «بليني»[١] أن جذور زهور «البنفسج» علاج لمرض النقرس، والطحال.. وأن الأكليل المصنوع من البنفسج إذا وضع على الرأس يزيل الصداع والدوخه..

وقد استعمل الأثينين هذه الزهرة لتعديل المزاج والغضب..

واستخدمت النساء المصريات عطرًا معينًا لكل جزء من أجزاء الجسم.. فكان لابد من حضور البنفسج..

فكانت كيلوبترا تمسح يديها برائحة الكيافي وهي مزيج من زيت زهرة البنفسج وزهرة الزعفران «البنفسجية» وماء الورد، وتدهن جسدها بهذه الخلاصة.. رحب الأغريق بهذه الخلاصة من عطور البنفسج مما أفرط الشباب إنذاك بالعطور مما دعا «سولون»[٢] الذي وضع هيكل النظام الديمقراطي في أثنا، إلى أصدار قانون حرم فيه بيع الزيوت العطرية لأفراد الجنس الخشن، لكن سرعان ما ألغى هذا القانون[٣].

كما استعمل الفرنسيون «البنفسج» في العديد من الصناعات أهمها العطور والصيدله.. كما استعمل في الطهي ليعطي نكهة لذيذة كما أدخلوه في التلوين كأحد الصبغات مثله

(١) بيلني: كاتب ومؤرخ جغرافي ولد في اليونان، عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ومع نهائية العصر البرونزي، ذاع صيتحه في أوج الفترة الكلايسكية لدى الإغريق لما أشتهرو من خلالها بالفلسفة والطب.

(٢) سولون: (٦٤١-٥٥١ق.م) مشترع أثيني أحد حكماء اليونان السبعة، خفف وطأة الضرائب على الفقراء، كما سن لبلاده قوانين تحريريه.

(٣) انظر كتاب قصة العادات والتقاليد (العطور) لتشارلز باناتي، ص٢٦٤.

مثل «الكوشنيل» الحشرة القرمزية وقد سبق ذكرها في زاوية الأحمر كما أن الفرنسيون استعملوا هذه الزهرة في الطب فأخذوا ومن خلاصتها العلاجات المهمة لأمراض الصدر والربو والالتهابات، وكمنشط لوظائف الكبد..

أما الهيئات الصيدلانية «البريطانية» فتصنع من البنفسج شرابًا للتداوي.. وتحضر المعامل الصيدلانية من البنفسج مادة: salicylic-acid التي تؤخذ من محتويات هذا الزهرة وهذه المادة هي الاسيد الفعال الذي تصنع منه أقراص الأسبرين والأسبرو كما أن البنفسج توجد من خلاله قلوية هامة تسمى violin.

يستعمل البنفسج في حالات أمراض القلب والشرايين، وبذورها لمكافحة أنحباس الماء في الجسم وتدر البول وتفتت الحصى والرمل..

كما تستعمل مستحضراته في الطب المثالي، وهو نوع من الطب النباتي المعدني وهو الطب الذي تتعالج به العائلة الملكية البريطانية.. إنها ليس زهرة عطره فحسب.. بل طبيب متنقل!!

ومن زهو «البنفسج» وكبريائها أنها تعيش في المياه العذبة.. وتموت في الماء الملوث.. وإن وقع عليها الغبار أو الدخان تذبل.. وتضعف..

يقول ابن المعتز بالبنفسج:

كأنها فوق طاقات صففن بها   أوائل النار في أطراف كبريت

ويقول آخر:

اشرب على زهر البنفسج قهوة   تهوي السرور لكل صب مكمد[1]

«زهرة الليلك»

هذه الزهرة ذات الرائحة العبقة الجذابة.. لها صورة في الطبيعة جميلة للغاية فنلاحظ

(١) مكمد: محزن.

أنها زهور صغيرة متكتله.. كمجموعه لتشكل أيقونة واحدة.. وكأنها قطعة واحدة.. مثل تجمع أسماك الساردين في البحار..

هذه الزهرة حينما نشاهدها في الطبيعة إنما نشاهد لوحة فنية أبداعية فريدة..

لا تسألوني ما أسمه حبيبي..
أخشى عليكم ضوعة الطيوب..
والله لو بحت بأي حرف..
تكدس الليلك في الدروب..

(نزار قباني)

الليلك زهرة الجمال الملكي.. مشتقة من الفارسية وتعني الزهرة..

تعود أصول هذه الزهرة إلى أوروبا الشرقية حيث شقت طريقها من المنحدرات الصخرية لدول البلقان إلى أوروبا الغربية عبر مدينة القسطنطينية والتي شوهدت مزروعة في جنائبها عام ١٥٤٧م[١] وهذا ما يوحي لنا «بنشاتها الحديثة» في الشرق الاوسط، وقد أنتشرت في أوروبا في القرن السادس عندما قام الفرنسيون والبريطانيون والهولنديون الأوائل بنقل هذه الزهرة إلى شمال أمريكا وسرعان ما شقت هذه الزهرة طريقها بقوة إلى المنازل فكانت تزرع في حديقة المنازل وأروقة المداخل.. ويقال أن الفرس هم الذين أدخلوا زراعة الليلك إلى غرب الصين في أوائل القرن الثاني عشر وأنها البداية الحقيقية لزهرة الليلك، وهي كلمة مشتقة من اللغة الفارسية من كلمة «ليلونج» وتعنى الزهرة ..

وأكبر تجمع تشهده لجميع أنواع زهور الليلك موجود في مدينة هاملتون بكندا حيث حدائق النباتات الملكية الجميلة والتي تضم أكثر من ثمانمائة نوع من فصيلة زهور الليلك المزهرة وأنواع نادرة « كالليلك الفرنسي» التي تزهر مرة أو مرتين في ربيع كل عام، لتحمل

(١) مقال بعنوان (زهرة الجمال) جريدة الثورة السوريه، الصادرة في ٢٠١٩/٩/٢٨م.

معها الروائح الاريجية العطرة.. ومنها تستخرج أفخر أنواع العطور لتصبح نكتارًا فاخرًا..

أما فوائده الصحية.. فتعتبر مادة " المتيفورين من أبرز مستخلصات زهرة الليلك المستخدمة في المجال الطبي فهو يستخدم لدى أغلبية مرضى السكري كدواء مساعد للدونية الموصوفة وهو يستخرج تحديدًا من الليلك الفرنسي أحد أشهر الأنواع وأندرها، كما أنه يستخدم في تخفيض الوزن عند البدناء غير السكريين..

كما يحتوي نبات الليلك على مادتين مهمتين تجعلانه نباتًا قادرًا على توفير خدمات طبية جليلة وهما السيرنيفو بيكرين والغلو كومسيد واللتان تتولدان في الليلك نتيجة المرارة الشديدة التي تتغير بها قشرة الليلك وأوراقها..

ففي روسيا على سبيل المثال يتم صنع نقيع من أزهاره يسمى «زيت الليلك» يستخدم علاجًا فعالًا لداء المفاصل والآلام العصبية ومقاوم للحمى وألم عرق النساء..

أحلام الخزامى

كان الحرملك المعروف بقصر «توبكابي» يشرف على أجمل المناظر في كل الإتجاهات من الموقع الأعلى مقامًا في مدينة «القسطنطينية» التي انتزعها المسلمون خلال الفتوحات العثمانية بقيادة محمد الفاتح من الأمبراطورية البيزنطية حيث كان «الأكروبولس» الأمبراطور البيزنطي يقيم في هذا المكان، أي في قلب المدينة.. أحب السلاطين والأمراء العثمانيون زهور الخزامى الليلكية اللون، وزرعوها في حدائق قصورهم.. فالأحتفالات والمآدب تقام في حدايق فيلات قائمة على مطلات مائية، والمنازل المجاوره لتلك القصور على امتداد البوسفور والقرن الذهبي[1]، وكايتهان[2]، انها مساكن تموج بوفرت زخرفاتها

(١) القرن الذهبي: عباره عن شبه جزيره في إسطنبول «القسطنطينية» ويقع فيها قصر الباب العالي ومسجد السلطان أحمد المعروف باسم (المسجد الأزرق) وأيا صوفيا، يقسم هذا المصب على هيئة قرن إسطنبول الأوروبية وهو إحدى أفضل الموانى الطبيعية في العالم.

(٢) كيتاهان: إحدى الأماكن الشهيرة في إسطنبول.

واحواض المياه والحدائق المكتظة بزهور الخزامى.. وفي زمن السلطان سليمان العظيم وصهره الوزير الشهير إبراهيم باشا كانت الأجتماعات بكبار رجال الدولة والشعراء والموسيقيين والعلماء والفنانين يلفهم الحضور الجمالي على بساط زهور الخزامى الفتان.. تقول الروائية التركية «غول إيربولو» (.. تلك الزهرة الظريفة المدعوة خزامى أصبحت رمزًا لكل ماهو منزه عن كل عيب، لقد رفع المديح المُكال للزهرة من أهمية أصنافها لدرجة أن أمتلاك أنواع مختلفة من الخزامى تحول إلى ولع. وفجأةً، لم يعد السعي لرؤية البصلات التي أنتجت حديثًا، والحصول عليها، ضربًا من ضروب الحماقة. لقد طور أحد المزارعين الخزامى الأكثر شهرة في عصره، فليوالدين أفندي الذي كان أيضًا «شيهوليسلام»[1] وخطاطًا، بصلتين أثارتا قدرًا كبيرًا من الحسد.. كان سيد الأزهار مسؤولًا عن مراقبة مزارعي الخزامى وحدائق الخزامى، ويعاقب أولئك الذين يبيعون أزهارًا، ولا سيما الخزامى، بأسعار تتخطى السعر الذي فرضته الدولة . وأصدر إبراهيم باشا فرمانًا يقضي بمصادرة أزهار أوائك الذين يخرقون القانون . ودون تاجر فرنسي ذات يوم، يولي الأتراك الحياة البشرية أهمية أقل من تلك التي يولونها للجياد أو الخزامي، إنها ملاحظة تشير إلى هوس الأتراك بالخزامى.

الخزامى يسمى أيضًا «باللأوند» وهو نبات عتيق عرف منذ القدم واستطاع منذ الأزل أن يتميز برائحته القوية.. يزرع في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ويدخل في صناعة العطور والمواد العطرية.. كما تستخلص من بصيلاته الزيوت، فهي مهدئة للأعصاب ومضادة للأرق، وعطر الخزامى خافض جيد لحرارة الأطفال.. يمنح الراحة وينشط القلب..

الفواكه والخضار التي تحمل اللون البنفسجي

ماذا عن الملفوف وللفت والتين والعليق والكشمش والباذنجان والتوت البري والخوخ ذات الألوان البنفسجية التي تحتوي على «الفلا فونو يدز» وهي مواد مضادة للأكسده، تخلص الجسم من الجزئيات الحرة أي الخلايا المؤذية التي ينتجها الجسم عندما يزداد تعرضه

(١) شيهوليسلام: هو رئيس الهرمية الدينية، والثاني في المرتبة بعد الصدر الأعظم وفقًا للبروتوكول العثماني.

للتلوث ومن أشعة الشمس وقد أثبتت التجارب أن «الفلافونويرز» تعلب دورًا في الوقاية من أمراض القلب، كذلك تمنع الكوليسترول من التشكل وترسبات دهنية على جدران الشرايين وتمنع بذلك من تشكل الجلطات وارتفاع إمكانية الإصابة بنوبات قلبية وجلطات دماغية..

بل إن الأطعمة ذات الألوان البنفسجية تؤثر أيضًا في تعديل المزاج وتمنحه القوة والطاقة ومع ذلك فأنها مهدئة لأحتوائها على نسبة كبيرة من الفتامين C التي تقوي المناعة وتساهم في الوقاية من السرطان ويحتوي «الشمندر» بشكل خاص على الكثير من الحديد والمغنيسيوم وهو معروف باسم نبات الحيوية كما أن اللون البنفسجي يحفز الغده الصنوبرية والتي تنتج مادة كيميائية في المخ تصفي الهدوء ومن ثم ترفع الحالة المعنوية..

أما الباحث البريطاني[١] قال أن مركبًا كيميائيًا طبيعيًا يتواجد غالبًا فى الفواكه البنفسجية يمكن أن يساعد فى وقف تطور مرض الزهايمر: وذكر العالم دوقلاس كيل من جامعة (ما نشستر) البريطانية أن غالبية الأمراض الموهنة التي تأتي مع التقدم فى السن مثل الخرف والزهايمر سببها تشكل جزئيات الهيدوركسل السامة التى تنتج فى الجسم عندما يسوء ربط أيونات الحديد.

كما أن الفواكه والخضروات البنفسجية توجد بها، صبغة «الأنثوسيانين» المسئولة عن إعطائها هذا اللون المميز، وهي علاج فعال ضد أمراض السرطان والفوائد الصحية الهامة الأخري، تعمل هذه الصبغة كمضاد للأكسدة، وتوجد أكبر كمية من «الأنثوسيانين» بالتوت «توت العليق».

موسيقة «بلوناليلك»

أشتهر الموسيقار الألماني «ريتشارد فاجنر» بعزف الحانه وإنتاجها وهو يحيط نفسه بستائر بنفسجية فيمنحه نوع من الخيال والتحليق في عالم الرومانسية، وعلى الرغم أنه نشأ

(١) من صحيفة الرياض السعودية، زاوية الطب، الصادره بتاريخ ١١/ديسمبر/٢٠١١م.

منذ الطفولة على «أصوات المدافع» والحروب التي كانت تسود اوروبا وغزوات نابليون بونابرت لها لجعل فرنسا إمبراطورية، وذلك فى مطلع القرن التاسع عشر حطم فاجنر قيود الرعب وأزال مشاهد الدماء القرمزية من بلاده، وكما يقال (من رحم الاحزان تولد الابتسامة).

صنع هذا الشاب معزوفات رائعه، والحانًا خالده، بدءًا بأوبرا الجنيات وأبرا الحب المحرم، وفى ٢٤ نوفمبر ١٨٣٤م تزوج «فاجنر» فتاة تدعى (مينا بلانر) بعد قصة حب، انتج فى عامين أربعة أعمال «أوبرالية» خيالية.

ومن المفارقات أن تصبح أوبرا «لوهنغرين» هي الموسيقي الاحتفالية فى مناسبات «الزواج» فى أوروبا حيث تقوم العروس بالسير عبر الممر باتجاه الهيكل على صوت الجوقة الكنيسية وهي تترنم بهذه المعزوفة حتي يتم خروج العروسين ففي عام ١٨٥٨م تم عقد قران الأميرة «فكتوريا» البريطانية على الأمير «فريد ريل وليم» أمير بروسيا حيث قامت الأميرة، وهي الابنة الكبري لملكة بريطانيا باختيار موسيقي زفافها بنفسها وهو اختيار زاد من وقار وشعبية الملحن فاجنر[١]، هيأت الاميرة بسماحها للشعب البريطاني أن يستخدم هذا اللحن مع موسيقة (أحلام أيام منتصف الصيف) للمؤلف الموسيقار «فليكس ميندلسونز» اللحن الاصخب والاسرع حركة، فى مناسبات الزفاف وهو تقليد استمر طويلًا فى بريطانيا وأوروبا كذلك.

(١) انظر كتاب قصة العادات والتقاليد لتشارلز باناتي، ص٤٣.

«فخامة البني»

لنـا مغـنٍّ حسـن الغنـاءِ وقهـوةٌ ضاحكـةُ الإنـاءِ
كأنهـا منطقـة الجـوزاءِ فطاعـن منهم حشًّـا جوفاءِ
مختضبُ الكف من الصهباء ومجلـبٌ مشـمرُ القباءِ

(السري الرفاء)

البني
(الكستنائي)

لون «الفخامة» لون الأرض والتراب..

لون الجذوع والأخشاب..

«البني» كلمة أخذت من حبوب «البن» القهوة ونسبة إليها..

كما يطلق عليه اللون «الكستنائي» نسبتا لثمر الكستنا..

هذا اللون دائمًا ما يكون منفردًا في كل شي له الخاصية الآحادية «فلا ينحاز للون معين أو يتشكل مع لون آخر» فهو مستقل لوحده.

وفي العديد من الصور نجده ثابتًا شامخًا « كالجبال» وربما يكون فى بعض الأحيان «متحرك» ولكن تبدو هذه الحركة بمنتهي البطء «والهدوء» بل لا نكاد نلاحظها «صفة يتمتع بها لوحده» يتموج مثل التربة التي تأخذ على عاتقها دورة «الحياة» على الأرض لمشهد تصويري رائع منذ بدء نمو الكائنات على الأرض اللون البني دائما ما يكون منسيًا كالجندي أو المحارب المجهول، أو كعصفور يتيم يحلق فى السماء، نراه جميلًا، ولكن نغض الطرف عنه؛ لأنه وحيد..

هو شامخ مثل طلع النخيل..

حزين مثل جذوع الأشجار «المحطمة»!!

معطاء كالاخشاب التي كسرتها أيدي البشر لتهبهم البيوت وأثاثها وتمنحهم الدفء صاحب كبرياء عجيب مثل الطيب والعود كلما أحرقته زاد توهجًا وزاد دخونًا ليغيض الحساد.. «اللون البني» الملك الغير متوج!!

لأنه غالي الأثمان..

لأنه هو الأرض المعطاء «صانع الأدوات»..

تقول المصادر المهمة التي تحدثت عن هذا اللون فى مجال (علم النفس) أن اللون البني (إنطوائي) كما أن صاحبه أومن يفضله على أنه شخص ودود متواضع يتسم بالصراحه وحب الخير والتعاون والعطا، وهو ما لفت انتباهي لما تنطبق هذه السمات أو الصفات على اللون نفسه، فالتعاون والعطاء هي ألوان التربة (البنيه) المتدرجه بأنواعها..

«أما الطيب والخير والفائده فهي توجد بين الجذوع والأخشاب، وبعض الثمار التي تحمل اللون البني».

مصنع الأرض «التربة»

أهم ركائز هذا اللون هو التربة ومن خلالها تنبثق النباتات وعالم آخر من الكائنات الحية والعديد من المعادن والـثروات التي انتجتها التربة للعالم الخارجي على سطح الأرض!!

ففي التربة طبقات رقيقة لا تكاد تنفصل امام العين المجردة والتربة تتكون فى الأرض بواسطة عوامل التعرية المختلفة التي تؤدي فى النهاية إلى تكوين غطاء رقيق لصخور الغلاف الصخري للأرض من فئات الصخور وبسيسها على هيئة حطام مفروط يعرف بعادم الصخور إذا فهي التربة المتمثلة فى الطبقة الرقيقة الناتجة عن تحلل أجزاء من الغلاف الصخري للأرض «فالغلاف الصخري» والغلاف المائى والهوائى هي الأداة الرئيسية لخلط وتكوين المعادن المفككة من صخور الأرض بفعل عوامل التعرية المختلفة.

أضف على ذلك المركبات العضوية وغير العضوية الناتجة من التفاعلات (الثلاثة) أو المركبات حينما تسكن «التربة» بقايا الكائنات مثل البكتريا والطحالب والفطريات والنباتات بمختلف هيئاتها ومراتبها فمثلًا البكتريا فى التربة تشكل حوالي ٩٠٪[١] ففي حجم

(١) انظر كتاب روائع الأعجاز العلمي في القرآن الكريم لهيثم هلال، ص٢٣٧.

ملعقة الشاي من تربة زراعية يوجد ما يقارب خمسه ملائيين من هذه البكتريا ولها أنواع وأسر متعددة، ولها أعمال وتخصصات عملية دقيقة للنبات، ولتحضير المواد الغذائية اللازمة لنمو وازدهار النباتات فى التربة لاعطائها المد الهائل من انواع البكتريا مثل (بكيتريا الهيدروجين) وبكتيريا الكبريت وبكيتريا الحديد وغيرها لتغذية التربة والطاقة اللازمة للنباتات.

أما (الماء) المصدر الغذائى المهم «للتربة» وأهمها الأمطار إذ هي أزدادت بسقوطها الكثيف لتنعش البكتريا والطحالب والفطريات وغيرها من الصور للحياة الأخرى لتكون «المجموعة الذهبية» الجذرية للنباتات القائمة على سطح الأرض هذه التربة هي «المصنع» الضخم لإنتاج عالم مليء بالحياة النباتية وسلاسل غذائية وكائنات عجيبة دقيقه وأحجار كريمة ومعادن وفلزات متشكلة تحللت عبر مئات السنين وأحدثت بعدها ثورة هائلة لضخ خامات فريده وعديده تنوعت من إفرازات التربة.

كما أن هذه العوامل الرياح والطيور والحشرات فى التزاوج والتلقيح على التربه، فنمت وتكاثرت في مجموعات «مذهله» من الكائنات الحية الدقيقة والترسبات الرخوية لسكن الأرض والتربه من زمن طويل ساهمت بنجاح في أثراء العالم بالنباتات والمركبات والنفط والمعادن أنه مصنع الأرض التربة.

الأخشاب

فيما يتعلق بالاخشاب فقد مجدت الحضارات منذ القدم جذوع الاشجار واستئصلتها من أعظم الشجر فى الطبيعة فالاغريق الأوائل والهنود الحمر فضلوا شجر البلوط (السنديان) وقال المصريون عن شجرة الجميز بانها مقدسة.

وتعلقت القبائل الجرمانية القديمة بشجر الدردار.

أما شبه القاره الهندية وما جاورها فقد أخذوا من شجرة العود المسماه علميًا (إقوالوريا) الطيب، ومن المفارقات الغريبة ان هذه الشجرة تفرز المادة العطرية حين تمرض وتصاب بفطر معين داخل الجذوع.

كما أن الفينقيين أخذو من أخشاب الأرز والسرو في صناعة الأساطيل والسفن والادوات الثقيلة والضخمه ونقل تجارتهم للأغريق والرومان، وقام الأوروبيون حديثًا بقطع أشجار البلوط وأخذ اخشابها للحصول على نفائسها لتزيين وتشييد أبواب المنازل والأرضيات والشبابيك وأدوات المطبخ.

كما قامت شركات عالمية فى صنع السيارات بوضع اشهر الاخشاب من السنديان على الطبلون وملامس التشغيل المتنوعة وغلفوها بملمس ناعم كما أخذ من بعض جذوع الاشجار لصناعة الأدوات الموسيقية كالبيانو والكمان والعود والاكسيليفون والبزق والاورغ.

كما قام الهنود والحرفيون بصناعة اشهر الألعاب من الأخشاب مثل الشطرنج، وصنع الأتراك من الخشب لعبة الزهر الشهيرة.

جذوع الأشجار

«فخامة السنديان»

السنديان أو «البلوط» شجرة ضخمة معمره تقطع جذوعها وتصنع منها الأخشاب للأثاث الفاخر «والأدوات» وتتميز أخشابها بالثقل والصلابه أضافتًا لجمالها، فقد تم تدمير غابات البلوط فى أوروبا وأمريكا للحصول على نفائس هذا الخشب اللازم لعمليات بناء المراكب وتشييد المنازل وصنع الأثاث وعوأرض السكك الحديدية (الفلنكات) كما أنها مع ملمسها الناعم الجذاب تزين أخشابها أحدث الماركات لسيارات عالمية كالمرسدس وBMW واللكزز والفورد وغيرها.

وتزين الأبواب والنوافذ المنزلية وصناعة المنحوتات والاثريات والالات الموسيقية كما تستخرج منها مادة تسمى (التانين) لصنع الحبر، وتستعمل منه لدباغة الجلود.

يقول الشاعر شوقي بزيع عن السنديان:

هو أكثر الأشجار تعويلًا على ما فات

كأز الطفولة..

لا شجر يعمر فى القرى إلا باذن منه..

لا جرس، يدندن فى السفوح بغير نخوته..

السنديان رحيلنا الفطري فى طرق مؤبد الشكوك..

وحين تمرر فوقه الذكرى جدائلها الطويلة..

يستبد به أنين شاعري الرجوع..

يسكر صوته الوديان، لكنه فى دمه الغضوب..

بريق أفراس تحمحم فى الهواء..

السرو البخور:

جذوع شجر السرو تتخذ من بين أخشابها أطيب البخور وتصنع من بين أخشابها الزيوت العطرية، أستعمله أهل مملكة (ماري) لصناعة عطرالسرو مع الزيت قبل اربعه الألف عام.

وقد تميزت هذه الجذوع منذ القدم بكثرة فوائدها، فسحقت الأخشاب وأستفادوا من خلالها في أمور عديدة منها الزيتون والكريمات العطرية وصبغات الشعر والصابون الطبي، فملكات ماري «والأميرات» والنساء أشتهرن باستخدام هذا الزيت «السرو» كما تعطر به نساء اوربا بعد أن انتقل إليها هذا الصمغ والبخور من المملكة التى كانت تقيم بالقرب من نهر الفرات، وتوجد أشجار (السرو) بشكل كثيف بجزيرة (الاشيا) القبرصية[١].

جذوع الكافور الضخمه:

شجرة كبيرة منبتها الأصلي بلاد الهند ونيبال وتسمى لديهم (كابور) والكافور شجرة

(١) الطيب والعطر في الشرق لناديه الغزي، ص١٨٣ (بتصرف).

ضخمة تألفها الطيور الكاسره، ويصل أرتفاعها أكثر من ٥٠ متر وتتميز بكبر وسمك جذوعها وهي جذوع معطاء وصمغها يسيل من أسفل الشجرة ويستخرج منها زيت الكافور، وتسحق أخشابه لصناعة الأبواب والنوافذ والأرضيات الخشبية التي تحل مكان السيراميك والموكيت وذلك لتميزها عمليًا ونظافةً وجمالًا.

وفى تركيا مدينة جميلة إسمها (بورصه) بها منطقة سياحية رائعه حيث توجد شجرة ضخمة القد ذات فروع تحمل أغصان كثيفة جدًا وتنتشر بشكل واسع يقطن تحتها السياح وبها المطاعم والمقاهي من أجل تناول الغذاء والفاكهه واحتساء القهوة والشاي، والتمتع بالجلوس تحتها، يرجح أنها الكافور!!.

دموع الصنوبر:

شجرة كبيره جدًا، ولحاؤها المتشقق ينبيء عن عمرها، فهي تعيش طويلًا، ولها ثمار بنية اللون ممتلئة بلأبر على أشكال دائرية وتمتلئ الجذوع أو الفروع بأعشاش البوم والطيور الكاسره، يسقط الصنوبر دموعًا صمغية مثل دموع الإنسان «لتنثرها حولها» تعبيرًا عن عطائه، وهداياه، و إعلانًا عن كرمه.

هذه الصمغ أو الدموع مليء بالفائدة فالمادة الراتينجية العطره زكية الرائحه.

وفيما يتعلق بثمره وهو عباره عن مخروط زهري مؤنث تطور بعد التلقيح وازداد حجمه وتكون الثمار متخشبه مركبة ذات لون بني مذهب، وتكون بذور المخاريط مجنحه وغير محاطه بغلاف ثمري حقيقي، وفى معجم الأمير الشهابي، أن كلمة Cone تعني صنوبره ثمرة الصنوبر والتنوب والارز وغيرها من شجر الفصيلة الصنوبرية وتسمى كرز الصنوبر بعامية الشاميين وهي محور رصفت عليه قنابات خشبية تحمل كل منها خباء وبزرتين مجنحتين.

«جذوع النخيل»:

كانت تستعمل جذوع النخيل فى العديد من الصناعات فقد استخدمت فى البناء

وتشيد المنازل والسقوف وتزين بها الاسواق ومداخلها، وتجمل بها المجالس، والأثاريات والأدوات المنزلية والأعمال اليدوية الرائعه.

ومن الحالات الغريبه التي تصيب النخله فقد تاتي عليها حاله من العشق فتميل بجذوعها إلى نخلة تجاورها والعكس، وتأخذ أطرافها بالذبول ما عدا تلك التي فى اتجاه النخله (المحبوبه) حيث فى أطرافها رعشات رقيقه، وفي احيان تصبح عنيده فالمزارعين فى نظرهم أن هذا النوع هي التي ترفض الأثمار وعلاجها الوحيد التهديد والكي بالنار!!

القهوة «رائحة الصباح»:

يقول البحتري:

مـن قهوة تنسي الهمـوم وتبعث الشوق الذى قد ضل فى الأحشاء

ولمحمود درويش مقطع موسيقي عن القهوة..

القهوه لا تشرب على عجل ...القهوه أخت الوقت تحتسى على مهل..

القهوه صوت المـذاق، صوت الرائحه ... القهوه تأمل وتغلغل فى النفس وفي الذكريات...

ومن الطريف أن يتم اكتشافها كمشروب وهذا الفضل يعود لراعيًا للأغنام فى أثيوبيا حينما لاحظ سهر «الماشية» بعد تناولها كميات من حبوب القهوة.[1]

وهذا الحدث انتقل بسرعه لبلاط الدولة فى أثيوبيا وحرص عليها الأمراء وحاشية الدوله حتى إنتقلت فى القرن السابع الهجري إلى الجزيره العربية وحضرت كمشروب رئيسى ومن ثم إنتقلت إلى بلاد فارس ثم تركيا أيام العثمانيين، وخلال الفتوحات العثمانية فى اوربا حاصر الأتراك مدينة فينا مرتين عام ١٥٢٩م وعام ١٦٨٣م وفى الثانية تراجع العثمانيون أمام الجيش البلغاري الذى حضر لنجدة فينا فتركوا اكياس القهوة خارج أساور المدينة

(١) كتاب الأوائل لعبد الرحمن عمر الحامد، ص٢١٤.

فاشتراها تاجر نمساوي وهو لا يعلم ماذا يفعل بها وشيئًا فشيئًا بدأ يحسن نوعية المشروب حتى انتشر بين الأهالي وخرج من نطاق فينا إلى كافة أوروبا.

بل أن دولًا مثل الدول الأسكندنافية تعتبر أكبر المستهلكين للقهوة وضربت أعلى الدول فى العالم استهلاكًا لها برغم عدم تصديرها «للبن» وجلبها من البرازيل وفتنام وكولومبيا.

بذور البن هي ثاني أكبر السلع تداولًا بعد النفط الخام نظرًا لاحتوائها على مادة «الكافيين» المنشط وهو المشروب الأكثر شعبية حول العالم.

الكاكا ثمرة الحب «وطعم الرومانسية»

الشوكولاته:

الكاكاو شجرة صغيرة موطنها الأصلي أمريكا الجنوبية ومعناها باللاتينية «طعام الآلهه» وهي ذات بذور أو حبوب يستخرج منها «الشيكولاته» فقد زرعت منذ ٤٠٠٠ سنه ق . م.

فقد اكتشفت شجرتها شعوب المايا والازتيك وذلك للآثار الرسومية التاريخية التى توجد على صخور تلك الحضارة وتعلق أهلها بشجرة الكاكاو، ومع غزو الأسبان لمكسيكو (شعوب الأزتيك عام ١٥٢٠م) طمعًا فى الثروات التى تملكها أرض المكسيك فوجد الأسبان (الشوكليت) ونشروها فى أوروبا ووضعو شراب الكاكاو معه السكر وأذابوه مع الحليب اعتبره العلماء قديمًا بأنه «هرمون السعادة» لما به من ماده غنية «باليروتونين» الحافظة تمامًا لحالات الإكتئاب كما تحتوي الشوكولاته على مادة «الإندورفين» الكيميائية المروفين الداخلي فى جسم الإنسان فهي نفس المادة التي تسبب تسكينًا الآلام و إزالة الضغوط التي تحتويها كذلك هي المادة نفسها التى تقوم الابر الصينية باستثارتها للخروج من مخازنها فى مختلف أنحاء الجسم وهي المادة المسببة لإدمان البعض على الشوكولاته!!.

أما الماده المميزة أو ما يسمي بدواء الحب فهي مادة (الفينيلثيلامين) التى ذكرناها مع الاندروفين فى زاوية الأحمر، وهي مادة تتحول لحاله تصيب الإنسان للعشق والحب بعد

تغلغلها فى الدم وتسبب خفقان القلب وتغيرات فى الضغط مما يثير الحماس والنشاط وهذا بعد تناولها.

كما توجد بها مادة الكافيين ولكن بشكل أقل من القهوه..

دخلت الشوكولاته كمشروب لاوربا بشكل مذهل ففي بريطانيا وتحديدًا عام ١٧٦٣م طلبوا مصنعوا البيره تشريع يحد من مقاهي الشيكولاته بعد تزايد عشاقها.

أما فى فرنسا فقد قام نابليون بتنشيط قلوب جنوده بقطع من الشوكولاته وتوزيعها بشكل مستمر.

تصب قوالب من الشوكولاته السائلة بعد سحق المئات من ثمر الكاكاو وطحنه فيكون (زبدة الشيكولاته) جاهزًا لوضعها مع السكر المطحون والحليب.

فهناك الأصناف والأشكال المتنوعه من الشوكولاته.

والمثير أنه فى دول عديدة تسن القوانين والحضر والعقوبات من أجل السيده «شوكولاته»!!

ففي فرنسا واليابان يطاردون الجواسيس الذين يقومون بتقليد الماركات الجديدة وتسريبها فى الأسواق.

أما فى سويسرا ملوك الشوكولاته مهتمة بهذه الثروة لدرجة أنها قبضت على جواسيس الماركات المميزة باعا «سر الصنعهﷺ للصين وتايوان وذلك عام ١٩٩٨م وتسببا بخسائر قدرت بـ ٨٥ مليون دولار!!

أما فى أمريكا فهناك عقوبة لمهربي الشوكولاته لأرضها وفور دخولها يتم تطبيق عقوبة غرامية تصل ٢٥٠٠ دولار(١)!!

---

(١) مقال للكاتب فهد عامر الأحمدي، بعنوان: (خبز العشاق)، جريدة الرياض، الصادرة في ٢٥/ ١١/ ٢١١٢م.

لوز.. وبندق

نطرتك سنة، و يا طول السنة؟

وأسال شجر اللوز!!

بشوفك بالصحو «جاية من الصحو».

وضايع بورق الجوز.

(الأخوين رحباني)

اللوز أمير المكسرات «ثمره يفرغ من بذرة خشبية الشكل وهي بذور صلبة بنية اللون».

اللوز ذو الطعم الشهي مزين أطباق الحلوى صاحب قيمة غذائية عالية فاللوز مشبع بالدهون الاحادية المعروفة بقيمتها الوقائية من أمراض القلب والدماغ وتوجد الألياف التى تفوق نسبتها أي نوع أخر من المكسرات: وتوجد المركبات الكيميائية المضادة لكثر من الامراض أهمها السرطانات ومنه تستخرج الزيوت و يدخل في صناعة التجميل والصيدلة لآثاره الواضحة فى إزالة الامراض الجلدية المتعددة والجفاف الملاحق لها، فشجرة اللوز أحدى أنواع جنس البرقوق و يتبع الفصيلة الوردية بأزهارها الوردية الكثيفة الرائعة، وموطنه الأصلى الشام وحوص البحر المتوسط، والآن يحتل المرتبه الاولي من إنتاج مدينة كاليفورنيا الأمريكية.

البندق:

هذه الثمرة هي أحدى أشهر المكسرات مع اللوز، تثمر بعد ثلاث سنوات من زرعها وفي كل فصل ربيع تحمل الأشجار مجموعه من الأزهار الخنثوية أي النبته الواحده تحتوي على الأزهار الذكرية والأزهار الانثوية المرتبه بجانب بعضها البعض على ساق مركزية والتى تتحول في النهاية إلى ثمار البندق في فصل الربيع والثمار تنتج فى مجموعات كل واحدة منها مغلفه في كبسولة صغيرة ورقية تحيط بمعظم الثمرة تحصل اللون البني، والبندق صديق

القلب والشرايين كونها مصدر أو ميجا التي تمنع تخثر الدم وإنسداد الشرايين وتحافظ ضغط الدم وتقلل من خطر تزايد مرض السكر وأمراض القلب، والبندق بعد الأبحاث العلمية الحديثة أثبت أنه مضاد للتاكسد ومانع للشيخوخه المبكرة وأنه غني بفيتامين (E) و(B5) و(B6) و(B9).

الغذاء الملكي

العسل مادة عطرية سميكة القوام حلوة المذاق مفيدة جدًا وهي شفاء قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ ﴾ [النحل: ٦٩].

وهو خلاصة إنتاج النحل المتنوعه من رحيق الأزهار بعد هضمها لإصدار العسل والغذاء الملكي والشمع والخمائر - الإنزيمات - وهذه العملية تتم عبر القنوات المختلفة فى الجهاز الهضمي المعقد وتحويل الرحيق من كل الثمرات إلى «العسل» اللون البني الفاتح أو المتنوع الألوان المشع الشمعي الجميل.

وهو غني بالفيتامينات والمعادن المتنوعه كما أنه يمتاز بحفظ مكوناته الفيتامينية لمدة طويلة جدًا بعكس الفواكه والخضروات، وتوجد العديد من السكريات والإنزيمات والأملاح المعدنية والأحماض والبروتونيات التي تساعد في الشفاء من الأمراض الخطيره مثل السرطانات, بإذن الله وأمراض القلب والشرايين والتجلطات والتهابات الرئه والأمراض الجلدية والكبد والكلي وأمراض الدم(١).

الخلايا السداسية

أما بيوتها السداسية فهي أعجوبة بحد ذاتها إذ أن هذه الأشكال السداسية فى غاية من الدقة مترابطة ومتساوية وكأنها صنعت تحت إشراف المهندسين الذين يحملون الأدوات والخرائط الهندسية.

---

(١) انظر كتاب روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لهيثم هلال، ص٣١١.

صنع النحل الإحترافي والسر فى البيوت السداسية الإبداعية هو حياة النحل وبقائه فكيف؟!

فمثلًا الأشكال الدائرية تبقي البيت «فرجه ضائعه» وتساعد الحشرات المفترسه والزواحف دخولها بسهوله.. والمربعه تضيع خلالها الزوايا فتبقى خالية !! فالمستديرة لا يمكن أن تكون الخلايا متراصه ومترابطة والمربعه توجد خلالها مساحات لا يستفاد منها وتتيح للأعداء الوصول اليها بسهولة.

أما الأشكال السداسية فهي مركبة بشكل متقارب موزون وقوي أضافه أن جميع مساحاتها تستغل وتجعل حمايتها بشكل أمن.

ولهذا فان النحلة لها شفرتان حادتان لجمع ثمار الأشجار ورطوباته فى صناعة الخلايا[١].

عالم النحل «خفايا وأسرار»

بأمر المملكة (هام للغاية)؟!

النحل: قادة ورجال دولة وملكة وأميرات ومرشدون وحراس وخدم وعمال «مملكة رائعه» غرز الله فيها الطبائع والسلوك والخصائص والعجائب المبهره فصنع عالمًا ملئ بالاسرار والخفايا «فتبارك الله أحسن الخالقين».

يقة المعلومات وإيارة الوقت:

فالدقة وتسجيل المعلومات وحفظها غاية الضبط المبرمج فى مخها، هذا قياسا بحجمها الصغير جدًا، حيث يبلغ طولها من ٢ إلى ٤ سم فقط فحين تغادر إلى وسط بستان ملئ بالزهور لجني الرحيق فإنها تسجل الوقت بدقه بالغة مع المكان أيضًا وفى اليوم الثاني يتلقي مخها إشارة إلى أن الوقت قد أزف لزيارة تلك الزهرة لجمع الرحيق ولو فرض أنها لا تجد رحيقًا فى المكان الذى بلغته لكان هناك معلومات تسجل لهذا ايضًا فى مخها[٢].

(١) انظر كتاب عجائب المخلوقات للقزويني، ص٣٨٧ (بتصرف).
(٢) انظر كتاب روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لهيثم هلال، ص٣١١.

وفى اليوم التالي تذهب إلى زهره أخرى وتسجل عندها ما تجده!! والنحل لا ينام أبدًا وبفضل عيونها السداسية تستطيع رؤية جميع الأماكن وجميع الزوايا بل تستطيع مشاهدة الشمس ولو منعتها السحب من ذلك وهي حكمة إلهية لكي لا تموت جوعًا(١) وذلك فى حالة إختفاء الشمس من الغمام تدل وتتعرف على الحقول والزهور والنباتات التى تتغذء منها فهي شغوفه بعلق الأزهار والاكل من كل الثمرات.

وهناك من النحل مرشدات حينما تذهب للبحث عن الغذاء تصدر من خلال جولتها ماده ترشد بها باقي النحلات فى الخلية عن مكان الغذاء، وعندما ينضج ويجهز الرحيق تفرز عليه موادًا حافظة ثم تنتقل إلى مصدر آخر ويوجد فى النحل حراس، يستطيعوا أن يميزو كل غريب، وعند دخول أي غريب بينهم يطرحه الحراس خارج الخلية أو يتم قتله، علمًا بأن تعداد الخلية يصل إلى أكثر من ثمانين ألف من النحل جميعهم يعرف بعضه، والكل يعمل من أجل الكل، وهي ذات نظافة فايقة، فالمخلفات ترمى خارج الخلية أول بأول، لدرجة إذا أتت نحلة ووجد الحراس منها رائحة منكرة أو قذرة منعوها من الدخول وعزلوها " حتى يزول ما بها !! والعجيب ما اكتشفه العلماء حديثًا وهو:

عقوبة النحلة السكرانه؟!

وهي أحدى طرائف النحل، إذا أن بعض الثمار الناضجة فى الطبيعة تتخمر وتنتج مادة تسمي «الإيثانول» وهي مادة تصبح خمرًا، فتاتي النحلة لتلعق منها فتدخل فى جوفها هذه المواد فتصبح «سكرى» تمامًا مثل البشر!!

وجميع النحل زودها الله بما يشبه «أجهزة الإنذار» تستطيع شم رائحة النحل السكران فيقاتله الحراس ويبعد عن الخلية، ومع انتهاء المخدر وزواله من النحلة بعد ٤٨ ساعه تعود مجددًا للخلية، بعد أن يتم الكشف عليها والتأكد أنها سليمة تمامًا(٢).

---

(١) نفس المصدر الأول.

(٢) أسرار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة للأستاذ عبد الدائم الكحيل - الموقع الرسمي www. - ar kahe17.com

الملكة والعاملات:

الملكة تعد أهم فرد فى مجتمع النخل إذ أنها المنتج للبويضات فهي الانثي الوحيدة المكتملة جنسيًا، أما العاملات فلم تكتمل الأعضاء الجنسية لديهن!! فالملكة مدللة لحد الترف فالعاملات هن من يهتم بالاولاد كما أنها تنتج هرمونات تحدد مختلف نواحي سلوك النحل، فكيف يتم ذلك؟!

حين يقمن العاملات بتنظيف جسد الملكة يحملن هذه الهرمونات و يوزعنها بسرعه على باقى افراد الخلية من النحل و يتم ذلك خلال تبادل الطعام فما لفم، ومن مزايا العاملات أنهن على قلب واحد فلا اختلافات ولا صراع، فهن اللواتي يحددن متى واين يجمع الرحيق من الازهار وهن اللاتي يقررن متى تستبدل ملكتهن وهن اللاتي يحددن مكان ووقت الهجرة فى حشد كبير لتشكيل خلية جديدة.

فناء الملكة وعملية التوريث:

وعندما تموت الملكة تبدأ العاملات ببناء عدد من الخلايا الملكية وهي ذات شكل مميز، وتقوم العاملات بتربية عدة برقات ملكية فى أن واحد بتلقيها الغذاء الملكي، وما ان يتم فقس أو بيضة عن ملكة حتي تبدأ حملة قتل جماعية تستهدف جميع العذاري الملكات اللاتى لم تنته من تطورها بعد.

فتشريعات بمملكة النحل تقضي بان لا يبقى فى المملكة الواحدة سوى ملكة واحدة فقط.

مشاهد من الزفاف الملكي:

وأول ما تقوم به الملكة الجديدة ضمن استعدادها لرحلة الزفاف هو قتل منافساتها من الملكات و إذا تصادف أن أخرجت ملكتان فى آن واحد فيحدث نشاب فيما بينهما ينتهي بموت إحداهما!! وبعد أسبوع من الاستعداد والتجهيز تبدأ مراسم الزفاف الملكي فتغادر الملكة الخلية وتحلق من مسافات فوق الخلية ومن جهات عديدة كي لا تخطي طريق الرجوع بعد الانتهاء من عملية التلقيح ثم تقوم ببث عطرها الملكي الجذاب، وترسل انغامها

الرنانة المغرية، ويبدأ الطيران ويحلق بها الذكور بعزيمة ونشاط وكلما اوشك أحداهم على اللحاق بها، زادت سرعتها وارتفعت فى الفضاء ويتساقط بعض الذكور واحدًا تلو الاخر حين يعجزون عن اللحاق بها ولا يبقي إلا القليل من الذكور وهنا تنطلق الملكة باقصى سرعتها وترتفع لأعلى مسافة يمكنها، ويظفر بها اقواهم بنية واجلدهم على تحمل المشاق، ويتم تلقيحها وتنتهي مراسم الزفاف الملكي بعد ١٥-٣٥ دقيقة من بعدها تعود الملكة العروس تاركة خلفها العريس الصريع دلالة على نجاح الزفاف اذ ينفصل عضو التذكير ومعه جزء من احشاء الذكر فور الانتهاء من التلقيح وينزف ذكر النحل حتى الموت بينما تبادر الوصيفات أو الاميرات بتنظيف الملكة مما علق بها، وتعم الفرحة أرجاء المملكة.

وتبدأ العاملات بتجهيز عيون شمعية جديدة أستعدادًا لوضع البويضات فيها!!

ويقدر العلماء بان الملكة تضع حوالي ٢٠٠ إلى ٢٥٠ الف بويضة فى الموسم الواحد ومليون بيضة خطفتها يد المنون!![1]

ثمرة الكستناء، فاكهة الشتاء

هي أشجار تتبع الفصيلة البلوطية وتنمو فى الاجواء المعتدلة من نصف الكرة الشمالية ويشير الاسم الكستناء أوشاه بلوط، أو بما يعرف لدينا بـ«أبو فروة» وهو الثمرة الشتوية الحلوه، وتشتهر «بفاكهة الشتاء» وتكون هذه الثمار على الاغصان بشكل مزدوج أو ثلاثي يلفها غلاف وبري شوكي، وكأنها فراخ عصافير، الشجرة الرائعة الجمال لا يغير عمرها الطويل شي من جاذبيتها وحسنها، تتحمل أشعة الشمس والحرارة العالية، كما تتحمل الصقيع والثلوج، وتعطي إنتاجًا أفضل فى المرتفعات التي يكون شتاؤها باردًا أو قارصًا، وتنفر هذه الشجرة من الكلس، الاتربة الغنية بكربونات الكالسيوم.

مع قدوم الخريف تكتمل وتنضج ثمرة الكستناء وهي قيمة غذائية عالية مثلها مثل المكسرات لاحتوائها على الكثير من المعادن والفيتامينات.

(١) لمزيد من المعلومات باستطاعتك الدخول عبر الإنترنت موقع الدكتور:حسان شمس باشا. بعنوان: من أسرار عالم النحل - الصادر في ٢٠٠٧/٩/٤م.

استخدمها الرومان فى اطعمتهم، بعد أن نقلوها من شعوب الأغريق وتجارها، وهنا تعود أصل هذه التسمية من كلمة كاستاينا Kastania وهي بلدة من مقاطعة تيسالي فى وسط وشرق اليونان.

يحضر منها الايطاليون حلوى تقليدية تدعى «الكستياتشو» وخلال العصور الوسطي أصبحت فاكهة الكستناء، معروفة ومقدرة ليس فقط كفاكهة على موائد الأثرياء ولكن كبضاعة تجارية وهذه الثمرة استعمل اسمها لوصف لون الشعر البني حيث اتسمت بالاسم الرائج لون الكستناء الشعر الكستنائى الموضة الصارخة.

لون الشعر الكستنائى

يعد الأشوريون[1] أول شعب ابتكر فن التسريح فى التاريخ تميزت أساليبهم الفريده فى قص الشعر وتجعيده وتطبيقه وصبغة وتعطيره فى شتي بلدان الشرق الاوسط، نمت تلك الحرفة نظرًا لاهتمام الاشوريين بالشعر فقصوا الشعر على هيئة صفوف منظمة بحيث يبدو راس رجل البلاط المهتم بالموضة، شبيها بالأهرامات، وصفف الشعر الاطول لتنسدل خصله المجعدة والمتوجه على الكتفين وفوق الصدر، وقد طوروا أساليب تصفيق الشعر وأعاروه اهتمامًا أكثر من بقية وسائل التجميل فحدد قانون لتسريحات الشعر بحسب مرتبة الفرد ووظيفته وعمدت نساء الطبقات العليا، شأن الحال فى مصر، خلال قيامهن بوظائفهن فى الحكم، إلى وضع لحى مستعارة ليؤكدن قدرتهن على القيادة وتحمل مسئولية السلطة دون قصور عن الرجال.

أحب الإغريق خلال زمن «هوميروس»[2] الشعر الطويل الكستنائى المائل للأشقر

(١) بلاد أشور بلاد فى منطقة شمالي ما بين النهرين، إستوطنها منذ الألف ق.م شعب سامي وأنشا فيها، ازدهرت فى القرن ١٤ق.م فبسطت سيادتها على سائر بلاد ما بين النهرين ثم امتدت إلي سائر بلدان الشرق الأوسط وكانت لها إمبراطورية واسعه.

(٢) ميروس: (القرن ٩ ق.م) ولد في آسيا الصغرى. شاعر ملحمي إغريقي. قيل أنه كان أعمى. نسب إليه المؤلفون الإغريق أشعار «الالياذه» و«الادوسيه» و«الأغاني الهومرية» التي أثرت تاثيرًا عميقًا في مستقبل الشعر الأغريقي.

المجعد ذات الحب الذى طغي على الأشوريين وهو بذلك ميزهم عن البرابرة الذين اعتادو تقصير الشعر وعدم تصفيفه فغدت خصلات الشعر المجعدة والمعطرة هاجس الاغريق وهذا ما يظهر جليًا فى قصائدهم الشعرية والنثرية.

تميز جل أبطال الإغريق العظماء مثل آخيل ومينالوس وباريس بخصلات شعرهم الكستنائى - المائل للذهبي أو الأشقر كما تصورهم الملاحم.

فتح الحلاقون المحترفون محلات خاصة بالحلاقة لأول مرة فى روما فى عام ٣٠٣ قبل الميلاد . ثم شكلوا جمعيات حرفية خاصة بهم، ونظرًا لاهتمام القوانين الاجتماعية الرومانية بالعناية بقص الشعر وتصفيفه فضل رجال الرومان ذوو المناصب السياسية والاجتماعية الرفيعة اللون الكستائى القريب من الأسود، فكان على أفراد القنصليات وأعضاء مجلس الشعب المسنين أن يعملوا على إخفاء الشيب، وقد وصل فن رش المساحيق وكل أشكال تصفيق الشعر فى تسعينيات القرن الثامن عشر، وفى بلاط الملكة قاري انطوانيت ذروته فيصفف الشعر ويجعد ويموج ويحول، بإضافة كميات من الشعر المستعار، إلى أبراج رائعة، ثم ترش عليه مساحيق ألوان متعددة مع الكستنائى.

وفى عام ١٩٠٩ قام الكيميائى الفرنسي يوجين شيلور بأول محاولة ناجحة لتطوير صيغة شعر تجارية وصحية، اعتمد خلالها فى مركبة على مادة البارافينليين ديامين التي ا كتشفت فى ذلك العام، وأنشا المؤسسة الفرنسية لإنتاج صبغة الشعر الآمنة، التي قفز بها للقمة وهي L.oreat.

أما الشعر المستعار فكان للون الكستنائى نصيب الأسد منه و يعود فضل ا كتشافه لقدماء المصريين أي قبل ان يعرفه الاشوريون بـ ١٥٠٠ عام وقد استخدم الغربيون الشعر المستعار ايضًا ولكن كان فى معظم الاحيان لتغطية الراس وتجميله دون الصلع وارتدوه للمناسبات والإحتفالات فقد كانت الباروكات ضخمة وثقيلة فقد اعتادت الملكة ايسيمخيب فى عام ٩٠٠ ق. م[١].

(١) انظر قصة العادات والتقاليد لتشارلز ناباتي، ص٢٥٤ (بتصرف).

أن ترتدي فى المناسبات الرسمية باروكة ثقيلة كستنائية اللون وطويلة إلى درجة انها كانت تحتاج إلى مساعدة خدمها للسير بها.

أما النساء الرومانيات فكن يزين باروكاتهن بأشكال متنوعة من خصلات شعر خرنوبية اللون تؤخذ من روؤس الأسري الجرمان، أما نساء الاغريق فقد صبغن شعرهن أورش المساحيق الملون عليه حاولت الكنيسة المسيحية لعدة قرون، تحريم ارتداء الباروكات بمختلف أشكالها وألوانها وغاياتها، فأمر آباء الكنيسة فى القرن الاول: أن الإنسان الذى يعتمر باروكه لا يستطيع الحصول على البركات الالهية وفى القرن الثاني، بشر تيرتوليان، اللاهوتي اليوناني بأن الباروكات إغراءات شيطانية، وحرم المطران سيبريان فى القرن الثالث، على كل مسيحي يرتدي باروكة يمنع من دخول الكنيسة وحضور المناسبات الدينية.

ووصل التحريم ذروته فى عام ٦٩٢ ميلادية[١]، ففي ذلك العام قرر المجمع القسطنطيني إبعاد المسيحيين الذين رفضوا التخلي عن إرتداء الباروكات، حتى الملك هنري السادس الذي تحدى السلطة الكنيسية فى القرن الثاني عشر، والذي تم إقصاؤه عن الحكم فيما بعد، أيد توصيات الكنيسة، ومنع الشعر الطويل والباروكات فى القصر الملكي، لكن الكنيسة فى عام ١٥٨٠م تساهلت بموقفها تجاه الباروكات وقصات الشعر، وذلك بعد أن أحست بأنها بدأت تفقد بعض المؤمنين.

عادت الباروكات للظهور كآخر صيحة فى عالم الموضة للشعر، وعدت الملكة إليزابيث الأولي أكثر الناس مسئولية عن عودة الباروكات المجعدة والملونة، حيث اقتنت عددًا كبيرًا منها بألوان كستائية مائلة للحمرة تستخدمها لإخفاء مفرق شعرها الذى كان يتصلع بسرعة كبيرة.

وشاعت الباروكات، فلم تعد تلفت النظر، ولم يدرك حتى المقربون من ماري ملكة الاسكوتلنديين أنها تضع باروكة كستنائية، ولم يعرفوا بذلك إلا عندما قطع راسها، كانت

(١) نفس المصدر الأول.

الباروكات الثمينة التي يرتديها المحامون فى لندن فى القرن الثامن عشر تسرق فى الشوارع المكتضة بالناس، حيث يحمل اللصوص على اكتافهم سلالًا يقبع فيها الاطفال الصغار يقومون بخطف سريع للباروكة التى يرتديها النبيل، ولم يكن اولئك النبلاء يجراون على احداث اية ضجة بسبب الخجل وخوف سخرية الناس بدلًا من أن يهبوا للحاق باللصوص.

ظل ارتداء الشعر المستعار سائدًا بين محامي المحاكم العليا الإنجليزية حتى القرن العشرين، باعتباره جزء من الزى الرسمي للدولة.

النقش البني على الأجساد الناعمه

الحناء هي أحد أسرار الزينة المكملة لدى النساء وبالذات المرأة العربية ومنذ القدم ومازالت ليومنا هذا تتمتع بها في كل مناسبة وبكل الاحتفالات المهمه كالأعراس والاعياد وغيرها وهذا النقش النحاسي أو البني هو نوع معجوني يتم «سحقه» بالماء وربما بالشاى الأحمر ومعه شى من الزعفران أو الأعشاب الأخرى وأهم هذه الأدوات طبعًا «أوراق الحنا» ليكون من اجمل أدوات الزينة.

كما تخضب به المراءة شعرها ليعطي اللون البني البراق ذو الراحه الزكية؛ فشجرة الحنا تخذ من اخشابها الصلبة المادة البنية من أجل الخضب أو النقوشات لتزين بها المرأة بالأيدي أو الأرجل، وفي الهند استعملوا الحنا كدواء لأمراض الجلد، وكذلك الأطباء والعطارون العرب كانوا يستعملونه من أجل التداوي والعلاج من الاورام والقروح وضمدها لا زالت الدمامل والاورام والأمراض الجلدية..

أما الفراعنه فإنهم استخدمو مسحوق أوراقه فى التحنيط وتطييب الجثث، وعلاج المصابين بالصرع وذكر أن رمسيس الأول أرسل للبحث عنه في آسيا حتى وجدها فى بلاد فارس وهي موطنها الأصلي.

وأستعمل العبرانيون أزهاره المعروفة بطيب رائحتها بوضعها فى ملابس العروسين.

وبلا شك هو أحد رموز الأفراح بالنقوش المذهلة على الأجساد الناعمة للفتيات

وللعروس ليلة زفافها، فى دول الخليج والمغرب العربي والسودان وكذلك يخضبن النسوه شعورهن وذلك تعبيرًا عن البهجه والسرور.

تدخل الحناء اليوم فى العديد من الصناعات الصبغية للشعر فى الدول الاوربية وأمريكا، كذلك أحد اهم المميزات الفعاله لعلاج الشعر وتقويته وتغذيته الفروه وعدم التساقط، بعكس الصبغات الكيمياوية التي تحدث أمراض جلدية و إلتهابات خطيرة.

كما تدخل الحناء اليوم فى عالم البخور والعطور بشكل واسع، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: «**إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم**»[١].

وعن سلمى أم رافع قالت: كان لا يصيب رسول الله ﷺ قرحه ولا شوكة إلا وضع عليها الحنا[٢].

(١) رواه أصحاب السنن والترمذي وقال حديث صحيح.

(٢) رواه الترميذي بإسناد حسن.

«فلسفة الرمادي»

ســاعتي تســقط فى المــاء الرمــادي

فلم اذهب إلى موعدك الساطع

يــأتي زمــن آخــر إذ تنتحرين

واســمــي حــادثًــا يحــدث أيامنا

قد ذهب العمر ولم أذهب مع العمر إلى هذا المساء

أبــقــى فى انــتــظــارك..

(محمود درويش)

الرمادي

الرمادي هو مزيج من اللونين الأبيض والأسود وهو اللون المحايد من بين كافة الألوان، أى أنه يعيش فى المنتصف ويسمي أيضًا بالرصاصي وفي دول الخليج يطلق عليه «الفيراني» وتحديدًا فى ألوان السيارات.

الرمادي هو اللون الذى يقضن فى مجموعة الألوان المتباعده على الدائره الساخنه والبارده لتعلن عن «تحيدها» وبينها التوافق لاشتراكها فى هذا اللون.

هذا اللون دائمًا ما يعبر عن «الاكتئاب» فى الحياة والطبيعه وذلك ربما لانه كثيرًا ما يكون فى النهايات غير السعيدة «المحزنة» التى تختتم خلالها الأشياء مثل انتهاء الكائنات الحية أو «تحطمها» ومثل موت البشر للرفات!!

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ [الإسراء: ٤٩].

ومثل انطفاء النار لتصبح رمادًا!!

يقول المتنبي لما وصل به العشق لذروته:

جربت من نار الهوى ماتنطفي ... نار الغضى وتكل عما تحرق

وعذلت أهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لايعشق

ولكن يضل الرمادي لونًا مميزًا ومن خلاله ثمة أشياء تدعو إلى السعاده والامل أوبشكل آخر يعبر أيضًا عن «البدايات».

فحقيقة وأصل «الرمادي» من بدء معالم الكرة الأرضية.. فالأرض عندما انفصلت عن الشمس حين تخلفت السماء عبر الفتق الاولى لم تكن أى الأرض سوى كومه من

الرماد المكون من العناصر الخفيفه ثم رجمت هذه الكومه بوابل من النيازك الحديدية التى انطلقت إليها من خارج المجموعه الشمسية، فاستقرت فى لبها بفضل كثافتها العالية وسرعتها الكونية الفائقة، فانصهرت بحرارة الإستقرار وصهرت كومة الرماد وما يزتها إلى نطاقات أو طبقات سبع، واللب الأرضي الصلب هو هيئة كرة ضخمة من الحديد والنيكل وتصل نسبة الحديد فيها ٩٠٪ وباقي النسب تتوزع بين ٩٪ للنيكل ومواد أخرى كالكبريت والفوسفور والكربون ١٪[1] أما البدايات فى خلق وتكوين النباتات والزروع ونشاتها فهي منذ هطول الامطار عليها أى على الأرض وتربتها فما سر الرمادي والبدايات السعيدة والأمل والحياة؟!

لنبدها من الأمطار.

أكوام السحب الرماديه

قبل سقوط البرد والأمطار ومع هطولها نحن نشاهد الغمام والسحب التي تتشكل باللون الرمادي فلماذا تبدو كذلك؟!

هناك عاملين رئيسين يتحكمان فى لون السحب وهما الكثافة والارتفاع عن سطح الأرض.

إذ أن السحب عباره عن رذاذ صغير محمل بالماء أو الثلج وعاده ما تتكون عندما يتشبع بخار الماء من خلال الجيوب الهوائية التي تبدأ فى الارتفاع بعد أن تتكثف لترتقي تدريجيًا إلى عنان السماء وحبيبات المطر وبلورات الثلج الموجوده بالسحاب هي التي تساعد على انتشار جمع ألوان الطيف مقارنة بجزيئات الهواء التى تسمح بانتشار اللون الأزرق فقط، ولهذا السبب تظهر السحب باللون الأبيض عند اندماج هذه الألوان مع بعضها اما السحب غير الكثيفة فانها تسمح لقدر كبير من الضوء بالتغلغل خلالها وعندما تظهر باللون الأبيض وبطبيعة الحال فان درجة هذا البياض تتناسب طرديًا مع الكثافة كلما انخفضت نسبة

(١) انظر كتاب روائع الإعجاز العلمي لهيثم هلال، ص١٢٧.

الضوء المخترق لهذه السحب وعندما تزداد كثافة السحب تنخفض تبعًا لذلك نسبة الضوء النافذ و يبدأ اللون فى التحول التدريجي إلى اللون الرمادي الذى نرى عليه السحب الكثيفة قبل سقوطها على شكل أمطار.

فالمطر ومن خلال التجارب عليه تبين أنه يحتوي على فيتامين B12.

يقول البحتري فى المطر:

إن السـماء إذا لم تبـك مقلتهـا لم تضحك الأرض عن شي من الزهر
والأرض لا تنجـلي ألوانهـا أبـدًا إلا إذا رمـدت مـن شـدة المطـر

أما بدر شاكر السياب فيقول بقصيدته «أنشودة المطر»:

كإن أقواس السحاب تشرب الغيوم وقطـرة فقطـرة «تـذوب فى المطر

و يصف نزار محبوبته حينما تبكي بدموع الحزن مثل أمطار شهر تشرين:

إني أحبـك عندمـا تبكينـا وأحـب وجهك غائمًـا وحزينا
تلـك الدمـوع الهائمـات أحبها واحب خلف سـقوطها تشرينا

والمطر الكثير يسمى وابل والقليل منه يسمى طل..

يقول المتنبي مادحا سيف الدولة الحمداني:

إذا مطرت منهم ومنك سـحائبا فوابلهـم طـل وطلـك وابـلُ

الرمادي في الحضارات القديمة

اللون الرمادي عند الاغريق والرومان قديمًا هو لون الآله «ساتورن» ويزعم قدماء هاتين الحضارتين أنه إله الخصوبة والزراعه وربما كان اسمه لدى الأساطير الأخر «اتروسكان» وكانت له شخصيته فى المستقبل فى اول الامر إلا أن الرومان نبوه إلى إله الإغريق « كرونوس» فيما بعد وكانت زوجته «اوبس» آللهة الخصوبة والحصاد عندهم

وكان الرومان يحتفلون به فى كل عام بمهرجان يسمى عيد االه «ساتورن» وكانت الاحتفالات تبدأ فى ١٧ ديسمبر وتستمر لمدة أسبوع وتغلق المدارس أثناء هذه الفترة و يتوقف العمل فيها ولا يعاقب المجرمون!!

وتوقف القوات الرومانية شن الحروب و يتساوى العبيد والاحرار وتتعطل كل القوانين التي تنظم السلوك العام و يشترك كل المواطنين فى الاحتفالات، و يعتقد بعض العلماء أن العادات المتبعه الأن فى اعياد الميلاد عدلت وجاءت الاحتفالات بعيد الاله ساتورن، مثل اقامة الولائم ومنح الهدايا!!

أما الإنجليزوتحديدًا طبقة السلتيين المثقفة كانوا يحتفلون بقدوم الشتاء بتجميع نبات الهدال وحرقه ونثر الرماد قربانًا للآلهة، هذا التقليد كان في عام ٢٠٠ ق.م[١].

و يضعون أغصان هذه النبته في زوايا منازلهم تفاؤلًا منهم بطالع سعيد وانسجام عائلي خلال العام المقبل.. والطريف أنه إذا التقى اثنان متعاديان تحت أغصان هذه الشجرة كان عليهما أن يلقيا اسلحتهما جانبًا وأن ينسا خلافهما ليوم كامل.

ولدى اليهود طقوسات دينية غريبة أهمها «شجرة الحياة» وهي تحمل اللون الرمادي وهو لون مهم و يرمز إلى «المعرفه والحكمة».

وتسمى هذه الشجرة الحياة الزرواتشية التى تعيش بين أغصانها أفعى لا يمكن زحزحتها وهو ما يذكر بشجرة المعرفة في جنة عدن العبرية، إذ إن الافعى فى هذا السياق هي تجسيد للحكمة الالهية ورمز الروح، وبسبب قدرتها على طرح جلدها.

وتمثل الافعي لدى اليهود أيضًا التجديد والانبعاث والزمن الدوري.

أما فى الهند وعلى ضفاف نهر الغانج فهناك طقوس وعـادات عجيبة وممارسات واعتقادات دينية غريبة فرجال الدين يضعون الرماد على اجسادهم ليعبرو على الحجارة والرمال لمسافات طويلة بالقرب من النهر ويحرق «الهندوس» جثث موتاهم ونثر الرماد داخل تيارات النهر؛ وذلك لمحوا الخطايا والذنوب، ومنذ آلاف السنين والناس هناك يؤمنون

(١) انظر كتاب العادات والتقاليد (الأعياد) لتشارلز باناتي، ص٧٥.

بالاسطورة التي تقول أن نهر الغانج يجري فى الجنة وقد نقل إلى الأرض بمجاريث لتطهير رماد ٦٠ الف عام من بناء الملك ساجار ومن ذلك الوقت بدأ الناس فى عبادته والملايين من الهندوس ياتون سنويًا لغسل خطاياهم.

الرسم بقلم الرصاص

الرصاص هو المادة التي نكتب بها حينما كنا فى بداية حياتنا التعليمية وهذه المادة التى تكون فى قلب القلم الرصاصي هي «الجرافيت» الكربون المخلوط مع الطين وتغلق هذه الماده بالخشب أو البلاستيك.

وقد استخدم قلم الرصاص فيما بعد عصر النهضة فى الرسوم حيث شاع ذلك بكثرة فى اوائل القرن السابع عشر حينما أستخدمه فنانو هولندا كأساس لرسومهم، كما استخدمه فنانو انجلترا فى صورهم الدقيقة وقد إنتشر هذا الفن بالرسومات برصاص لفترة طويلة قبل البدء بالتلوين بالألوان المائية.

ويمتاز قلم الرصاص بالمدى الهائل من التاثيرات البصرية ونقاءه ودقته وجماله.

رصاص المسدس وقطرات المطر

المهندس الإنجليزى جيمس واط برغم اشتهاره بختراع البخار إلا أنه ابتكر ايضًا طريقة ذكية لصنع «رصاص المسدس» فقبل ذلك كان يتم صنع الرصاصه بشكل غير متوازن وبطريقة مكلفة وخطيرة ومن المدهش أن جيمس وطول اسبوع كامل كان يحلم بانه يري نفسه يسير وحيدًا تحت المطر، وكان يري قطرات الرصاص الذائب تنزل برفقة قطرات المطر نحو الأرض وأثناء الحلم لاحظ أن قطرات الرصاص (تتصلب) أثناء نزولها الأرض وتتساقط بشكل كرات متناسقة فقرر التجربة واثناء نزول المطر قام باذابة عدة جرامات من الرصاص وحملها إلى سطح الكنيسة ورماها من هناك.. وحين نزل إلى الأرض وجد ان الرصاص قد تصلب بشكل كرات صغيرة تامة الاستدارة . ومنها أنطلقت صناعة الرصاص بهذا الشكل وبهذه الطريقة السلسه حتى يومنا هذا.

أشهر القادة الذين تم حتفهم بالرصاص:

(أرشيدوق النمسا) فرانسو فرديناند كان شديد الغرور والاعجاب بالنفس، فكلما اراد الظهور للعامه كان يطلب ان تخاط بزته على جسمه بشكل مغلق كي لا يظهر عليها أي تجعيد أو أثر لفتحات الازارير، ولكن لسوء الحظ الرصاصة التى اطلقت عليه فى الثامن من يونيو ١٩١٤م في سراييفو، لم يستطيع معاونوه إستخراجها فى الوقت المناسب بسبب الخياطه المتماسكة من جانب وعدم وجود فتحات تتيح خلعها وهكذا نزف الارشيدوف حتى الموت هذا الامر الذى ترتب عليه إندلاع الحرب العالمية الأولى، والتي بدورها ترتبت عليها إندلاع الحرب العالمية الثانية!!

الثورة الرومانية التي حدثت عام ١٩٨٩م واطاحت بالديكتاتور «نيكولاي تشاوشيسكو» ... خرج مئات الآلاف من الشعب الروماني مطالبين امام القصر الرئاسي براس الحاكم نيكولاي، بعد ان طفح الكيل وتذمر الشعب وذاق الفقر والاطهاد فاصبح افقر شعب فى دول اوربا الشرقية وهو يتباهي بانه (دانوب الفكر) نسبة إلى نهر الدانوب الشهير وما يملكه من ثروات هائلة وقصور فخمة أحدها يضم الف حجرة، وطائرات وقطارات خاصة وفى يومي ١٧، ١٨ ديسمبر ١٩٨٩م حدثت اضطرابات شلت البلد وتطورت إلى شغب كبير من المواطنين امتد إلى احتلال الدوائر والمقرات الحكومية ورفعت الشعارات مثل «نظام تشاوشيسكو سيسقط!!»

وفي ٢٢ ديسمبر بعد أن ضيق عليه الخناق من الثوار فى قصره وبينما هو يلقي خطابًا للشعب، جاءت الهتافات المنددة والشعارات مثل ستسقط يا ديكتاتور «والعقاب للقاتل» على أثرها قطع الخطاب وحوصر فسارع إلى المغادرة مع زوجته عبر أحد الممرات السرية لينتقل بمروحيته ويتوجه إلى خارج العاصمة بوخارست، ولكن فى الطريق إلى مخبئه الخاص إكتشفه أحد الفلاحين فتمكنوا من القبض عليه وسلموه إلى الثوار فكبلو يديه ويدي زوجته وقامو باعدامها رميًا بالرصاص.

الموت بالرصاص لهذا الديكتاتور يبدو مشابهًا لحد كبير لموت الدكتاتور معمر القذافي الذى طغى وتجبر وعاث فى الأرض فسادًا بعد أن دام فى الحكم لأكثر من أربعين عامًا حتى

لقي مصيره المحتوم فقُتل بطريقه مذلة بعد أن أخرج من أحد أنابيب الصرف من قبل الثوار.. سحب هذا الطاغيه المغرور بعد ان تخلى عنه عسكره وحرسه «النسائي».... «ضرب» وأطلق عليه الرصاص حتى فارق الحياة؛ وذلك فى ٢٠ أكتوبر ٢٠١١م. وهي حقبه تاريخية مهمة «مثيره» خلال تلك الفتره حيث اطلق عليها (الربيع العربي) لثورات الشعب ضد الحكام لخمس دول عربيه (تونس، مصر, ليبيا، اليمن، سوريا).

فى ٢٢ نوفمبر لعام ١٩٦٣ تم اغتيال أشهر حكام الولايات المتحدة الرئيس جون كينيدي عندما كان فى زيارة رسمية لمدينة دلاس وذلك بإطلاق الرصاص عليه وهو مار فى الشارع بسيارة مكشوفة برفقة زوجته جاكلين كما كان يرافقه فى نفس السيارة حاكم ولاية تكساس جون كونالي الذى أصيب فى الحادث، ادين «لي هارفي اوسولد» بارتكاب الجريمة وقد قتل هذا الأخير بعد يومين على يد اليهودي جاك روبي، وذلك قبل إنعقاد المحكمة.

كما تمت عملية إغتيال الرئيس المصري أنور السادات فى يوم ٦ أكتوبر لعام ١٩٨١م وهذا اليوم هو مناسبة ذكرى حرب اكتوبر وكان عرضًا عسكريًا يتخلل هذه الذكري وقام بقيادة عملية الإغتيال خالد الإسلامبولي التابع لمنظمة الجهاد الإسلامي التي كانت تعأرض بشدة إتفاقية السلام مع إسرائيل، فصوب نحو الرئيس وهو على المنصه يشاهد العرض العسكري عدة طلقات ادت فورًا لحتفه.

كنوز رمادية: «١»

حين أقتحم الرومان قرطاج عام ١٤٦ ق.م أحرقوا نصف مليون مجلد من ذخائرالعلوم القديمة.

وهذا الفعل الشنيع للثقافة الإسلامية قاموا به أيظًا فى أحراق مكتبة الاسكندرية التى اتهم العرب فى حرقها، وكانت تضم سبعمائة ألف مجلد.

أما فى تركية فقد أحرقت كامل (مكتبة برعام) التى تضم مائتي ألف كتاب، فى الصين كذلك أحرقت سائر الكتب العتيقة بامر من الامبراطور المقدس عام ١٢٣ ق.م[١].

(١) انظر كتاب لقطات من العالم للأخوين إبراهيم وعلي شرف الدين، ص١٩٩.

وما فعله المغول بتدمير ست وثلاثون مكتبة فى العراق وتحديدًا في العاصمة الإسلامية العباسية «بغداد» وأشهرها مكتبه بيت الحكمة بما تحتويها من مؤلفات ومخطوطات ومجلدات هائله فى شتى العلوم من طب وفلك وهندسة وفلسفة وأدب، وثقافة إسلامية، وثم غرقها فى نهر دجلة.

وفي نوفمبر عام ١٩٣٣م فقد أمر الزعيم الألماني أدولف هتلر زبانيته بجمع كافة الكتب المعأرضة للمفاهيم النارية تم إحراقها علنا فى ساحات المدن الألمانية.

حيث شاهد عالم الاجتماع (ويلهم ريتش) كتبه تحرق فقرر مغادرة المانيا فحمل حقائبه وهاجر إلى أمريكا، وما إن استقر فى نيويورك حتى قررت السلطات الامريكية فى ١٧ مارس ١٩٦٠م إحراق مجموعة مختارة من الكتب الشيوعية والنازية وكانت المفارقة أن من بينها كتابين من تأليفه!!

أما إبن حزم الأندلسي أشهر رجال الثقافة العربية فى الأندلس وعرف أنه صاحب المذهب (الظاهري) والذي الف العديد من الكتب والرسائل والردود على الشيعه واليهود والمؤلفات الأخرى، وكان أبوه من علماء قرطبة وكان وزيرا للدولة المروانية وترك له الكتب الهائله التى أطلع عليها (إبن حزم) فاشتغل فى العلوم الثقافية دون السياسه.

ونما ذكره وعلا شانه، حتى كثر حساده فأغاروا عليه الملك، المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية فأمر بحرق كتبه علنًا. وهنا أنشد أبن حزم أبياته الشهيره الباكية بكل ألم وحزن فمع حرقها (واحرق قلبه).

لم تخلُ هذه الابيات فى طياتها نبرة التحدي لصاحب أشبيله وحساده.

فيقول:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل أن أنزل ويدفن فى قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يري الناس من يدري
وإلا فعودوا فى المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من ستري

ومن المفارقات العجيبة، ما قام به علماء وفلاسفة غربيون بإحراق كتبًا ألفوها بأنفسهم مثل سقراط وأفلاطون وريكارت وكونفيشوس وما قام به عالم الكيمياء السويسري (براسيلوس) فقد قضى عمره فى محاولة تحويل الحديد إلى ذهب وحين غلب على آمره ويئس، أحرق قبل وفاته جميع ما ألفه فى علم الكيمياء والمعادن!!

وفى عالمنا العربي هناك أبو حيان التوحيدي[1] الذى أحرق كتبه لانه لم ينل من التقدير والاحترام فى حياته ما كان يرجوه فصب جام غضبه على مكتبته فأحرقها.

ويروى أنه كان لعمر بن العلاء سنة ١٥٤هـ كتب ملأت له بيتًا حتى السقف، ثم أنه تنسك فأحرقها.

وهناك حالات متشابهة مثل سرحان بن ابي الحواري لما جلس يومًا يفكر " فخطر بقلبه إحراق كتبه «فاحرقها وهو يبكي».

وكذلك داؤود الطائى لما قدم بغداد فى أيام الخليفة المهدي العباسي وقد جمع الكم الكبير من الكتب والمؤلفات فاقفل عليها، ورجع الكوفه وسمع الحديث والفقه وعرف النحو وعلم أيام الناس وأمورهم ثم تعبد وتحولت حياتة للعزلة والإنفراد فعمد إلى مكتبته ونثرها فى مياه نهر الفرات!!.

كنوز رمادية: «٢»

لم تطل أيدى العابثين والمجرمين على أعدام الكتب وحسب وما بها من علوم شتى وحرقها لتصبح رماد فى مهب الريح بأمر حكام أو سلطات أوحتى ما قام به علماء وكتاب انفسهم بإتلافها..

ليس ببعيد أن تنال منه أجمل الفنون حول العالم من آثار فنية رائعه ذهبت تحت الانقاض لتصبح رمادًا؟!

(١) مقال للدكتور منصور سرحان (حرق الكتب وتدمير المكتبات العربية عبر التاريخ)عبر شبكة الإنترنت (بتصرف).

هذه الاعتداءات قديمة قدم التاريخ فقد عرفها العالم قبل مجئ الغزاة «الوندل» بقيادة القزم الجرماني الذى سطا مع غيره من الهمج على مدينة روما وأنزل فيها النهب عام ٤٥٥ بعد الميلاد[1] و إليكم بعض الأمثلة: كان الفراعنة يشوهون صور اسلافهم وقد دمر الفرس تمثال الآله «مردوق» الذهبي وأحرق معابد بابل فى عام ٤٨٢ قبل الميلاد وبعد ذلك بقرن ونصف القرن أحرق جنود الاسكندر الأكبر مدينة برسيبوليس. كما محا المسيحيون الاوائل رموز الآلهه القديمة واستبدلوا بها الصليب، كما حدث على جدران معابد فيله فى مصر وحدث ذلك قبل أن يعلن إمبراطور بيزنطة ليسون الثالث الأوروبي، أن إتلاف الصور المقدسة أسلوب «سياسي» لدولته فانطلق معه لفظ (عبادة الصور) وهدم الفيكنز كنائس اوربا الغربية باسم «ووتان» واحيت فلورنسا، فى عهد سافورنا رولا محاربة عبادة الصور وارغمت بوتيتشلي ولورانتزودي كريدي على إلقاء لوحاتها فى النيران وهو نوع من الاعتداء الذى تطور أيضًا فى عهد الإصلاح الديني.

وفى أثناء الثورة الفرنسية، أصبح التدمير والتشويه لاعمال الفن غرض علمانيًا ولكنه كان شديد العنف، ومع هذا فقد أنشئت فى هذا العهد أول المتاحف الوطنية كما شاع اللفظ الجديد (هدم وحرق آثار الفن).

والنازيون الذين زعموا القيام ببناء مجتمع أفضل، ادانوا جميع الفنانين الحديثين المعروفين، منذ سيزان، وأقاموا فى عام ١٩٣٨م فى برلين معرضًا «لفن الانحلال» الذى يشمل أعمال فنانين من أمثال «فان جوخ» و«إدواردمونش» ومن مدرسة باريس «بيكاسو» و«براك» و«جوان جري» و«بول كلي» و« كاند نسكي» وجميع التعبيريين الالمان، بما فيهم نصير النازيين «إميل نوالد»!!

وعندما مست حاجة النازيين إلى العملات الاجنبية قرورا بيع أعمال «فن الإنحلال» التى إنتزعوها من المجموعات العامه فى سائر ألمانيا.

ويروي الدكتور «هانتزين»[2] أن الرجل الذى كلف بهذا البيع تخلص من اللوحات

(١) انظر كتاب أشهر السرقات من المتاحف لدكتور/ صبحي الشاروني (تدمير الأثار)، ص٩٤.
(٢) نفس المصدر الأول.

بأسعار بخسه، تفاديًا لإتلاف اللوحات، وقد دخل بعضها فى مجموعات خاصة، وبيع البعض الآخر إلى متحف بال بسويسرا مباشرة وفى ٣٠ يونيو عام ١٩٣٩م بيع قسم كبير من أعمال «فن الإنحلال» بالمزاد العلني فى لوسرن وبعد هذا البيع، أحرق النازيون جميع ما تبقي منها: ١٠٠٤ لوحات زيتية وأعمال نحتية، و٣٨٢٥ رسمًا ولوحة مائية.

وما قام به لويس الخامس عشر فى عام ١٧٣٥م بهدم جاليري أوليس..

والإعتداء على رائعه رامبوا ندت الشهيرة (طواف الليل) بمتحف ديجكس بامستردام فى ٢٦ مارس عام ١٩٧٧م من قبل رجل يعمل استاذًا فى التاريخ والإعتداء على رائعة مايكل أنجلو «لابيتا» فى حاضرة الفاتيكان خلال عام ١٩٧٢م وعلى رائعة بيكاسو «جورنيكا» فى نيويورك خلال عام ١٩٧٣م.

والرجل الذى اعتدى منذ بضع سنوات فى متحف اللوفر على رائعة روبنز «العذراء المحاطة بالأبرياء القديسين» هو نفسه الذى شوه رائعة ميليه «الأنجلوس» قبل الحرب العالمية الثانية.

أما أشهر الاعتدأت القديمة فى التاريخ فهو ما قام به «أروستَرات» فى ليلة مولد الإسكندر الأكبر (٢١ يوليو ٣٥٦ قبل الميلاد) عندما اضرم النار فى مبني أرتيمزيون بمدينة إيفرا اليونانية لتصبح رمادًا وهو الأثر المعروف ايضًا باسم معبد ديانا وكان يعد آية فى الجمال)، وعندما القي القبض على هذا المعتدي صرح بانه اقدم على ارتكاب جريمته لكي يخلد ذكراه وقد خلدها بالفعل.

التصوير الترميدي

يعتبر هذا الترميدي من أهم وأجمل انواع التصوير هذا الفن الرائع هوأحد الطرق التى ابتكرت خلالها اساليب التصوير وهو (تصوير بلون الرمادي) وتندرج من خلاله الدرجات التى تكون للون واحد وقد استعملتها الكثير من الفنانين فى مجالات متعددة منها التصوير على الجدران والسقوف بحيث يوهم المشاهد بانها رسوم مجسدة، ويسمى (الثلاثي الأبعاد) مثل الطريق لسيارات تعبر فوقها ثم تجد هاوية أو حفرة كبيرة فى منتصف

الطريق، وهو مشهد رسمي خيالي مثير، وكذلك صور رسمية لتفجر المياه وغيرها، وهو فن قمة فى الدقة والاحترافية.

ومنها «التصوير التحليلي» ويكون فى المرحلة الأولى من التصوير وخلالها تستعمل الطرق التاليه:

١. طريقة الألوان المميعه مثل الألوان المائية والأحبار.

٢. الألوان المنسجمة والألوان المتبيانة.

الكرة ستال

أحدى أهم وأجمل أنواع الزجاج وهي فى الأصل مزيج من الرصاص والهودا.. ويطلق على هذا النوع من الزجاج عادة زجاج الرصاص أو البلور (الكرستال) ويصنع هذه الزجاج عن طريق الاستعاضة باكسيد الرصاص عن اكسيد الكالسيوم وفى كثير من الاحيان عن جزء من السيلكا المستعملة فى زجاج الحجر الجيري وزجاج الصواد بعض الخواص البصرية القيمة ويستعمل علي نطاق واسع فى زجاج المناضد الرائعه والأشكال الفنية كالثريات «النجفات» في سقوف المنازل, والمزهريات وبعض الأدوات المكتبية وفى المطابخ لزينة وللاستعمال أيضًا، والذى يميز الكريستال «الرصاص» عن الزجاج هو قدرته على عكس الضوء المسلط عليه بعكس الزجاج العادي الذى يصنع أساسًا من الرمل ولكن له الاستعمالات الهائلة فى حياتنا.

كائنات رمادية

الذئاب الرمادية، العبقرية ومعضلة الأتلاف:

كان عظماء الترك يقولون للقائد العظيم، يجب أن تكون فيه إحدى هذه الخصال: قلب الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب فالذئب صاحب غارات وخصومات ومكابره وحيل شديده وصبر على المطاولة وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها اذ لا يأمن أحدًا على نفسه من

الأخر، وأذا نامت كمجموعة واجهت بعضها بعضًا و ينام الذئب بعين واحده وهذا فى قمة الحذر والحيطة لذلك كانت هذه معضلة فى الاتلاف «الأمن» وخصوصًا إذا أصيب أحدهم بجرح أكلته البقية[1]. وهذا كما قال الفرزدق:

وكنت كذئب السوء لما رأى دمًا بصاحبـه يومًا أحال عـلى الدم

والذئب إذا مرض يستقل عن الذئاب لعلمه بانها إن علمت بضعفه أكلته.

ولكن من خصائص الذئب أنه قمة فى العبقرية، وشديد الملاحظة وهذه الميزتان وهبها الله فى الذئب لذلك قلما يخطئ الذئب فى وثبه وله القدرة الخارقة على رؤية الجن واكله لذلك تخشاه هذه الاخيرة وتخافه، وقدرة الذئب على رؤية الجن تتمثل فى عينه التي تستطيع الإختراق كالليزر والنظرة الدقيقة التي لا تفقد بريقها حتي بعد موته (فعينه لا ترمش حتى أثناء النوم)!!.

يقول البحتري:

تسربلته والذئب وسنان هاجع بعين ابن ليل ماله بالكرى عهد
عوى ثـم اقعى فارتجزت فهجته فاقبـل مثـل البرق يتبعـه الرعد
فـما ازداد الا جـراة وصرامـة وأيقنـت أن الأمر منه هو الجد

ويقال إنه ليس فى الأرض سبع يعض على عظم إلا ولكسرته صوت إلا الذئب فإن اسنانه توصف بأنها تبري العظم بري السيف ومن قلة ثبات العظم له، فلا يكون لكسرها صوت.. وللذئب حاسة شم فائقة، ولعظمته وكبريائه لا ياكل الجيف وبقاياها لا يأكل إلا ما وثبت مخالبه على الفرسية فوجباته الغذائية طازجة، حتى لو ادى الامر إلى حتفه وهلاكه لا ياكل ما دون ذلك.

وهو الحيوان الوحيد الذى لا يمكنه التألف والتأقلم مع الإنسان بل هما عدوان لدودان ولكن مع هذا يكن كلاهما التقدير والاحترام والحذر للأخر، وقد يستأنس الذئب بقربه

(١) انظر كتاب الحيوان للجاحظ، ج٣. ص١٩٢. انظر أيظًا لكتاب القزويني: عجائب المخلوقات، ص٣٢٦.

من النار التي يسمر حولها البشر ليلًا فى القفارى، وربما يحاول الذئب أن يدنو منها، ولكن لن يستطيع ان يصاحب الناس ويالفهم ابدًا فهو صاحب انزوا عجيب ملئ بالاسرار العميقة المحيرة وهو التراث فى القصص والروايات والشعر، هذا المخلوق وتحديدًا الذئاب الرمادية التى لاتعكس عن جمالها ابدًا فهي وحشية للغاية، ومع هذا فهي لا تعيش أكثر من عشر سنوات!!.

الحمامة المطوقة (الرمادية):

مطوقـة كسـاها اللـه طوقًا ولم يختـص به طيرًا سـواها

وتسمى الحمامة الرمادية المطوقة «بالحمام الحرمي» لوجودها بشكل كبير فى أرض الحرمين وبعض البلاد الإسلامية، يذكر الجاحظ ان الحمامة المطوقة هي دليل نوح ورائده، وهي التى طلبت منه هذا الطوق الجميل الذى يزين عنقها وهي العطية أو الهبة التى وهبها الله تعالى ليمنحها الطوق الجميل «الحلي» بدعاء نوح عليه السلام حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها وفى رجليها من الطين والحماة ما برجلها فعوضت عن ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق.

ونوحها يشبه الغناء ولهذا تنطرب الروح وتشجو النفس مع هديلها.

يقول عبدالله بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (شهيد يوم الطائف):

أعاتك لا انسـاك ما هبت الصبا وما نـاح قمري الحـمام المطوق

ورائعة من روائع الشاعر جهم بن خلف فى (الحمامة المطوقة):

وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة مطوقة ورقـاء تصدح فى الفجر
هتوف تبكي ساق حر ولن ترى لها دمعة يومًا على خدها تجري
تغنت بلحن فاستجابت لصوتها نوائح بالاصياف فى فنن السدر
وعتهـن مطـراب العشـيات والضحـى بصوت يهيج المستهام على الذكر

فلـم ار ذا وجـد يزيـد صبابـة عليهـا، ولا ثكلى تبكي على بكر
فأسـعدنها بالنـوح حتـى كأنما شربن سـلافًا مـن معتقة الخمر

الفيلة المقاتلة:

ذكرها الله تعالى فى القران الكريم، وهي سورة مكية قصيرة فيها الاعتبار والعضة، بقصة ابرهه الاشرم ملك الحبشه لما استعمل الفيلة من أجل القتال وهدم الكعبه والحوار المثير الذى دار قبلها بينه وبين عبدالمطلب جد النبي ﷺ والكلمة الشهيرة التى قالها عبدالمطلب فى استرداد المائتى بعير التى اختلسها إبرهه منه «إني أنا رب الإبل وأن للبيت رب يحميه».

تقدمت فلول الجيش نحو مكه وفى مقدمتها الفيلة ولأول مره كانت العرب ترا مشهدًا رهيبًا كهذا، فاحدثت فيهم الهلع[1].

ولكن جيش ابرهه والفيلة تحطمت، وذيبت بالحجارة الملتهبة التى قذفتها طير الأبابيل.

كما استخدم الفرس الفيلة الضخمة فى مقدمة الجيوش وظهر ذلك الحرب الشهيرة التى كانت مع المسلمين فى العراق «معركة القادسية».

حيث قدموا الفيلة وهي تحمل على ظهورها رماة السهام ونجحت هذه الورقة الرابحة (بدء الامر) فى زعزعة وتشتيت الجيش الإسلامي حتى تمكن الجنود من رمي اعينها بالسهام فارتدت على جيش الفرس فاثارت فيهم الفوضى العارمة، إلا أن هناك استخدامات مروعة للفيلة استخدمها القادة أو الحكام للقتل «بشكل آخر» مثل مقتل الوزير ابن بقية الرجل الفاضل الذى ذاع صيته وكان محبوبًا لدى الشعب فغار منه عضد الدولة البويهي وكرهه لالتفاف الناس حوله وحب الشعب له، فزعم بإن الوزير كان يتحالف مع زعماء وسلاطين الدول الأخرى ضده!!

(١) انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ج٣. ص١٨٤.

فأراد أن يبعده عن ساحة الاحداث فافتري عليه، ورماه تحت ارجل الفيلة «فداسته الفيلة حتى فارق الحياة» ومن ثم صلب، ومر به الناس وعدوله ومن بينهم الحسن الانباري الشاعر «فرثاة» بقصيدة مؤثرة ومنها:

علـو فى الحيـاة وفى الممـات بحق أنت إحدى المعجزات
كأنـك قائـم فيهـم خطيبًـا وكلهـم قيـام للصـلات
مددت يديك نحوهم أحتفاء كمدهمـا إليهـم بالهبـات
وتشـعل عندك النـيران ليلا كذالـك كنـت أيـام الحياة

وعلى الرغم من حجم الفيل الضخم إلا أنه حيوان لطيف سريع التاقلم مع الإنسان ودود للغايه فاحدى المشاهد على قناة ناشيونل جيوغرافيك يمارس عددٌ من الفيلة الرسم وكانها رسومات لفنانين، والاطفال والناس يلهون معهم، ولكن اياك ان تثير غضب الفيل أو تحاول ايذائه فيتحول لحيوان شرس، والفيلة تحزن اشد الحزن لموت عزيزًا عليها فعند حدوث ذلك تذهب إلى الجثه لتبكي بقربها وتقف لساعات طويلة ترثيه بطريقتها تعبيرًا لما الم بها ولماساتها وحزنها العميق.

و يقال أن لسان الفيل مقلوب طرفه إلى داخله، لذلك يقول الهنود:

لولا أن لسانه مقلوب لتكلم[1]..

حوت الكاشالوت حامل العنبر الرمادي:

العنبر الرمادي هو صاحب الرائحة العطرة، و يوجد فى البحار الاستوائية بكثرة حوالي مدغشقر وجاوه وبحر العرب والبحر الأحمر و يكون على شكل كتل متماسكة رمادية اللون وهو اجود أنواع العنبر الذى يلفظه حوت الكاشالوت.

عرف العنبر كطيب من مئات السنين حيث كان البحارة الذين كانوا يشاهدون قطعًا شمعية تطوف فوق مياه البحار فاكتشفوا انها المادة العطرة العنبر الذى يلفظه الحوت وقد

(١) انظر كتاب عيون الأخبار لدميري، ج٢، ص٨٨.

تصل هذه القطع بوزن مائتي رطل أو أكثر ويحتوي منها ٢٥٪ من مادة تسمي (ambkeid) وهذا المركب ذو رائحة عطرية عبقة وتحضر منها ارقي واجود انواع العطور ومن خصائص العنبر أنه مخفف لآلام المفاصل والالتهابات المفصلية وأنه يزيد فى القدرة الجنسية وزيادة الوزن[1].

(١) انظر كتاب الطيب والعطر في الشرق - ناديه الغزي، ص٣٢ (بتصرف).

سيد الألوان «الأبيض»

كنـز الـبرودة والرحيـق وخبـأ اللـين العطر

يا من عصرت من الثلوج فن الحليب من القمر

يا ضوء خد من حرير أبيض ملء النظر

بيضـاء يـا ملقـى فراشـات الربيـع المنتظـر

(نازك الملائكة)

الأبيض

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

الأبيض هو اللون الذي يختزل الألوان جميعها وهو لا يمثل العدمية لأنه أساس الألوان ومجمعها، ينشأ اللون الأبيض في الطبيعة عندما تكون الجسيميات أو الألياف أو القطرات الشفافة موجودة في شبكة (Matrix) ذات قرنية انكسار مختلفة بشكل كبير ومثال على ذلك المواد الطبيعية البيضاء مثل الثلج والسكر والملح والحليب...

والمثير أن سكان الأسكيمو الذين يعيشون في القطب المتجمد الشمالي والمناطق المحيطه بها, تتعدد أسماء اللون الأبيض إلى «سبعة عشر» اسمًا، على ما يبدو أن طبيعة الحياة التي يعيشها هذا الشعب الغالب عليها اللون «الأبيض» وذلك لأكوام الثلج وقطع الجليد...

فالأبيض هو سيد الألون حسب المفهوم الحسي لإدراك الألوان..

فلو أدرنا قرصًا مقسمًا إلى الألوان الأساسية بمساحات متساوية لظهر لدينا اللون الأبيض الذي ينتج عندما يعكس جسم ما، تكون جميع الأشعة الساقطة عليه بدون أن يمتص أيًا منها..

وهو أكثر الألوان سطوعًا ويطفي بريق الألوان الأخرى عند الأختلاط بها.

عن أبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»**[1].

(١) رواه أبو داود ٤١٦١/ والترمذي ٩٩٤/ وابن ماجه ١٤٧٢.

«و يقال البياض نصف الحسن».

كان الرسول ﷺ أبيض أزهر مشربًا بحمره..

قال حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول(٢)

اللون الأبيض ذو علاقة حميمه للغاية «بالطهارة» وهذا لما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ بالقرآن الكريم في اثنتي عشرة مرة وفي العديد من الصور التي تثني وتمجد هذا اللون وأنهو صاحب الدلالات العظيمة، والجليلة من نقاء وخير وفوز وسعادة، فقد أشار الله تعالى لأصحاب الوجوه البيضاء أنها هي الفائزة بالجنة..

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وكان لواء النبي ﷺ «الأبيض»(٢)..

كما أنه لباس ملوك بني أمية الأبيض وهو شعارهم.. ونقلوه إلى الأندلس وقد أستعمل الأبيض بشكل واسع منذ تأسيسها على يد القائد «عبد الرحمن الداخل» لتكون دول أموية مستقلة عن الحكم العباسي، فكان أهل الثراء والعلماء والأدباء والفلاسفة والعامة في الأندلس يلبسون الأبيض دلالة على الزهو والترف لديهم؛ كما استعملوه لموتاهم وفي مراسم الحداد والأحزان أيضًا، وذلك لقول الشاعر «الحصري»:

إذا كان البياض لباس حزن ... بأندلس وذاك من الصواب

فها أنا قد لبست بياض شيب ... لأني قد حزنت على الشباب

وفي آسيا ومنذ عصور كانت ولا زالت ليومنا هذا الثياب البيضاء، هي أحد رموز الحداد فيها؛ لذا فإن أحرام الحجيج هو الأبيض الذي يختزل أعمال الإنسان وسيرته حتى تصل

---

(١) شم الانوف: كناية عن الكبرياء.

(٢) صحيح أبو داود /٢٣٣٤.

إلى هذه المحطة من حياته التي هي النقطة المهمة للغفران والتوبة والتضرع لله لإزالت الخطايا لتصبح صفحة أعمالهم نقية كالثياب البيضاء التي يرتدونها..

وأن كلمة (حج) العربية كانت تعني (أبيض) وهي من القطبية، كما أنها إستعارة من اللغة اليونانية (haglos) وهذا مقطع يستعمل بداية الكلمات بمعنى (مقدس) وهناك علاقة ما بين الأبيض والطهارة والنقاء، فإن كلمة (حاج) يعني مرتدي الملابس البيضاء والطاهر والنقي والمقدس..

قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٦].

وهذه إحدى المشاهد التي يتنعم بها الفائزون (أهل الجنة) حينما يطاف عليهم بغلمان في أجمل هيئة وأحسن صوره كأنهم اللؤلؤ المنثور ويقدمون الكاس المشروب «الأبيض اللون» اللذيذ الطعم للفائزين والفائزات.

يقول أمرؤ القيس في الكاس - مشروب الدنيا:

مهفهفة بيضـاء غير مفاضة ترانبها مصقولة كالسجنجل

أطلقت العرب الأبيض على الماء واللبن، وغلبوه في قولهم الأبيضان: مثل الشحم والشيب، الماء والحنطة؛ كما استخدموا البياض في المدح والكرم والفخر والغزل.. ففي المدح دائمًا ما يثني بها المادح الممدوح بأنه صاحب اليد البيضاء، كناية عن الجود والكرم والعز والرفعة..

وكذلك الوجه الأبيض، البشوش ذو الخلق الكريم..

يقول البحتري:

كم من يد بيضاء منه ثنى به وجهًا تلألأ للبشاشـة أبيضاَ

أما الشاعر خليل جبران فيقول في صاحب اليد البيضاء:

كم من يد أسديتها وكسوتها متأنقًا طلـق اليـد البيضاء

وهنا صورة معبرة عن الفخر «للشاعر صفي الدين الحلي»:

سـلي الرمـاح العـوالي عـن معالينـا واستشهدي البيض هل خاب الرجافينا

و يصف قومه بأصحاب الأيادي البيضاء، فيقول:

بيـض صنائعنًـا سـود وقائعنا خـضر مرابعنا حمـر مواضينا

أما البحتري الذي يصف صاحب الخلق الكريم، فيقول:

إلى أبيض الأخلاق مامر أبيض مـن الدهر إلا عن جدًا أو رفد

وفي الغزل كان «الأبيض» ولازال هو السمة الرائجة عند الشعراء وبلا شك هو أحد أهم عناصر الجمال لدى الأنسان..

فيقول ابن المعتز في ذلك:

بيضاء إن لبسـت بياضًا خلتها كالياسـمين منضـدا في مجلس

و يقول أخر:

بيضـاء مصقولة الخدين ناعمة كأنهـا لؤلؤ في الخـدر مكنون

أما القصيدة الشهيرة المسماة (الدعدية) نسبةً للمرأة الجميلة (دعد) التي طلبت هذه الفتاة العربية الحسناء ابنة أحد زعماء قوم في الجاهلية وكانت شاعرة عبقرية ظلت ترفض الزواج لكل من تقدم لها إلا ممن هو أشعر منها..

فيقال أن الشاعر (التهامي) دوقلة المنبجي الذي قتل أثناء ذهابه لديار دعد.. فكانت القصيده المذهله هي السبب في هلاكه حينما سمع بها رجل لروعتها..

سميت أيضًا هذه القصيدة «باليتيمة» أو الدعدية.

ولنأخذ منها هذه الأبيات:

بيضـاء قـد لبـس الأديـم بهـا أديم حسـن فهـو لجلدها جلد

فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

الأبيض لون النظافة والطهارة والنقاء والعفة، لون الفكر الواضح ودليل على الترف ومحبوا هذا اللون لديهم رغبة بأن يستحوذوا على الأعجاب، والمرأة العربية في طليعة هذا الوهج من الأعجاب لهذا فإن العرب ولا زالت تعتبره أحد أهم معايير الجمال والحياء والشرف والرفعة..

بيضاء يمنعها تكلم دلها تيهًا ويمنعها الحياء تميسًا

(المتنبي)

ثوب العروس الأبيض

فالأبيض ثوب ترتديه العروس وهو دلالة على طهارتها وعذريتها، وأصبح ذلك (عرفًا) لدى العالم أجمع حينما أرتدت الملكة البريطانيا «فيكتوريا» فستانًا أبيض ناصعًا في زفافها وذلك في عام ١٨٤٠م فأحدثت صدى كبيرًا وسط الناس وقلدوها فاتخذ لونًا لأكليل العروس من يومها[١]..

ومن الأساطير: إن فينوس إلهة الحب والجمال عند الرومان ولدت من زبد الماء «الأبيض» وعندما صارت صبية أصبحت رائعة الجمال.. وفي الرسومات ما يوحي بهذا الجمال وأضاف الثوب الأبيض الناصع جمالًا على جماله ..

خامات الحرير

اكتشف الحرير سنة ٢٧٠٠ ق . م، وهو تاريخ قديم جدًا، عندما حاول الامبراطور الصيني (أنجدي) معرفة سبب تلف أشجار التوت في حديقته فأكتشفت زوجته وجود

(١) انظر كتاب العادات والتقاليد (الأعياد) لتشارلز باناتي، ص٤٣.

ديدان بيضاء وهي «دودة القز» تقوم بأكل أوراق التوت وتغزل شرانق لامعة، ثم قامت باللعب بالشرنقة في الماء الساخن المعد للشاي صدفة ثم قامت باللعب بالشرنقة عندما كانت في الماء فلاحظت خيوط رفيعة لامعة تتشابك وتتفكك من الشرنفة فبدأت بسحب الخيط من الشرنقة.. وبعد ذلك بدأت الإمبراطورة «زيلتنش» بإبتكار بكرات الحرير التي تجمع الخيوط، إذًا فالصينيون أول من عرف بصناعة الحرير قبل أي دولة أخرى وخلالها أنطلقت رحلة الحرير البيضاء.. «وخامات الحرير» التي يباع منها أغلى الأقمشة بدون منازع لجماله وفخامته وخامته العالية الجوده..

قال تعالى ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

ودودة القز، يرقة قزية تنتج الخيوط الحريرية، فبعد أكتمال نمو هذه الدودة تتوقف عن الأكل وتستعد لنسج الغلاف الخارجي للشرنقة وفي هذا التوقيت الدقيق، يأتي المزارعون أو التجار لإنقاذ الحرير وتفريغه فتقتل اليرقات قبل خروجها من الشرنفة حتى لا تتحرك إلى فراشات..

النساء والحرير الأبيض

يعتبر الحرير من أهم أدوات الزينة للملابس التي تهتم من خلالها المرأة وتنتقيها بعناية فايقة من أجل المناسبات والاعياد بل الحرير يدخل في أهم حدث للمرأة في حياتها «ليلة زفافها» ولبلاسها الحرير الأبيض.. وقد تمضي الأيام والليالي، من أجل نسج ثوبها ووضع الزركونات والقطع المعدنية الصغيرة ليضيف لهذا الثوب الحريري جمالًا على جمال..

يقول المتنبي:

بأبي الشموش الجانحات غواربا   اللابسات من الحرير جلاببا
المنهبات قلوبنا وعقولنا   وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القائلات المحييات   المبديات من الدلال غرائبا

جيمتوسون «ملك الحرير»

هو رجل أعمال أمريكي شهير كان عقيدًا فى الجيش الأمريكي، أختفى من كوخ ضوء القمر بسنغافورة عام ١٩٦٧م لأسباب غامضة، بدأت قصة تومسون حينما كلف بتشكيل نواة لجهاز المخابرات فى تايلند أثناء الحرب الكورية، وخلال تلك الفترة نمت لديه هواية جمع الحرير التايلندي الذى لم يكن معروفًا فى الغرب، ورغم خامته الراقية، بدأت ضربة الحظ فى حياته حين عاد إلى امريكا وعرض قطع الحرير على مجلة «فوج» للأزياء وهناك فوجئ بصيحات الاعجاب تتعالى من كبار المصممين واسئلتهم عن كيفية الحصول عليه، وقبل أن يعرف الفرق بين دودة القز ودودة الخس وجد نفسه غارقًا فى التزامات توريد الحرير دون أن يملك منه مترًا واحدًا؟!

ولكن تومسون سرعان ما اصطدم بالواقع المتدهور لتلك الصناعه فتايلند بلد متخلف اقتصاديًا وكان من الصعب إقناع القرويين بالجلوس إلى منازل الغزل لغير احتياجاتهم الشخصية، إلا أنه شيئًا فشيئا استطاع اقناعهم باهمية الإنتاج التجاري وكان فى فجر كل يوم يركب قاربه ويتغلغل فى الاحراش لاغرائهم بالمال وتزويدهم بالمعدات والاصباغ اللازمه، وبفضل تومسون اصبح فى تايلند مائة وخمسون مصنعًا لإنتاج الحرير واعترفت الحكومة التايلندية بفضله على هذه الصناعه وبسرعه اصبح المحتكر الوحيد للحرير التايلندي رغم بقائه على علاقة وثيقة بالمخابرات الامريكية وبحلول عام ١٩٦٧م[١] كان قد حقق ثروة خرافية وسمعة عالمية كمستشار دولي فى صناعة الحرير . ولكن فى السادس والعشرين من مارس كان فى زيارة لسنغافورة ونزل فى بيته الريفي المسمى « كوخ ضوء القمر » وفى اليوم التالي ذهب إلى الشرفة لتناول الغذاء ولكنه ما لبث أن اختفى بصورة غامضة وسرعان ما بدأت أكبر حملة بحث فى جنوب شرق أسيا بايعاز من الحكومة الامريكية، ولكن دون جدوى.

---

(١) مقال للأستاذ فهد عامر الأحمدي، بعنوان: «ملك الحرير» جريدة الرياض الصادرة في ٤/١ /٢٠٠١م (بتصرف).

فالمرجح اليوم أن اختطاف ملك الحرير تم من قبل الثوار الشيوعيين لوقف قصف امريكا لفيتنام الشمالية، وربما تم استدراجه إلى الغاب، من قبل صديقه رئيس الوزراء التايلندي السابق بردي مايونج وهي حرب سياسية ما بين تايلند والمخابرات الامريكية لما يحدث بهذه المنطقة على أي حال ما يزال مصير تومسون مجهولًا حتى اليوم، أما فى كوخ ضوء القمر، فما يزال الخدم يعملون كما لو كان موجودًا وما يزال الطباخ يحضر الغداء فى الشرفة تحسبًا لعودته المفاجئة، وهي (حركة) لكسب تعاطف وجذب السواح وخاصة الآلف من السياح الأمريكان!!.

(تاج محل) قصة حب خالده

تحفه من المرمر والرخام «الأبيض»:

إحدى عجائب الدنيا السبعة الحديثة وجوهرة البلاد الهندية، وهو فن عمراني فريد ذو طراز هندسي «إسلامي» فقد تأثر «شاه جاهان» إمبراطور الهند بالحضارة الشرقية الإسلامية إذ كانت مدينة (أكرا) شمال غرب الهند هي عاصمة سلاطين المغول المسلمين فى القرن الثالث عشر وهو زمن «تاج محل» تزوج «شاه جاهان» الفتاة «أرجونمد بانو باكم» حفيدة رئيس الوزراء الإمبراطور المغولي الرابع «جيهانجير» وكانت هذه الفتاة بارعة الجمال «شديدة الذكاء» تجيد الشعر الفارسي وتحب الموسيقي، أولع الامبراطور «شاه جاهان» بها رغم زواجه من بنات أحد الملوك وبعد سنوات من الحب المتبادل بين الامبراطور و«ارجونمد» تزوجا فى عرس ولا اروع وأجمل منه «ملئ بالورود ونغمات الموسيقي» لتصبح هذه السيده هى الاولى لقلب «شاه جاهان» وكل حياته والثانية لدى العامة، وقد تغير اسمها ليصبح «ممتاز محل» أى مختارة القصر.

وفي إحدى حملات «شاه جاهان» حيث كانت «ممتاز محل» ترافقه أينما حل وهي حامل بطفلهما الرابع عشر ولكن شاء الله أن تموت هذه السيدة الجميلة فى ربيع ١٦٣١م وهي تضع مولودها إذ أنجبت «بنتًا» سميت «جوهرة بيجام» أصيب الإمبراطور «شاه جيهان» بالحزن الشديد بعد فقد زوجته وحبيبة قلبه، ويقال أنها وهي تلفظ أنفاسها

الاخيره طلبت من «شاه جيهان» أن يبني لها ضريحًا أجمل من أي ضريح علي الأرض، قام الامبراطور بجمع كبار المهندسين والمصممين لبناء أجمل مبنى فى العالم كما جلب افضل العمال والصناع من إيران وتركيا ومصر وكازخستان ومختلف الدول الإسلامية للمشاركة فى بناء الصرح «ضريح معشوقته» وقد جلب الرخام والمرمرم الأبيض ليكون «جوهرة» معمارية يتكلم بها العالم.

وبعد مضي ٢٢ عام على وفاة الاميرة «ممتاز محل» وإذا المبنى المرصع كالماسه بيضاء، وحوله حديقة مفعمةٌ بالورود ويشقها من الباب الرئيسي مجرا ماء ليكون تحفة معمارية خالده لحب خالد(١).

صباح النور

الصباح الباكر هو ثمة ضوء لظاهره كونية غاية فى الجمال ومهمة لحياة الإنسان بل هي غذاء للروح وفرز ما علق من مضار وسموم لاجسادنا وعند طلوع الشمس «ونور الأرض» بالصباح، هي إشارة واضحة لتلازم «إنتاج» الأوكسجين مع إشراق الشمس وبدء عملية التنفس الحيوي والتركيب الضوئي.

يقول تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

وفى هذه الاية أقسم الله بالصبح لما يدل على عظم وقت «الصبح» يقول أهل العلم أن الصبح يتنفس مع بداية ظهور الشمس فى الافق فكان للصبح رئة كبيرة تتنفس عن طريق ادخال الهواء الغني بالأكسجين «عملية الشهيق» حيث تقوم الرئة بامتصاص الاكسجين وطرح ثاني اكسيد الكربون عن طريق عملية الزفير كما أن المواد اللازمة لعملية التنفس لا توجد فى الهواء الا خلال هذا الوقت وهو امر فى غاية الاهمية والدقة فى عملية التبخر والتردد والتشتيت للمواد الملوثه والعوائق حينما يطرا بزوغ الشمس وبدء الصباح وتنشط ويكثر الاكسجين وهنا تنتهي نسبة كبيرة من غاز الاوزون فى

(١) انظر كتاب لقطات من العالم (تاج محل.. رمز الحب والوفاء)، للأخوين إبراهيم وعلي شرف الدين، ص٣٢٣ (بتصرف).

الأرض وتبدأ عملية التمثيل الضوئى للنبات والذي لا يتم إلا نهارًا عند شروق الشمس وتبدأ عملية النبات بإطلاق الاكسجين فى الجو وامتصاص ثاني أكسيد الكربون وتتنفس الأرض مع نور الصباح.

الملك شهريار وصباح شهر زاد:

مع كل صباح يقتل الملك شهريار نسائه، هذه القصه الشهيرة حينما اكتشف شهريار خيانة زوجته فيقتلها ويقتل الذين شاركوها فى الخيانة وينتقم من النساء جميعًا ويعتقد بالشك الدائم بانهن خائنات، ويقرر أن يتزوج كل ليله واحده ثم يقتلها مع بزوغ الفجر، وهي مجموعة قصص رائعه تحكيها أخر زوجة للملك وهي «شهر زاد» إبنة الوزير التي تزوجها وأخذت تقص عليه كل ليلة حتى إذا ادركهم الصباح، سكتت عن الكلام لتتم سرد القصة للملك فى اليوم التالى، حتى أتاى عليها ألف ليلة، فتعلقها الملك ومال إليها وأستبقاها، غنت السيدة فيروز قصيدة شهر زاد «للأخوين رحباني».

ومنها:

أنا شهر زاد القصيدة وصوتي غناء الجراح

أنا كل يوم جديدة أهاجر عند الصباح

الجواد الأبيض

فى الحضارات القديمة يرمز «الجواد الأبيض» إلى الرفاهية واليمن وهو أزهى الجياد قدرًا لأنه يعتبر من مراكب الملوك.. وفي الأدب الروائي والقصص كثيرًا ما نقرأ عن الجواد «الأبيض» والفارس الوسيم الذي هو حلم الفتيات فصيغت حول الخيول البيضاء أروع الحكايات التي هي مثار الحبكة الدرامية..

وهي الصورة المماثلة لدى الفتيان وهي أنتشال المحبوبة أو الفتاة على فرس (أبيض) وزواج بها.. وهو مايحلم به.. ويمني النفس بالأمنيات.. لشريكة العمر..

كما قال نزار قباني:

وحلمت بأني أخطفها مثل الفرسان..

وحلمت بأني أهديها أطواق اللؤلؤ والمرجان..

أما المشهد الدرامي الذي يصوره الشاعر العملاق «المتنبي» في جواده الأبيض ورحلته للعودة لديار «أحبته» فيقول:

مررت على دار الحبيب فحمحمت جوادي وهل تشجو الجياد المعاهد

الحمحمة/ دون الصيهل كالتنحنح، والشجو الأحزان (وأشجاه إذا غصه) والمعاهد / جمع معهد وهو الموضع الذي عهدت به شيئًا كما تسمى ديار الأحبة (معاهد)، وهنا يصور المتنبي جواده ومروره على ديار الحبيب، فحمحمت جواده حنيناً إليها لأنها عرفتها.. وهذا كما قال الحسن التهامي في ذلك.

بكيـت فحنـت ناقتـي فأجابهـا صهيل جيادي حـين لاحت ديارها

الحمامة البيضاء رمز السلام

تحمل الحمامة البيضاء غصن الزيتون فتدل بذلك لدى الشعوب والأمم فيما بينها على السلام.. تعبيرًا للأمان والأمن.. فالرومان مثلًا كانوا في احتفالاتهم يعطرون أجنحة الحمام الأبيض ثم يطلقونه ليرش العطر أثناء خفق الأجنحة على روؤس المتحلفين.. بل هي رسالة حب تحمل في طياتها «السلام والأمان» للشعب..

كما أستعمل الحمام لحمل الرسائل قديمًا وهو ما يسمى «بالزاجل»؛ إذا فهو أول «ساعي بريد» على الأرض، ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافات بعيدة جدًا لذلك كان الاداة لأجل ايصال الأخبار بين المتراسلين وحمل الورد للأحباب والمتحابين ..

كما أن الحمام يقطع العشرة فراسخ في يوم واحد، وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهوعلى ثبات عقله، وقوة حفظه حتى يجد فرصته، فيطير ويعود إلى وطنه..

الحواريين.. والحور

الحواريون سموا بذلكم لأنهم كانوا خاصة الأنبياء لنقاء قلوبهم، وأصل الحور في اللغة «البياض»، وحورت الثياب: بيضتها.

والحواري من الطعام: ماحور أي بيض.

وأحو: أبيض.

والجفنة المحورة: المبيضة بالسنام.

أما الحواريون: في الأصل أصحاب السيد المسيح عيسى عليه السلام الذين كانوا هم خاصته وشهدو على دين الله عَزَّوَجَلَّ وأطاعوه، وقيل كانوا قضارين يبيضون الثياب والحواريون هم صفوة الأنبياء كما أشرنا، لقول النبي ﷺ: «**إن لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير بن العوام**»[1].

فالحواريون الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك الحواري من الدقيق سمي به لأنه ينقي من لباب البر، وتأويله في الناس الذي قد روجه في اختياره مرة بعد مرة، فوجده نقيًا من العيوب..

والحواريات من النساء: النقيات الألوان والجلود لبياضهن ومنه الحور العين: البياض عيونهن، مع أتساعها..

والعرب تسمي نساء الأمصار حواريات لبياضهن وبعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن..

قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٤].

اللون الأبيض.. مع المسميات والأوصاف

(١) رواه الصحابي جابر بن عبدالله، في صحيح البخاري /٣٧١٩.

(الأبيض) هو لون النور والخلود.. ومن خلال هذا النور تعم السكينة في أرجاء أرواحنا.. إنه الإيمان.. أنها الملائكة.. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وقال تعالى ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥].

أول ضوء النهار هو «الخيط الأبيض» من الفجر..

قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [البقرة: ١٨٧].

يقول عبد الغني النابلسي:

وليس غير الأبيض الخيط الذي ... هو الوجود الحق من فجر العمود

وتطلق العرب على اللون الأبيض اسم «اللجين» الفضة كأحد الأسماء، يقول بشارة الخوري (الأخطل الصغير):

يا عاقد الحاجبين ... على الجبين اللجين
إن كنت تقصد قتلي ... قتلتني مرتين

ويصف البحتري بركة المتوكل فيقول:

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات إذا لاحت مغانيها
كأنما الفضة البيضاء سائلةٌ ... من السبائك تجري في مجاريها

كما تسمي العرب السيوف «بالبيض» لقول عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي

كما استخدم النابغة الذبياني وصف السيوف في قوله:

فهم يتساقون المنية بينهم ... بأيديهم بيض، رقاق المضارب

أما زهير بن أبي سلمى فيقول:

هم ضربوا عن فرجها بكتيبة ... كبيضاء حرس في طوائفها الرجل

وتصف العرب الأرض بأنها بيضاء ..

أما المبالغة في البياض يوصف بالنصوع فيقال بياض ناصع « كالدر » وهو شديد البياض، وقالوا: كوكب دري لبياضه..

والليالي البيض هي اكتمال القمر (بدرًا) لمنتصف كل شهر عربي وهي الثالثة عشر، والرابعة عشر، والخامس عشر، وتسمى «البيض» أو الأيام البيض..

يقول أبو فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلـماء يفتقد البدر

ما الذي يحدث حينما يكتمل القمر؟!

وكيف يصبح العالم عند اكتماله..

نحن نعلم أن القمر رفيق العشاق.. ملهم الشعراء.. صديق السمار.. هو أقرب كوكب للأرض.. وأقوى التأثيرات التي تصاحب الأرض خلال اكتماله «بدرًا» من ظواهر عجيبة أهمها ظاهرة المد والجزر والتي يؤثر بها على المياه والبحار.. والعلاقة التي تربط أجسادنا من خلالها.. إذ أن الماء الذي يكون أكثر من الثلثين في أجسادنا لتكون قوة تدفق الدم مع اكتمال القمر..

وهذا ما يؤثر في مزاج الإنسان وحالته النفسية.. بل إن معدلات الانتحار تصبح في أقصى حالاتها في «الليالي البيض»!!

وقد لاحظ المعهد الأمريكي لطب المناخ أن الجرائم التي تتم تحت تأثير المرض العقلي كالحريق المعتمد، والعنف المبالغ فيه تزيد نسبتها عند أكتمال القمر..

كما أن الدرسة حول هذا الموضوع الذي نشر عام ١٩٦٠م على يد الدكتور «ليونارد رافيتز» من جامعة ديوك الامريكية وأثبت الشحنات الكهرومغناطسية التي يطلقها الجسم تتأثر بمجال الأرض المغناطيسي (والذي بدوره يتأثر بمنازل القمر حول الأرض بحيث تبلغ الشحنات أشدها عندما يصبح القمر بدرًا).

ويعتمد حاليًا أن المرضى العقلية، وغير أسوياء الشخصية أكثر تأثرًا باكتمال القمر.. أما الأسويا فقد تجتاحهم حالات أكتئاب بسيط لا يعرفون له سببًا..

والعرب كانت تخشى وتحذر من قرصة العقرب في الليالي القمرية!!

وكانت أيضًا تخشى الذئاب في تلك الليالي، لأنها تكون في قمة شراستها وهيجانها.

(هذا ما نلاحظه في أفلام هوليود) وعويل الذئاب وهيجانها مع اكتمال القمر!!

وفي مناطق كثيرة حول العالم يعتقد أن الدورة الشهرية للمرأة تبدأ مع اكتمال القمر «غاليًا».. وفي بداية التسعينيات قام الكيميائي السويسري «سافنت إيزنيبوس» بدراسة شملت (١١) ألف سيدة فوجد أن ذروة الطمث عن معظمهن تحدث عند اكتمال القمر..

ورغم غرابة فكرة وجود علاقة بين اكتمال القمر وبين الظاهرة النفسية إلا أن قرب القمر من الأرض وارتباطه وتزامنه مع دورتها يجعلنا نتوقع وجود (تأثيرها) يتجاوز تأثيرها المد والجزر خصوصًا أن فترة ظهور البدر هي الفرصة الوحيدة التي يتقابل بها القمر مع الشمس ويتاح للقمر عكس طاقة الشمس في وقت من المفروض أن ترتاح فيه المخلوقات وتنام!!

لهذا أوصى نبينا ﷺ بالاحتجام خلال منتصف الشهر العربي «الفردية»..

ويخبرنا العالم الكبير «ابن سينا» أن تزايد النور في جرم القمر هو هائجة الدماء البالغة في تزايدها.. فبذلك يأمر باستعمال الحجامة في وسط الشهر..

أخيرًا.. في الغرب يوجد اعتقاد جازم بأن هناك علاقة بين الجنون وفترة اكتمال القمر (فلفظ لو ناسي بالإنجليزية) والذي يعني الجنون مشتق من أحد أسماء القمر: لونا)[١]!!

من الزهور البيضاء

«رقة الياسمين»:

الزهرة البيضاء المشهورة بشذاها.. العطر..

---

(١) انظر كتاب حول العالم - جنون القمر - للأستاذ فهدالأحمدي، ص١٣٧.

الياسمين، شديدة الرقة.. «نجمية» الشكل تشتهر في بلاد الشام.. وتخذ من زهورها الخلاصة العطرية.. فتوضع في قارورة ليصبح «نكتارًا» ..

الياسمين الدمشقي الشهير.. هو أحد أهم القطع الثمينة في البيوت الدمشقية العتيقة.

الياسمين الأبيض.. يمرح.. ويتمايل طربًا مع خرير الماء في البرك ولسماعه هديل الحمام.. وزقزقة العصافير فوق الأغصان.. الياسمين هو ذائقة العشاق ..

ففي الشام كافة لا يوجد شاعر الإ ونثر شذى عبيره بقصائده.. ولا يحلو الفرح بالمناسبات السعيدة إلابتهاني «الياسمين» ولا توجد «هدية» إلا وترافقها زهرة «الياسمين» هذا ما يدل على عمق العلاقة الشامية بزهور الياسمين(١)..

«أجراس الزنبق الموسيقية»:

زهرة جميلة تعبث رائحتها الفواحة عند شروق الشمس، وبعد غروب الشمس ..

فبعد سفر الشمس في الأفق نحو الغروب، تكون الزنبقة قد امتلأت بالإلهام الذي أخذته من شعاع الشمس فتبدأ مع الغروب باطلاق أزكى العبير العطر في الجو.. وعلى إحاء «القمر»..

وبعد الليل.. فتكون أزهار الزنبق قد أمتلأت بالأحلام.. وعند الخيط الأبيض من الفجر.. تبدأ الزنابق البيضاء بإطلاق الموسيقى العطره مجددًا ومع جو الصباح الجميل تأخذ بالانتشار..

وهكذا تأخذ الايام القصيرة لسمفونية «الزنابق» العطرة.. في صيف كامل.. حتى تعطي العصا الموسيقية لزنابق أخرى بيضاء «منيرة» تحمل العصا الموسيقية من أخواتها السابقات.. لتنشر أبداعاتها «العطرة» في كل مكان..

يقول البحتري:

قد نشر الزنبق أعلامه   وقال: كل الزهر في خدمتي

---

(١) انظر كتاب الطيب والعطر في الشرق - ناديه الغزيص، ١٦١ (بتصرف).

لـو لم أكن في الزهر سـلطانه   مـا رفعـت مـن دونهـا رايتي

تقطف الشماريخ الزهرية من الزنابق بعد تكونها في الصباح الباكر بفعل تزايد رائحتها العطرية..

كما أن أوراق الزنبق تحوي على مادة «سيكلوبامين» التي تمنع تكوين روابط معينة ضمن التفاعلات الكيميائية الحيوية، والتي ينجم عنها تكون للخلايا السرطانية، وبالتالي يتوقف تكاثر الخلايا السرطانية وتقل خلايا الورم..

يزرع زنبق السيدة العذراء لأغراض تجارية في جنوب فرنسا من أجل عبير زيتها الذي يستعمل في صناعة العطور، أما في اليابان تستعمل بصيلاتها في الأغذية..

نغمات السكر

قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] السكر المذاق الحلو.. لذيذ الطعم.. يستخرج من قصب السكر ومن بنجر السكر في المناطق الشمالية البادرة.. وهي «مادة السكروز» بالاضافة إلى وجود أنواع من سكر الفواكه التي تستخدم لتحلية المشروبات وصنع الحلوى..

وكذلك السكر المطحون المحول..

أضاف الأسبان السكر المطحون للشكولاتة بعد أن استطابها القائد «هرنان كورتيز»، وجنوده وذلك حينما غزا الإسبان المكسيك من أجل الحصول على ثرواتها ومناجم الذهب..

يقول نزار قباني:

ها هي الشام بعد فرقة دهر.. أنهرٌ سبعة «وحور عين»..

النوافير في البيوت كلام.. والعناقيد سكر مطحون..

في الحقيقة أن صناعة السكر التي أخذت من لب قصب السكر: لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك عام ١٧٤٧م.. ومنذ عملية النقل لنبات قصب السكر التي قام بها كريستوفو عام ١٤٩٣م خلال ثاني رحله له للقارة الجديدة ..صناعة السكر هذه بقيت في القرن السابع عشر أكثر أزدهارًا في أمريكا الشمالية حيث أنتج «السكر الخام» فيها ومن ثم شحن بحرًا إلى أوروبا لتكريره ومن ثم استهلاكه..

في كل صباح ومع احتسائنا للقهوة أو الحليب أو الشاي.. نذوب قطع السكر.. ومعها تصدر النغمات..

صباحك سكر وجد معطر ... صباحك شهد بقلبي تقطر
أتاني هواك كنسمة فجر ... وعطر قلب الصباح المكدر

(صباح الحكيم)

سيد الطعام

عن سمرة أن الرسول ﷺ قال لنا: «**سيوشك أن تكونوا في الناس مثل الملح في الطعام، ولا يصلح الطعام إلا بالملح**»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا (إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار، والماء والملح)[2].

والملح يصلح أجسام الناس، وأطعمتهم ويصلح كل شيء يخالطه حتى: الذهب والفضة، وذلك أن فيه قوة تزيد الذهب صفوة، والفضة بياضًا.. ويتكون الملح من كلوريد الصوديوم..

وفي الملح جلاء وتحليل، وإذهاب للرطوبات الغليظة وتنشيف لها وتقوية الأبدان ومنع عفونتها وفسادها[3].

---

(١) هذا في سنن البزار - مرفوعًا.

(٢) في تفسير البغوي.

(٣) انظر كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية، ص٧١٦.

وملح البحر يحتوي على الأيودين ومعادن كثيرة وهو ما يحتاجه الجسم للحفاظ على حيويته و إتمام التمثيل الغذائي..

«المناضل الهندي - غاندي - والملح»

لما عبر غاندي إلى سواحل البحر قادمًا من حيدر أباد وذلك سيرًا على الأقدام، على بعد ٣٨٠ كلم لاستخراج الملح بنفسه بعدما أصدرت الحكومة الاحتلالية البريطانية عام ١٩٣٠م قرارًا بمنع الشعب الهندي من استخراج الملح.. وهدف هذا القانون الغريب حينها أجبار الأهالي من شراء الملح الذي تنتجه الحكومة..

ولتتمكن أيضًا الحكومة البريطانية من أخذ الضرائب من المصنعين.. ولتحدي هذا القانون قام غاندي باستخراج الملح وتجمع خلفة أكثر من ستين ألف مواطن من القرى والبلدات التي مر خلالها..

وهذه «مسيرة الملح» كانت نقطة التحول لبداية النهاية للاحتلال البريطاني للهند..

البحر الأبيض المتوسط

وهو البحر الذي كان يطلق عليه ببحر الروم، كما أن الرومان يسمونه «ميرنوسترم» أي «بحرنا»، تغير هذا الاسم منذ قرون فاصبح الأسم الأكثر شهرة هو «البحر الأبيض المتوسط» فالأتراك مثلًا يطلقون عليه «أكدينز» التي تعنى البحر الأبيض، وذلك لكثرة زبد أمواجه، وباللغة اللاتينية «ميديتيواتيوس» وتعني وسط الكرة الأرضية، أما اليهود فيطلقون عليه «هايام هاتيخون» وهو أسم بالعبرية الحديثة، أي البحر المتوسط.

هذا البحر تحيط به ثلاث قارات من الشمال القارة العجوز «أوروبا» والجنوب إفريقيا حيث تطل عليه جميع الدول العربية شمال أفريقيا ومن الشرق أسيا وغرباُ ينفذ عن طريق مضيف جبل طارق إلى أن ينفذ ويتصل بالمحيط الأطلسي.. وموقعه الاستراتيجي العظيم هو الذي أعطاه هذا المصطلح (البحر الأبيض المتوسط) لما ضم من حضارات وشعوب مختلفة ومن أديان وثقافات وفنون وأفكار وملتقيات سياسية وإجتماعية ورياضية، بل

هو الذي من خلاله أنطلقت العلوم الشتى والتكلنوجيا الحديثة على مدى واسع، هو حوارالدول والمعرفه.. هو الاحداث التاريخيه البارزه من حرب وسلم التي دارت من بين الأمواج البيضاء لهذا البحر العظيم.

من روائع الأبيض في الأرض «الثلج»

يشكل الجليد أو الثلج عشر الأرض، فالسيناريو الذي تتمتع به كافة المخلوقات وخاصةً «حيوانات الثلج» والمناخ بصفة عامة إنما هي دورة الحياة وأنماطها على الكرة الأرضية، فالعلماء يزعمون أن المناخ لم يضل على طول تاريخ الأرض ثابتًا أبدًا، بل كان أحيانًا أكثر حرارة مما هو الآن، وكان في أحيان أخرى باردًا جدًا على نحو حقيقي «فأخذ بعدها بالانحدار»، فأحد الأدوار الذي كان منذ سبع مئة وخمسين مليون سنة كان الأكثر في القساوه، وأستمر لهذه السنين الطويلة بتجمد كوكبنا كله عدا امتدادات صغار من الماء قرب خط الاستواء، وفي هذه المرحلة تحركت الأرض في الكون مثل كرة متألقة من الثلج غير أن البراكين كنقاط متوهجة أتاحت بنارها المجال عبر طبقات من الجليد بسماكة بضعة كليو مترات!!

فلفظت البراكين أنواعًا من الرماد والغازات نحو أعلى الجو.. الذي لعب دورًا كبيرًا في أزدياد حرارة الأرض ونتاج ذلك فقد شرع ثاني أكسيد الكربون في الآزدياد والانتشار..

فأدخلت الأرض بجو (حار) وبمفعول هذه التدفئة أصبحت الشمس في بيت بلاستيكي أو زجاجي، وهكذا ذاب الجليد كلية قبل قرون عديدة وتحولت الأرض منذ خمس مئة وثمانين مليون سنة إلى كوكب ساخن[١]..

ولكن الجليد أو الثلج في القطبين وما حولها بمساحات كبيرة لعب دورًا أساسيًا للحياة وللكرة الأرضية كافة.. أما اليوم ومنذ عقود ثلاثة أصبحت الحياة «للحيوانات الثلجية» مهدرة بالانقراض كالدب القطبي الشمالي «ملك الجليد» بفعل الاحتباس الحراري، والأوزون، وغيرها..

(١) انظر كتاب روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لهيثم هلال، ص٦١.

وهناك سببًا جوهريًا أخر في عملية أزدياد درجة الحراره على الأرض خلال نصف قرن تقريبًا.. وهو مخلفات المواد الكيميائية المحترقة للغازات الناجمة من احتراق البترول والفحم الأسود.. فمن خلال هذه المواد التي أكتسحت الفضاء وأدت لهذه النسبة الحرارية فى الارتفاع، وإذابة الجليد.. هذا مما أنعكس على الحياة الرائعة التي كانت تتمتع بها هذه المخلوقات الثلجية وعكرة عليها الأجواء..

ولكن الأمل لازال مستمرًا بفضل فصلي من السنة «الخريف والشتاء» وهما ما يميز ويبقي على بقاء الحياة في مناطق كالقطبين الشمالي والجنوبي والاسكا وسيبيريا..

أما في عالمنا العربي وبحلول الشتاء فلاتزال نتعطش كثيرًا لسقوط الثلج وندفات البرد وتسكو الأرض الطبقة البيضاء الملفتة الجميلة..

يصف الشاعر أبوفراس الحمداني سقوط الثلج:

كأنما تساقط الثلج بعيني من رأى
أوراق ورد أبص والناس في شذاكي

ويقول نزار في شهر تشرين الشتائي الثلجي:

أناتشرين...شهرالرياح

والأمطار ... والبرد

حيوانات الثلج

إن الحياة المتجمدة في القطبين وقسوة البرودة التي تصل إلى (٧٠) درجة تحت الصفر في فصل الشتاء الطويلة يجعلنا نتسأل كيف تتكيف أو تعيش هذه الحيوانات مع هذه الأجواء المفعمة بالبرودة لحد التجمد؟!

أكتشف في وقت متأخر أن هذه الحيوانات تملك خاصية إنتاج مادة مانعة للتجمد

(شبيهة بتلك التي توضع في محركات السيارات) و إن عملية التجمد لديهم أي الحيوانات تتم بدون أن تمزق «بلورات الجليد» فتبقي خلاياها حية[١]..

فنلاحظ مثلًا أن نوع من الضفادع تعيش في هذا الجو وتتكيف معه كيفما شاءت بل تكون في حالة بيات «نوم» شتوي طويل حتى يحل الربيع وتنتشر أشعة الشمس ويبدأ الدفء في إذابة أعضاء «الضفدع المتجمدة» فيستعيد هذا المخلوق حيويته ونشاطة..

أما الدب القطبي الأبيض فهو يعيش رحلة شتوية قاسية من أجل الحصول على الغذاء «والدهون» التي تلزمه لسد طاقته الكامنة وتخزينها بجسده الضخم حتى قدوم الربيع، لذا فإن وجبات الطعام الرئيسية له هي عجول البحر «الفقمات» المشبعة بالدهون ومن هنا تبدأ مرحلة لعبة الموت أو البقاء.

ما بين خطر الدب ونجاة الفقمة..

وبرغم أن الجليد يساعد الدب كثيرًا في الحصول على فريسته «الفقمة» لكون الأخيرة لا يمكنها المكوث طويلًا تحت الجليد وفي قاع المياه فتخرج من أحد الثقوب الجليدية لأخذ الاكسجين فيلتقطها الدب بعد معاناة شديدة...

ولكن المعاناة الأشد حينما تنهار تلك الثلوج ويذوب الجليد ومع عوامل المناخ الحرارية المتزايدة هي ما تسبب أرقًا وإزعاجًا كبيرًا لدببة وهنا تبدأ الصعوبة الحقيقية لها.. فالجليد وأكوامه تساعد الدببة على العيش بحرية تامة والتنقل فوقة حيث تعيش كائنات عضوية حيوية تحت الجليد وبداخله وهو ليس صلبًا.

بل تتخلله قنوات وأنفاق واسعة وأخرى متفاوتة الصغر

وتتناثرآلاف المليارات من طحالب الدياتوم والعوالق الحيوانية، والقشريات في العمود الجليدي وتهبط الطحالب إلى الأسفل حيث تشكل في مناطق ضحلة من الرصيف القاري

(١) انظر كتاب حول العالم للأستاذ فهد الأحمدي، ص ١١٦.

وجبة غذائية لعدد كبير من المفترسات بما ذلك البطلينوس ونجوم البحر وسمك القد القطبي وعجل البحر والفظ والدب القطبي..

وبحلول عام ١٩٩٩م ربط علماء الأحياء[١] بين التراجع المستمر في صحة الدببة القطبية، في معظم القياسات الصحية لهذا النوع من الحيوانات، وتراجع الجليد، كما نشر (سيترلينغ) وزملاءه نتاج أبحاثهم حيث أكدوا مدى أثر الأحترار في القطب الشمالي على الدببة القطبية البيضاء!!

ويعتبر الدب القطبي من السباحين المهرة إلا أن السباحة لمسافات طويلة في المياه المفتوحة تستنزف القوى وقد تؤدي به إلى الهلاك، ففي عام ٢٠٠٨م تتبع العلماء دبًا قطبيًا مجهزًا بطوق أبحاث موصل بالاقمار الاصطناعية[٢]، حيث سبح برفقة ديسم عمره عام واحد لمسافة ٦٨٧ كيلو متر للوصول إلى الجليد قابلة الساحل الشمالي لألاسكا، وكان ذلك إنجازٌ مذهلٌ، إلا أن الديسم الصغير لم يحالفه الحظ في البقاء!!

هذا الجليد الضخم في القطب بمحاذات الاسكا وتحوله لبحار بفعل الحرارة، هذا ما يذكرني لما قرأته قبل سنوات، أن العقود الثلاثة المنصرمة التي تلت تحديدًا عام ١٩٧٩م تقلص البساط الجليد الصيفي بنحو ٢٠٪ مما أدى إلى تقليص السلسلة الغذائية القطبية برمتها والتي يتربع على رأسها الدب «ملك الجليد» الذي ينتشر في سيبيريا والاسكا، وبالقرب من شواطئ خليج هدسون أو بحر بوفورت، أو بحر بارينتس الثلجية والأجواء المناخبة المتجمدة كالقطبين الشمالي والجنوبي..

اما الذئاب البيضاء وحياتها المثيرة حينما تعبر المسافات الشاسعة والطويلة في الغاب من أجل الغذاء والحصول على الغزلان أو الوعل الثلجي.. وحينما تقترب تلك اللحظات في المطاردة وهي أبرز المشاهد إثارة وروعة لتنطلق الذئاب بسرعة فائقة من بين الأشجار وفوق أكوام الجليد وندفات البرد.. ويأخذ القطيع من الغزلان باطلاق ساقيها للريح لتعبر من فوق الجداول المثلجة والصخور الجليدية.. وفي لحظات حاسمة ولقطات مذهلة تنقض

(١) مجلة ناشيونال جيوغرفيك العربية - العدد الشهري - يوليو ٢٠٠١م.
(٢) نفس المصدر الأول.

أحد الذئاب بخطة مرسومه من مجموعة الذئاب لتنفرد بإحد الغزلان الشارة هذا المشهد المثير للافتراس على معلب «البساط الأبيض» أحد أجمل الصور في عالم الجليد..

كما أن الثعالب مع الطيور حيل مثيرة من أجل الحصول على (بيض) النوارس والصراع الدائم من خلال أحد أنماط الحياة ودورة الغذاء.. والبقاء ..

إنما هو مشهد كلاسيكي للحياة الحيوانية على الثلج وقطع الجليد..

البطاريق.. والبطريق الأمبراطوري:

تتكيف البطاريق مع الأجواء الثلجية الباردة للغاية والتي تصل لنحو ٦٠ إلى ٨٠ درجة مئوية تحت الصفر.. فحينما يصل البطريق العادي لمرحلة البلوغ بعد أن تكفل والدية بحمايته يبدأ بتغير فرائه الرمادي للأبيض والأسود ويتغير، هذا الفراء بفراء أخر زيتي الملمس يحفظ درجة الحرارة ويمكنه من السباحة الطويلة بمهارة عالية وسط المياه الباردة جدًا..

ويتزاوج البطريق من أنثى واحدة فقط وهي كذلك، حتى موت أحدهما وفي أحدى شواطئ نيوز يلاندا عثر على بطريق إمبراطوري..

بعد أن انجرف عن موطنه الأصلي القطب الجنوبي بمسافة ثلاثة الاف كيلو متر ولحسن الحظ بقى هذا البطريق على قيد الحياة برغم التيارات القوية التي لحقت به مما عاناه كثيرًا هذا البطريق.. فحمل لحديقة «لينغتون».

وقالت الطبيبة البيطرية «ليز أرجيلا» أن البطريق لا يمكنه الصبر ويرغب العودة إلى موطنه بسبب تغير الأجواء عن موطنه الأصلى الذي يتكيف معه والبروده العالية والجليد..

وقام بتوديعه نحو ١٧٠٠ شخص ومئات الأطفال المرتدين الملابس البيضاء والسوداء لمشاهدة أخر لحظات هذا البطريق لتوديعه لمغادرته نحو بلاده الأصلي «القطب الجنوبي»[١].

(١) جريدة الشرق الأوسط الصادرة في ٢٩ أغسطس ٢٠٠١م

من أشهر الجبال البيضاء حول العالم

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ﴾ [فاطر: ٢٧].

«**جبال الهملايا**» وهي سلسلة جبال شاهقة الارتفاع تكسوها الثلوج وتمتد من أقصى الصين شرقًا حتى تصل للهند وبها أعلا قمة في العالم جبل إفرست وهو جبل عظيم شاهق الارتفاع يقع على حدود نيبال والتبت.

وفي تنزانيا جبال «**كلمنجارو**» والمثير أن هذه الجبال تقع على خط الاستواء وتكسوها الثلوج دومًا وتسبح حولها السحب والغيوم وتسمى قمتها «بكيبو» من خلالها تنظر للأسفل لا ترى الأرض بشكل واضح بسبب أكوم السحب الهائلة..

أما جبال «الألب» وهي سلسلة جبال أوروبا تمتد من النمسا وسلوفينا شرقًا مرورًا بإيطاليا وسويسرا والمانيا وفرنسا غربًا تكتسحها الثلوج في أغلب أيام السنة..

وتاريخنا الإسلامي مليء بالبطولات والفتوحات الهائلة التي وصلت لما خلف جبال الألب وجبال (البرنية الفرنسية) وتحكموا لقرون بممرات الألب وأطلوا على مقاطعة بيامونت الإيطالية..

ولكن لم تكن الأمور سعيدة بما يكفي حينما تحطمت الجيوش الإسلامية بعد هزيمتهم عام ٧٣٢م على يد شارل مارتن (في معركة بلاط الشهداء) وموت القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي، بالقرب من مدينة بواتية الفرنسية..

ملك الألوان «الأسود»

أيـتـهـا المـعـشـوقـة الـغـربـيـة

سـمـراء كـالـلـيـالي..

يمتزج في عطرها عبق المسك ورائحة الدخان..

يـا وريـشـة الـسـحـر الأسـود

يامـن ولـدت مـن قلـب الليـالي الحالكـة

كـم أتـوق إلى رضـابـك..

الشاعر الفرنسي

(بودلير)

الأسود

هو اللغز والغموض والحيرة والسلطة والدبلماسية.. يرتبط هذا اللون مع الأحزان.. والموت والانهيارية.. والانهزامية.

ولكن مع هذا يضل هذا اللون صاحب القوة والأفضلية والبراعة والشموخ والثروة..

فالأفضلية والبراعة لما يرمز له بـ«الحصان الأسود» وبالثروة كـ«الذهب الأسود» البترول ..

أعتبر هذا اللون منذ عقود في أوروبا وأمريكا الشمالية هو الفن والأزياء صاحب الشخصية المؤثرة، الأنيقة «المنسجمة» ويعتبر الأسود كلون في الطبيعة مخزون لجذب الأشعة والضوء الحراري بل هو اللون الذي يمتص جميع الألوان وبذلك هو المعاكس تمامًا للون الأبيض..

ففي بداية القرن العشرين أتضح للعالم الفيزيائي الألماني «ماكس بلانك» أن طيف الاشعاع الحراري الذي يعتمد بشدة على درجة الحرارة يعتمد بدرجة أقل على طبيعة الجسم ويتطلب هذا التعريف على ما يسمى بـ«الجسم الأسود» وهو الجسم الذي يمتص كل الأشعة الساقطة عليه ولا يعكس شيئًا..

ومن ثم فهو يعبر عن الحالة المثالية للجسم الأسود العادي الذي يمتص معظم الضوء الساقط عليه فيبدو أسود.

فالأسود يرمز للاستقراطية والاستقراطيون كانوا يلبسون اللون الأسود ويدل هذا على الجدية والرسمية.. وربما يدل في حياة الأنسان للتقرب لله حتى رجال الدين يلبسونه لهذا الأمر..

أما المرأة فتلبس الأسود في حدادها، وهو يساعد في علاج الأحزان والكبت والبكاء، فالأسود يبدي الأشياء بغير حقيقتها فهو مثل الاحلام السوداوية الغامضة..

وحينما تضاء الشموع وحولها الظلام الدامس «الأسود» تكون أكثر توهجًا وكذلك القمر «بدرًا» في السماء ليلًا..

ويصف بشار بن برد الليل المخيف المظلم تمامًا والذي قضاة مع فرسه ولشدة ظلمة الليل نامت وسكنت كل الدواب التي تخرج في الليل عادة..

حتى زال الظلام وظهر الصباح.. فيقول:

وليل دجوجي تنام بناته وأبناؤه من هوله وربائبه
حميت به عيني وعين مطيتي لذيذ الكرى حتى تجلت عصائبه

تاريخ اللون الأسود

منذ مرور الديانات الإبراهيمية الثلاث «اليهودية - النصرانية - والإسلام» وهي أكثر الأديان والمعتقدات بالتاريخ التي كرهت اللون الأسود واحتقرته حتى أنطلى ذلك في التعاليم والثقافة وجعلته لون الشياطين والأبالسه والكفار، حتى الذين سيدخلون النار تسود وجوههم يوم القيامة وهذه حقيقة أثبتها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابة.. إن الشعارات والاعلام والرموز والملابس والاثاثيات وعموم الازياء في المنعطفات السياسية والاجتماعية التي مرت بها هذه الديانات لم تكن تحطى من اللون الأسود أو الألوان الداكنة بالشي الكثير منذ حقبة طويلة من الزمن.

ومنذ الثورة العباسية «المسودة» على بني أمية وانتزاع الحكم من أخر ملوكها في عام ١٣٢ هجرية، واشتهار العباسيين باللون الأسود لراياتهم.. وشعارهم، بل هو لباس الخليفة بنفسه، حيث لايجلس على عرشه الا وهو متشحًا بالسواد..

ومرورًا بالعلم الأسود الذي نكس بسقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ١٤٥٣ ميلادية بيد العثمانيين.. وانهيار الدولة الإسلامية في الأندلس بيد الأسبان والحزن

العميق لفقدها.. فهجرت العرب واليهود منها عام ١٤٩٢م، لذا ارتبط وإينما انتشرت هذه الديانات بالحرب والموت والتطرف والتعصب العرفي الديني فبعد هذه السنوات أندلعت في أوروبا حركة الاصلاح الديني وحروبها العنيفة ضد سلطة البابا في روما، وقد شنت هذه الحركة حربًا شعواء ضد الكاثوليك وكل مظاهر البذخ والإسراف وتزيين الكنائس بالفنون والتماثيل والأيقونات والرسوم بكل أنواعها..

والفساد وسوء استخدام السلطة التي مارستها الكاثوليكية (في سبيل أن يدفع البابا مصاريف متزايدة لتحسين وتوسيع المباني والبذخ على الموائد والمهرجانات ابتكر طريقة بيع الأرضي والاملاك في الجنة وغفران الذنوب لكل من يدفع له، وسميت سندات البيع هذه بصكوك الغفران).

وقد رفضت البروتستانتية وهي كلمة من أصل فرنسي وربما الماني تعني الاعتراض أو الاحتجاج شعارات التفتيش والزهد والتقوى ضد الكاثوليكية واتخذت من اللون الأسود رمزًا لهذا النوع الجديد من الاعتقاد، وحاربت ومنعت بقية الألوان بين أتباعها..

ففي سنة ١٤٥٥م[١] تمكن الحرفي والطباع الالماني غوتينبرغ من طبع حوالي مئتين نسخة من الانجيل بواسطة ما كينة طباعة كان قد بدأ بإختراعها قبل ذلك التاريخ بأكثر من عشرة سنين، والأكثر أهمية في ذلك هو تطويره للحبر الطباعي الأسود الذي كان حتى ذلك الحين مادة غير ثابته وقابلة للتغير والمسح، لكنه ابتكر طريقة كيميائية تجعله أكثر كثافة وثقلًا وقادرًا على أتمام التفاعل الكيميائي الضروري مع الورق الذي يطبع عليه وذلك باستعمال زيت الكتان وسلفات الحديد أو النحاس والاملاح المعدنية كل هذا قد جعل من الحبر الطباعي أكثر ثباتًا واستقرارًا وجمالًا على الورق بالمقارنة مع جميع الاحبار التي استعملت قبله..

سواء بالرسم أو الحفر على الخشب والنحاس..

---

(١) الموقع الرئيسي (الحوار المتمدن) عبر شبكة الإنترنت. مقال بعنوان: اللون الأسود في الديانة والسياسة، للأستاذ ساطع هاشم - العدد ٣٢١٤ (بتصرف).

هذا الاختراع الثوري خلف ثورة ثقافية حقيقية في العقدين الأخيرين للقرن الخامس عشر وما تبعها.. وقد أثرت الطباعة على الذائقة البصرية للأنسان ورفعت القيمة المعنوية والرمزية والسيكولوجية للأسود..

وقد أتخذ العدميون حول العالم من الأسود لونًا وشعارًا لهم وأخذ الفوضويون في أوروبا ومنذ عام ١٨٨٠م بعد انفصالهم عن الحركات الاشتراكية علم القراصنة الأسود شعارًا لهم أيضًا واستبدلوا الجمجمة والعظام بدائرة توسطها حرف (أي) بالإنجليزية.. لأنهم أعتبروا مجرمي البحار هؤلاء فوضويون بالفطرة.. كما تبنى «الفاشست» الإيطاليون العلم الأسود منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.. وأرتدوا الملابس من قمصان سوداء والتي أشتهر بها في أوروبا ومنهم تعلم النازيون وضع أشرطة سوداء على ذراعهم..

حتى أنتقلت الرمزية في وضع أشرطة سوداء لبراويز صور الضحايا والشهداء أو الموتى من ملوك وقادة وجند ..لتكون علامة حزن لفقدهم..

أشتهر الأسود خلال الست عقود الأخيرة وأنتشر بذاقة فنية عالية المستوى ومنذ نهاية القرن التاسع عشر فقد بغلت ذروته الحقيقية، فمثلًا من الأغراض التسوقية كانت شركة فورد في البدء تنتج سياراتها باللون الأسود فقط خصوصًا موديل (تي) وكان رئيسها (فورد) يقول: يمكن للزبون أختيار أي سيارة يريدها طالما كان باللون «الأسود»!!

بل حتى أبرز أهم الأعمال في المجال الفني لعالم الأزياء دخل اللون الأسود عصره الجديد بكل قوة وثبات من ملابس كا الجكيتات والجينزات والكرفيتات وتوكسيدو الشهيره فأصبحت الأناقة والانسجام لايتم إلا من خلال الأسود ازدهرت الأقمشة وحتى الزركونات والجواهر السوداء.. واللؤلؤ الأسود..

محل أنظار وأهتمام المقتيين والعامة من الناس لجلبها والشغف بها.

وما يخص النساء المولعات بالجمال خصوصًا الأوروبيات والأمريكيات والمرأة العربية اللواتي يفضلن الأسود واتخذن منه الموضة لما فيه بهاء وإبراز الشخصية.. حتى النساء السمينات «البدينات» الاتي يخفين هذه السمنة بالرداء الأسود..

فتظهر أقل حجمًا مما تلاحظ العين وهذا السر الخفي في الأسود!!

وداعًا لعصور كانت تستهجن هذا اللون.. وتخافه بل جعلت منه الصفات السلبية والنهايات السيئة.. والرموز والتكهنات المخيفة المخيبة الأنهزامية.. كتشائم البوم.. ورؤية الغربان السوداء.. والطاعون الأسود.. والزنوج أصحاب البشرة السوداء وهذه الأربعة الأخيرة مصطلحات استعملها الإنسان قديمًا للتعبير عن المعاناة.. والمآسي.

«الأسود» جاء من الصفر.. حتى تمكن بكل دبلوماسية من السلطة والنفوذ ليمتص كل الألوان.. ليصبح ملكا..

أرجعي يا ألف ليلة..

غيمة العطر..

«الليل»

هذا الليل.. بردائه «الأسود» الجميل.. كاتم الأسرار.. فيه دموع الصالحين وتضرعهم لرب العالمين.. وفيه مأمن العشاق والهائمين..

يقول كعب بن زهير بن أبي سلمى في قصيدة «البردة»..

مازلـت أقتطـع البيـداء مدرعا　　　جنح الظلام وثوب الليل مسبول
حتـى وضعت يميني مـا أنازعها　　　في كـف ذي نقـمات قيله القيل

تقول نازك الملائكة:

يا ظلام الليل يا طوى أحزان القلوب ..

أما ليالي العشاق وشجونهم والمناجاة لمن يحبون ..

يقول المجنون «قيس بن الملوح» في معشوقته ليلى العامرية:

تمـر الليـالي والشـهور ولا أرى　　　غرامـي لهـا يـزداد إلا تماديـا

ومن بديع ما قيل في الليل ومناجات المحبوبة للوليد بن يزيد :

لا أسـال الله تغيـيرًا لما صنعت نامت وقد أسهرت عيني عيناها
فالليـل أطول شيء حين أفقدها والليل أقـصر شيء حين ألقاها

عشق الوزير الأندلسي «ابن زيدون» الأميرة ولاده إبنة الملك المستكفي حاكم قرطبة: «وتيم بهذه الأديبة والشاعرة حتى الثمالة.. وغرق بأهدابها السوداء»..

يقول فيها:

وتغنى عـن المـدح إكتفـاء سرورها غنى المقلة الكحلاء عن زينة الكحل

وهي القائلة:

ترقـب إذا جن الظـلام زيارتي	فـإني رأيـت الليل أكتـمُ للسر

وهو القائل فيها أيضًا:

إن يطـل بعـدك ليـلي فلكـم بت أشـكو قـصر الليـل معك

كثر منافسو «الوزير ابن زيدون» فى بلاط الدولة من خلال الجلسات والأمسيات الأدبية للأميرة ولادة.. حتى تمكن هؤلاء الشعراء وبعض الوزراء بايعاز منهم للملك المستكفي وابنته الأميرة ولادة للاطاحة بابن زيدون.. وسجنه لسنوات قال فيها أجمل وأعذب القصائد..

ونأخذ من قصائد الاخوين رحباني هذه الابيات التى تصف حال ابن زيدون فاخترناها فى هذه الزاوية:

طـارت الدنيـا بمن أهـوى وبي وأفترقنـا كيـف يـا ليـل البعاد
سـاكن مـا بـين قلبـي المتعـب وجفـوني وجهها رغـم البعـاد
ما اكتفينا بعـد والدهر أكتفى فاقطف الأحزان مثلي وأسهري
أهـ يـا عيني لـو يـشري الغفى مـن عيـون ما لكنت المشـتري

«الليل والعشاق» بوصف أبي الطيب المتنبي:

ليـالي بعـد الطاعنـين شـكول   طـوال وليـل العاشـقين طويل

«غربة وليل» بحب نزار قباني:

علمـني حبـك.. كيـف الليـل   يـضـم أحـــزان الـغــربــاء

وذكريات الليالي الجميلة في حياة البحتري، فيصفها بهذا البيت:

يذكـرني ريـا الأحبـة كلـما   تنفـس في جنـح من الليـل بارد

أما عباد الله الصالحون كانوا يتمنون أن يطول بهم الليل وذلك لمناجاة رب العالمين جل جلاله والابتهال والتضرع إليه..

تطاول بها الليل ضن الجفن أو سمحا   ومـا طل النجم مال النجم أو جنحا

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

الخنس الجوار الكنس

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٥-١٨].

فمادة «خنس» تدل في اللغة العربية على الاختفاء وعدم الظهور تمامًا، كما أن كلمة «الكنس» جمع «كانس» وهي تشير إلى الأختباء كما يختبئ الغزال في كناسة الذي هو مخبأ له ويرى العالم د. النجار الكنس المراد بها الثقوب السوداء، فهي خانسة أي دائمة الاختفاء والاستتار بذاتها، وهي كانسة تصفحه السماء تبتلع كل ما تمر به من المادة المنتشرة بين النجوم، وكل ما يدخل في نطاق جاذبيتها من أجرام السماء، وهي جارية في أفلاكها المحددة لها، فهي خنس جوار كنس..

أما ما يختص بطبيعة «الثقوب السوداء» فهي إحدى مراحل «حياة النجوم» الخمس في

السماء أو المدى، وخلال المرحلة الثالثة إذا أن النجوم التي هي أكبر من ثلاثة أضعاف كتلة الشمس تتحول بعد مرحلة العملاق الأحمر إلى ثقوب سوداء، وهي غير مرئية بل يعرف وجودها وما تتصرفه من خلال ما يحيط بها من نجوم مستعمرات في المناطق التي تحيط بها[1]، فهو جسم منهار تتجاوز كتلته ثلاثة أمثال كتلة الشمس ويولد بهذا حقلاً تثاقليًا لا يقاوم بحيث يتقلص إلى جسم أسود أو ثقب أسود جاذبيته شديدة حتى أن الضوء لا يمكنه أن يفلت من قبضته..

وإذا كان «الخنس» مادة تمتاز في الاختفاء مع ملايين النجوم والثقوب السوداء في السماء..

فإن شدة الظلام أو الليل المعتم بالسواد، فالعرب تقول «حالك ودجوجي» بهذا الخصوص..

كما وصف هذا المعنى كثير من الشعراء..

لقول المتنبي:

حالك كالغداف جثل دجوجي   أثيث جعد بلا تجعيد

الحالك الشديد السواد، والغداف: الغراب الأسود، والجثل الكثير من النبات، والدجوجي الظلام الدامس، كما وصف بشار بن برد الليل في أبيات ذكرنا منها بيتان أنفًا..

هل الحجر الأسود ماسة سوداء

هو عنوان لمقال طرحة الكاتب العزيز: فهد عامر الأحمدي وهو في كتاب له عنوانه «ماذا عن الاحتمال الأخر»؟!

عن ابن عباس أنه قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم».. كما قال عنه ﷺ **«الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورها ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»**.

(١) انظر روائع الإعجاز العلمي للمولف جمعه هلال، ص١١١.

ومن هذه الأحاديث: التي تفيد بقدوم الحجر الأسود من الفضاء الخارجي ما جاء عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «نزل الركن الأسود من السماء فوضع على (جبل) أبي قبيس كأنه مهاة بيضاء أي بلورة فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم»..

يقول الكاتب من مجمل هذه الأحاديث نفهم أن الحجر الأسود:

١- نزل من السماء.

٢- تشكل خارج كوكب الأرض.

٣- سقط على جبل أبي قبيس خارج مكة.

ما ذكر من الأحاديث.. ما قرأ عن نوع فريد ونادر من النيازك الفضائية يدعي «الألماس الأسود» (يمكنك مشاهدته في الانترنت بإدخال كلمة (cabnados).. وهذا الألماس شديد الصلابة يتميز داخله بالبياض المعتاد في حين يغلق خارجه بطبقة سوداء محترفة (تشبة الزجاج الذائب)..

ومن المعروف أن الألماس يمكنه التكوين في الفضاء الخارجي كما يمكنه الانفصال مباشرة من الأجرام السماوية البعيدة.. وحين ينزل إلى الأرض تحترق طبقته الخارجية (بسبب احتكاكة السريع بالغلاف الجوي) فيتشح خارجة باللون الأسود الصقيل، وهذا نوع من النيازك أكثر ندرة بآلاف المرات من الألماس الأرضي..

والمعروف منه لتشابه حتى الآن اكتشف على مدى زمني طويل في أفريقيا والبرازيل!!

فإلاضافة لتشابه البنيه الجيولوجية للطرفين أقرت الأحاديث النبوية (السابقة) بالأصل الفضائي للحجر الأسود، ورغم صعوبة وصف بنيته الداخلية (كونه مثبت في جدار الكعبة منذ قرون) إلا أن هناك أخبار تاريخية تفيد ببياضه من «الداخل» فما يظهر للناس الآن هو رأس الحجر الأسود صلب يشعر به كل من يلمسه ويقبله..

وفي مناسبات تاريخية قليلة رأى الناس جرمه الداخلي مثلما حدث حين أقتلع على يد «جرهم» ثم «أياد» ثم «العمالقة» ثم «خزاعة» وتحدث من رأه عن شبهة بالبلورة الكبيرة أو

المهاة البيضاء كما جاء في الحديث السابق.. وكان «القرامطة» أخر من أقتلع الحجر الأسود من الكعبة عام ٣١٧هـ فرأه الناس واتفقوا على وجوده السواد في رأسه فقط وبياض بقيته وجسمه الداخلي (وذكر ذلك فقيه من القرن الرابع عشر يدعي محمد بن نافع الخزاعي)!!

كما يضيف الدكتور عبدالباسط محمد السيد ان هذه الألماسه السوداء (الحجر الأسود) تمت سرقة قطعة صغيرة منه وذلك من قبل البريطانيين الذيين جندوا شابا مغربيا لهذا الامر ووجهته إلى مصر لتنفيذ المخطط، حيث اندس وسط الحجاج المصريين واغتنم الفرصه في ساعات الفجر، وقام الجاسوس بقطع ثلاثه قطع صغيره «باليزر»... وبعد مرور ١٢عام أعلن المتحف البريطاني، أن الحجر الأسود ليس من المجموعه الشمسيه وهي الحكايه التى سردها «كارتار» عقب إسلامه حيث توجه هذا الاخير للمتحف البريطاني وأخذا عينه بحجم «الحمصه» وأكتشف أنهاتطلق ٢٠شعاعا غير مرئي في اتجاهات مختلفه بموجه قصيره، وكل شعاع واحد يخترق ١٠ ألآف رجل..

ويستمر الدكتور في حديثه، أن ماذكره الإمام الشافعي بأن الحجر الأسود يسجل أسم كل من زار الحرم المكي معتمرا أو حاجا ويسجل اسمه مره واحده فقط.

العيون السود.. سحر وجمال

يقول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور — قتلننا ثم لم يحيننا قتلنا
يصرعن ذا الب حتى لا حراك به — وهن أضعف خلق الله إنسانًا

ويقول أيليا أبو ماضي:

ليت الذي خلق العيون السودا — خلق القلوب الخافقات حديد

أما أحمد شوقي فيقول:

السحر من سود العيون لقيته

ودموع البعد والفراق.. عن صاحبة العينين السوداويتين التي مزجت دموعها بالكحل الأسود.. هي صورة معبرة.. قال فيها نزار قباني على لسان المرأة:

والمطـر الأسـود في عيـني   يتسـاقط زخـات زخـات
يحملـني معـه.. يحملـني   لمسـاء وردي الشرفـات

هذه الصورة الجمالية.. في إحدى قصائد المتنبي «اللامية» وتعد رائعة من روائع أبو الطيب وفيها كثير من المشاهد الإبداعية..

فيقول:

تركـت خـدود الغانيـات وفوقهـا   دموع تذيب الحسن في الأعين النجل
تبل الثرى سـودًا من المسـك وحده   وقد قطرت حمرًا على الشـعر الجثل

وفي شرح البرقوقي لهذيين البيتين:

الغانيات: جمع غانية، وهي التي استغنت بحسنها عن التحسين.

والأعين النجل الواسعة الحسنة.

يقول: تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة عليك تذهب بحسن العيون، وقال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئًا فشيئًا، كان استعارة الإذابة لمثله أحسن، وأيضًا لما كان الذوبان في معنى السيلان والدمع سائل، كان كأن الحسن سال معه وفي البيت التالى: الثرى / التراب، والجثل / الكثيف.

فيقول: إن هذه الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهي سود لامتزاجها بالمسك وحده لأن الغانيات لا يتكحلن لأجل المصيبة، ولأن كحل أعينهن يغنيهن عن التكحل وقد استعمل المسك قبل المصيبة فبقى في شعورهن والكحل لا يبقى طويلًا، وهذه الدموع قطرات وهي حمر لامتزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سودا وأنما قطرات على الشعر

لأنهن نشرن الشعور وهي كثيرة، وفيها مسك، فمر الدمع بها فأسودت من مسكها[1]..

ولكعب بن زهير في محبوبته «سعاد»:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول
وللعيون السود سهام تصيب القلوب   وهو وصف جميل لشريف الرضي
ما كان سهم العين لولا سوادها   ليبلغ من حبات القلوب إذا رمى

ورائعة من روائع «المتيم» جميل بثينة:

فيا حسنها إذا يغسل كحلها   وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل
عشية قالت في العتاب: قتلتني   وقتلي، بما قالت هناك، تحاول
فقلت لها: جودي، فقالت مجيبة   ألا جد هذا منك أم أنت هازل؟
لقد جعل الليل القصير لنا بكم   علي، لروعات الهوى، يتطاول

حقيقة الأرملة السوداء

تضاربت التفاسير.. حول بيت العنكبوت.. ويبقى السر في ذلك (أضعف خلق الله) وهو الحدث المثير في أصغر المخلوقات..

والأدنى فالأدنى.. وهكذا كلما صغر.. كلما كان السر أعظم وأكبر لغزًا؟

ولنقف مع (العنكبوت) أو الأرملة السوداء لنلاحظ أن الأنثى هي التي تهيء هذا البيت لأصطياد فرائسها.. بل تعده وتزينه بشبكة أنيقة.. ليلة زفافها.. وهي أيضًا ليلة «لأبشع جريمة» تقترفها لعريسها الذكر المسكين.. وذلك بعد (ليله حمراء) رومنسية.. وبعد أن تتم عملية التلقيح تبدأ أحداث الجريمة بقتل الأنثى زوجها الذكر.. ومع سبق الإصرار والترصد تبقى الأنثى العنكبوت «الجثة» حيث تتغذى عليها طيلة فترة الحضانة للبيض فتكون أرملة سوداء «سوداء لبشاعة» الجريمة، وبعد أن يفقس البيض تتغذى اليرقات على أضعفها وحينما

(١) شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، ج٢، ص٨٩.

ينمو ويشتد ويقوى ما تبقى من الصغار تكون الكارثة الأعظم حيث يقوم الأولاد بأكل (الأم) لأنها أصبحت أضعف الموجود!!

وهذا في قمة الشتات والضياع الأسرى والبيوت الهشة التي دمرتها الخيانة وجريمة القتل..

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤١]..

وأشارة الآية إلى أن من تبنى هذه البيوت «هن الأناث» (أتخذت بيتًا) ومن أجل البحث والتحري والتدقيق.. قال الله تعالى في نفس الآية مخاطبًا عبادة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

ضرب الله الأمثال منها الحياة المشتتة الوهنة مثل (بيوت العنكبوت) وهو وصف مجازي للأسر المفككة التي تنشأ على الخلافات والمشاكل حتى تنتهي للطلاق..

بعكس الأسرة «البيوت القوية» العلاقة المتينة.. المترابطة.. للبيوت السعيدة.

فهذه البيوت القوية.. العامرة هي المستمرة «الدائمة» بالمحبة والمودة والعطف والحنان بين الزوج والزوجة والأبناء..

فيظل هذا الترابط قوي الأساس.. محكم البنيان.. أما (هدم البيوت) والنهايات الحزينة.. التي تتسبب أخيرًا بالطلاق.. صورة «لأوهن البيوت» بيت العنكبوت.. والغريب حقًا أن العنكبوت الأنثى قبل أن تصبح أرملة سوداء وبعد.. لها خيوط حريرية تفرزها فتبدو مرنة خفيفة للغاية.. ولكن إستحاله أن تمزقها فهي أقوى من الفولاذ بـ ٢٠ مرة ومن الالمنيوم بـ٢٩٠ مرة.. وتبلغ قوة احتمالها ثلاثة ألف رطل للبوصة المربعة وهو ما يدعو العلماء تسميتها بالفولاذ الحيوي أو البيولوجي.. لدرجة أن الجيش الأمريكي يصنع منها ملابس مضادة للانفجارات.. ودلالة البيت في اللغة على مجموع ما فيه كما قالت ميسون بنت بحدل:

لبيت تخفق الأرواح فيه   أحب إلى من قصر منيف

وميسون كانت مع زوجها «معاوية بن أبي سفيان» وأشتاقت ميسون لحياة البادية بدلًا من القصور وحياة الترف..

فأخبرت إحدى الوصفيات ما قالت ميسون..

فقال معاوية: هي طالق ثلاث..

البجعة السوداء

أعتقد الأوروبيون بأن جميع البجع أو الأوز العرفي أو السائد أبيض اللون ويستحيل وجوده بأي لون أخر غير أنهم فوجئوا برؤية «بجع أسود» اللون حين أكتشفوا أستراليا في القرن الثامن عشر..

هذا الاعتقاد هو مصطلح كتاب رائع اسمه (البجعة السوداء) الذي وضعه الكاتب المتميز الأمريكي «اللبناني» الأصل / نسيم طالب، الذي ترجم إلى ٣٧ لغة عالمية ونسخته الأمريكية التي دخلت قائمة النيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعًا..

وهنا نود أن نتكلم عن «البجعة السوداء» ككتاب جميل نثره المؤلف بحروف سوداء.. ولكن بعبقرية فذة.. فالمؤلف أكاديمي رياضي وفيلسوف وهو ما وصفته صحيفة التايمز البرطانية بأكبر مفكر في العالم وأصبح معروفًا في أمريكا «بفيلسوف الصدفة»..

وتقوم نظرية البجعة السوداء على حتمية ظهور أحداث مستقبلية لا يمكن التنبؤ بها أو توقع حدوثها أو تحليلها إلا حين وقوعها مثل (انفجارات ١١ سبتمر والأزمة المالية، وفقاعة الإنترنت وانهيارات الأسهم).. وعلى الرغم من وجود الخبراء والمحليين والاشارات المسبقة يفشل الجميع في التنبؤ بالحوادث والكوراث العظيمة..

وهنا يتسأل نسيم عن حل المشكلة في وجود البجع الأسود أم في المعلومة الأوروبية التي استسلمت قناعة راسخة، وبناء عليه يمكن تعريف «البجعة السوداء» بأنها: أحداث غير منتظره أو متوقعة يصعب التنبؤ بوقوعها حسب معارفنا وخبرتنا السابقة رغم تأثيرها الكبير علينا..

وحين نتأمل الماضي ونفكر في الحاضر ونتصورالمستقبل نكتشف أن معظم الأحداث العظيمة كانت بمثابة (بجع أسود) غير متوقع..

مثل ظهور جينكيز خان والاجتياح التتاري على العالم وقيام الحرب العالمية الأولى، وانهيار البروصات العالمية وأغلب الاكتشافات العالمية المثيرة.. وحتى ظهور الانترنت وأنفجار جوجل.. وفيس بوك.. وتويتر..

وحين «تظهر بجعات» كهذه يتصدى لتفسيرها ثلة من الخبراء المخادعين الذين يقومون بتحليلات لما يحدث، في حين يصفهم طالب «بالمخادعين» كونهم يتحدثون عن ظواهر لا يمكن التنبؤ بها أو التأكد من وجودها (قبل الذهاب لأرض البجع الأسود)!؟

بجعة يفجينيا السوداء:

كانت يفجينيا نيكولا يفنا مجرد روائية مغمورة لدرجة لم يرضى أى ناشر نشر رواياتها وقد كانت احصائية فى عالم الاعصاب ذات اهتمامات فلسفية (فازواجها الثلاثة الاوائل كانوا من الفلاسفة) وقد تاثرت بذلك، كان الناشرون حائرين فى أمر مخطوطاتها، اذ هي لم تستطع الاجابة حتى على سؤالهم الأول، هل يقع تصنيف هذا الكتاب فى مجموعة الرواية أو اللارواية؟!

كما أنها لم تملك جوابًا على سؤالهم التالي: لمن تمت كتابة هذا الكاتب؟!

ومن باب التعاطف قال أحد المشرفين على النشر قائلًا لها بلهجة المدافع، هذا الكتاب يا عزيزتي سوف تباع منه عشر نسخ فقط وسيشتريها ازواجك السابقون وبقية أفراد عائلتك..

حضرت يفجينيا ورشة عمل حول التاليف لخمس سنوات كرستها جاهدة لإنتاج كتاب جيد، ولكن الاستاذ المشرف على ورشة العمل قال عنها: إن حالتها حالة ميئوسة بالكامل.

انتهى الأمر بيفجينيا إلى نشر كامل كتابها الذى هو بعنوان القصة التي تدور على نفسها، على شبكة الانترنت حيث وجدت جمهورًا صغيرًا وكان فى عداد هذا الجمهور

الصغير صاحب دار نشر ثاقب الفكر ولكن دار نشر صغيرة ومغمورة عرض عليها هذا الناشر «الروسي» بنشر كتابها، وتمت الموافقة بين الطرفين على شروط مناسبة لكليهما، وكانت المفاجاة أن كتاب يفجينيا أخذ بالتداول من المكتبات بشكل كبير ليصبح فى وقت لاحق أحد أكبر النجاحات الغربية فى تاريخ الأدب، محققًا مبيعات بالملائيين من النسخ وتمت ترجمة كتابها إلى أربعين لغة.

أما الدار الناشئة التى اقدمت على نشر الكتاب فقد تحولت إلى شركة نشر عملاقة توظف عندها موظفة استقبال انيقة التهذيب تكون مهمتها الترحيب بالزوار فقط.

هذه القصة تعتبر «بجعة سوداء» ليفجينيا فهي قصة لم تكن بالحسبان حيث قفزت من خلالها لجني الملائيين من الدولارات، بعد أن كانت حالة ميؤس منها ككاتبة أدبية روائية[١].

الحصان الأسود.. صاحب التميز

فالعرب كانت تفضل الفرس الأسود «الأدهم» فيقال «دهم الخيل ملوكها».

وقد روي عن رسول ﷺ أنه قال: «**خير الخيل الآدهم الأقرح الآرتم محجل الثلاثاء مطلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الشية**».

وقد وصف عنترة فرسة الآدهم فقال فيه:

يدعـون عنتر والرمـاح كأنها أشـطان بـئر في لبـان الأدهـم

ولجذيمة الأبرش «فرس أسود» قيل إن قيصر ركبها لما صار جذيمة فى بلد الروم فركضها، فلم تتوقف الا على رأس ثلاثين ميلًا ثم وقفت هناك فبالت فبني على ذلك الموضع برج يسمي برج العصا.

يقول الجاحظ فى كتاب «الحيوان» لم تكن أمة قط أشد عجبًا بالخيل ولا أعلم بها من

(١) انظر كتاب البجعة السوداء، للمؤلف نسيم طالب، ص٥٧.

العرب ولذلك اضيفت اليهم بكل لسان ونسب اليهم بكل مكان فقالوا فرس عربي ولم يقولو هندي ولا رومي ولا فارسي.

يقول ابن نباته السعدي فى فرس أدهم:

وأدهم يستمد الليل منه١ وتطلع بين عينه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا ويطوي خلفه الأفلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه تعلق بالقوائم والمحيا

أما الملك الضليل امرؤ القيس، فيصف حصانه الكميتي (الأسود) فيقول:

وقد أغتدي والطير فى وكانتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حاله متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل
مسح إذا ما السابحات على الوني أثرن الغبار بالكدير المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وهنا يصف الشاعر رحلة الصيد عند بزوغ الفجر والطير لاتزال في أعشاشها، وقوة حصانه الطويل الضخم، القصير الشعر، الأسود المشرب بحمره، السريع الذي يشبه سرعة الصخر الذي ينزله السيل من أعالى المرتفعات وهذا الحصان لسرعته وكأنما يسبح في الهواء، ويثير الغبار بحوافره التى ركل الأرض بقوائمه القويه.

وقد شبهه خاصرة الحصان بالظبي واقدامه بساقي النعامه والسرعه والمرونه بالذئب؛ لأن العرب كانت تسمى الذئب سرحان، وتأني وخفته بالتتفل وهو ولد الثعلب.

سلوكيات صاحب الريش الأسود

طائر كثير الأسفار.. رحلاته دائمًا عند بزوغ الفجر.. يحب أكل الجيف وقيل أنه يدفع ما يتبقى منها تحت التراب للذخيرة..

و إذا تخرج بيضها يكون الفراخ أبيض بلاريش فتفزع الآم منه وتتركه فيبعث الله تعالى إليه الذباب والبق الكثير فيأكل الفرخ منها حتى ينمو ريشة و يسود.. فترجع إليه الآم و يغيب الذباب والبق.. وفراخ الغراب قبيح جدًا نتن ذو رأس كبير ومنقار طويل والغراب عمومًا ذميم وله حيل كثيرة فى أختلاس طعام غيره.. حتى لو كان نسرًا أو عقابًا في بعض الأحيان يتسم بالمكر والخداع والتحايل.. فمثلًا يأتي أحد الأفراد فيشغل الطير حتى ينسل رفيقة ليستل طعام المسكين الذي أمامه.. وربما يصل به حد الجوع فينقر ظهر السلحفاء فيأكلها..

والبشر يتشائمون من الغراب فلم هذا التشائم؟

يقال (غراب) لاغترابه وغربته.. «وغراب البين» لأنه عند بينونتهم يوجد في دورهم..

ولظهوره في أماكن مخيفة، مهجورة، أو مقفره.. وهو أكثر المخلوقات التي يتطير به في باب الشؤم.. كما أن العرب تتطير بالأسماء ومشتقاتها ومعانيها.. لهذا أما يكون الاسم بشؤم أو بفأل سعد.. لقول سوار بن المضرب..

تغنى الطائران بين ليلى ... على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمي ... وفي الغرب اغتراب غير دان

و إذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم..

قال المتنبي:

أبني أبينا نحن أهل منازل ... أبدًا غراب البين فيها ينعق

والعرب تتشائم بصياح الغراب.. و يقولون إذ صاح الغراب في دار تفرق أهلها!!

كذلك العرب يروعهم سلوك الغراب وذلك حينما يقوم بنتف ريشه، وهو منظر فى منتهى الشؤم..

يحكى[1].. أن كثير عزة «العاشق» أراد السفر لدمشق لمقابلة هشام بن عبد الملك.. فلما

(١) هذه القصه رواها شهاب الدين الابشيهي في كتابه المستطرف، ج٢، ص٢٨١.

خرج من حيه وسار قليلًا رأى غرابًا على بانة.. وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فأصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير، ثم أنه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال: يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئًا فراعك؟

قال: نعم يا عم رأيت غرابًا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ: أما الغراب فأنه اغراب، والبانه بين، والتفلي فرقة فازداد كثير حزنًا لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير إلى أن وصل إلى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح رجل وقال لكثير: لا إله إلا الله ما أغفلك عن هذا اليوم!!

فقال: ما هذا اليوم يا سيدي، فقال الرجل: إن هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها.. فخر مغشيًا عليه فلما أفاق أنشأ يقول:

فما أعرف الفهدي لادردره ... وأزجره للطير لاعز ناصره
رأيت غرابًا قد علا فوق بانة ... ينتق أعلى ريشه ويطايره!
فقال غراب اغتراب من النوى ... وبانة بين من حبيب تعاشره

وفي كتاب روائع الإعجاز العلمي في القرآن لهيثم هلال، أن الغراب حيوان عجيب غريب ما زالت سلوكياته غير المتوقعة والمذهلة تثير العلماء فهو يعيش في مجموعات متماسكة حيث يحكمها رئيس صارم في أحكامه، فإذا ما اقترف غرابٌ ذنبًا فإنك تجده قد خضع ذليلًا في شبه محاكمة بحضور الرئيس وبقية الغربان.. ويؤمر غرابان فاينقضان عليه وينقرانه حتى الموت..

ثم يذهب بجثته إلى مكان فتحفر له حفره ويدس فيه كما فعل غراب ابن آدم الذي ذكر في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

البحر اللجي

كلما زاد النزول إلى أعماق البحار.. زادت ظلمته.. هذه هي معرفتنا الكلاسكية السطحية بذلك.. ولكن هناك أسباب جوهرية أخرى سنتعرف عليها بعد قليل.. لكي تتمتع الاسماك (بصفة خاصة) لحياة دون مخاطر كبيرة فالاسماك السطحية التي يندرج لونها للأزرق والرمادية المخضرة يصعب على الصيادين والمفترسين رؤيتها.. ولكن إذا نزلنا لأعمق من ٢٠ متر سنلاحظ أن لون السمك قد تغير تدريجيًا فأصبح بالون الأحمر والعنابي، وكلما نزلنا أكثر عمقًا اختلف لون السمك (بحسب ألوان الطيف) حتى إذا وصلنا إلى عمق ٦٠٠ متر نجد أسماك مضيئة.. أما على عمق ١٠٠٠ متر فيصبح الظلام دامسًا وتصبح الاسماك شفافة وعمياء (لعدم وجود الضوء أصلًا)..

ومن أسرار أعماق البحار أن ضوء الشمس الذي يتشكل من عدة أطياف حين ينزل إلى البحر تمتص المياه ألوان الطيف هذه فيتغير لون البحر بإزدياد العمق.. وكلما نزلنا أكثر كلما نشأت طبقة ضوئية جديدة حالت دون رؤية أحد الألوان.. وعلى عمق ٢٠ متر يختفي اللون الأحمر تمامًا فيصبح هو (وليس الأزرق) لون التخفي المثالي للأسماك، بحيث لوسال الدم من يدك هناك فلن تراه بسبب لونه الأحمر. (وهذه معرفة ليست بكلاسيكة ولكن يعرفها الصيادون بحكم الخبرة.. ويستطيعون من خلال لون السمكة معرفة العمق الذي أتت منه)!

ومن جهة أخرى يتكون البحر من عدة طبقات وأمواج يركب بعضها فوق بعض، وحين يأتي الضوء.. من الشمس يصطدم أولًا بالسحب فتمتص منه أطيافًا معينة، وحين يخرج (ويسقط على البحر) بعكس الموج السطحى جزءًا أخر ويسمح لما تبقى بالدخول، وكلما تغلغل الضوء إلى طبقة أعمق انعكس جزء منه وزادت بالتالي الظلمة.. وهكذا تتراكم الـ «ظلمات بعضها فوق بعض»..

بحيث تصل إلى منطقة الظلام الدامس على عمق ١٠٠٠ متر، حتى أذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها..

وهذه الحقيقة ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابة الكريم في سورة النور قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

وهذه الآية تتضمن ثلاث حقائق معجزة في علم المناخ والبحار وفيزيا الضوء، الحقيقة الأولى وهي اثبات امتصاص السحاب لجزء من طيف الشمس (بحيث تبدو السماء زرقاء، وما هي بزرقاء)..

وهذه ما ذكرنا في زاوية الأزرق والثانية الحديث عن طبقات البحر وأمواجه الداخلية قبل اكتشافها بعدة قرون والثالثة انعكاس أطياف الضوء على مراحل حتى تختفي تمامًا في البحر اللجي (واللجي) في اللغة هو الشديد الظلمة والعمق ..أي سواد رهيب..

ولكن ماذا عن «البحر الأسود» الذي اطلق العالم بهذا الاسم!!

وهوالواقع ما بين جنوب شرق أوروبا وآسيا غربًا.. ونظرًا لوجود هاله كبير من السحب الدائمة والضباب الكثيف الذي يتشكل فوق هذا البحر وهو موقع جغرافي يتميز به ويمنع وصول ضوء الشمس خلاله إلا في حالات نادرة وبذلك أنعكست السحب فوق هذا البحر الذي سمى بذلك!!

الرداء الأسود.. جمال.. وإثارة.. وثورة

أجمل وأغلى حلة في العالم «كسوة البيت الحرام» المنسوج من خيوط الحرير الفاخر المصبوغ باللون الأسود وتزينه الآيات الكريمة والعبارات التوحيدية وهى كلمات خيطت من ذهب ونقشت أطرفها بالفضة..

يقول الدمياطي:

يروق لي منظر البيت العتيق إذا ... بدا لطـرفي في الإصباح والطفل
كأن حلته السـوداء قد نسجت ... من حبة القلب أو من أسود المقل

مع العصور تلو العصور يستحوذ اللون الأسود مثار الاهتمام بشكل أكبر وأوسع من بقية الألوان التي أعتاد الناس أرتداءها ولا سيما الأبيض وأصبح صرخةٌ بارزة لجمال الموضة والأزياء وهناك مثلٌ يبدو بسيطًا ولكنه يحمل في طياته المعاني الكثيرة ففي العراق كانت المرأة تشتهر بالعباءة «السوداء فهي أزياء الربة عشتار» وكيف انطلقت بحقبة من الزمن للجزيرة العربية وتحديدًا إلى الحجاز وذلك بعد الخلافة الراشدة، حينما أتى تاجر من العراق إلى المدينه المنوره يحمل «عباءات» وأخمرة ملونة فباع جميعها سوى ذات اللون الأسود فشكا أمره، لبقاء العباءات السوداء «لدرامي» وهذا الدرامي ناسك ترك الشعر وتعبد، فقال الدرامي:

قل للملحية في الخمار الأسود	ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره	حتى قعدت له بباب المسجد

فشاع الخبر في المدينة أن الدرامي رجع عن زهده وتعشق بصاحبة «الخمار الأسود» وتغنى الناس بهذين البيتين ولم تبقى في المدينة امرأة إلا واشترت لها خمارًا أسود.. ونفذ كل ما عند التاجر.. وحتى يومنا هذا لا تزال المرأة السعودية ترتدي «العباءة السوداء»..

اعتمد العباسيون اللون الأسود شعارًا لهم وجعلوه لباسهم «الملكي» وتواتر بشكل إرثي عظيم.. ولكن كاد هذا اللون أن يطيح بالدولة العباسية وهى في أوج حضارتها وازدهارها وأحدث إرباكًا في أركانها.. حينما قام الخلفية «المأمون» المولع حتى النخاع «بالفلسفة» ففي بداية عمره ختم القرآن وسمع الحديث من كبار الأئمة والعلماء وذلك تحت أمارة والده هارون الرشيد ولما كبر يقول السيوطي في تاريخه «عني بالفلسفة وعلوم الأواصل» ومهر فيها.. فجره ذلك القول بخلق القرآن.

ويقول الذهبي في تاريخه «استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص».

ففي سنة ٢٠٣ هجرية خلع أخاه المؤتمن من العهد وجعل ولي العهد من بعده علي الرضى بن موسى الكاظم أبن الامام جعفر الصادق، وأمر بترك «السواد ولبس الأخضر»(١)

(١) انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ج ٦، ص٢٥٣.

فالأسود هو احتكار لبني العباس وشعارهم.. فلا تبديل؟! فاتهم «المأمون» بالتشيع وأثار عصبية لكل بني العباس فخرجوا عليه وبايعو عمه «إبراهيم المهدي» ودبت الفوضى وكاد الانقسام أن يهدم الدولة نتيجة الابتعاد بين العصبيتين العباسية والعلوية وأنتهت الأزمة بوفاة الإمام علي الرضى سنة ٢٠٤ هـ وتراجع المأمون عن قراراته بالخلافة وللباس، وتغيير الألوان وشعارات الدولة..

يقول أبو تمام، ما دحًا أمراء بني العباس:

سـود الثياب كأنما نسـجت لهم   أيـدي السـموم مدرعًـا من قار

في القرن الرابع عشر الميلادي تغير لون مراسم الحداد في أوروبا من الأبيض.. والبنفسجي في فرنسا لعقود.. ليصبح اللون الأسود هو لون «الألبسه» للنساء خاصه فبعد موت شارل الثامن ملك فرنسا حزنت كثيرًا الملكة أوني بريتاني لفقده، وأختارت اللون الأسود..

وفي فرنسا وتحديدًا عام ١٩١٥ م لاحظ أحد القادة في الجيش أن حمرة ملابس جنوده أصبحت هدفًا ممتعًا وسهلًا للقناصة الألمان.. فقرر تحويله إلى الأسود..

وفي عام ١٧٩١ م شاهد أحد القضاه الفرنسيين جريمة قتل من شرفته.. فجاء أحد الأشخاص لينقذ الجريح وذهب به إلى المشفى إلا أن الأخير فارق الحياة؛ فأُتهم المنقذ بالقتل؟؟ ونظرًا للقوانين الصارمة التي لا تعترف إلا بالدلائل والقرائن.. أُعلن عن أعدام «المنقذ» ونفذ على مرأى من القاضي الذي شاهد الحادثة.. ومع الايام ظل القاضي يؤنب نفسه المعذبة.. على تنفيذ الحكم لشخص بريء.. وأعترف أمام الرى العام بالخطاء..

وغير «روب المحاماة» إلى الأسود.. وبهذا أنتقل الزي الرسمي بالون الأسود إلى سائر بلاد العالم..

وما نشاهده للقساوسة الارثوذكس الشرقيين يتشحون بالسواد ويضعون غطاء رأس أسود.. وكذلك رجال الدين والرهبات الكاثوليكين يفضلن اللون الأسود، لبساطته ووقاره

كما ترتدي بعض الجماعات اليهودية المتشددة المعاطف السوداء الطويلة والقبعات السوداء عاده أثناء المناسبات الدينية أو الأحداث الهامة تعبيرًا عن أهمية الحدث..

أما الايرانيون فيرتدون ثياب الحداد على الدوام.. ويرون الأسود لونًا شريفًا.. تقول الكاتبة «نوال سويندي» التي عاشت في إيران لفترة، يبدو أن الايرانيين يرتدون ثياب الحداد على الدوام في ذكرى كربلاء التي تعيش داخلهم.. وهو تذكير لأئمتهم..

وما نشاهده في حفلات الاسكار لنجوم ومشاهير السينما وأفلام هوليود الذين نالوا الجوائز لضخاماة الأعمال والإنتاج، مثل رجل الجاسوسية جميس بوند، أو رجل المخابرات أل بتشينو في فيلمه الشهير heat، وأنطونيو بانديراس في فلمه العالمي «أسطورة زورو» وقناعة الأسود، ضاهت بهم النجومية وعرفوا من خلال الملابس السوداء، ونلاحظ الفرق الموسيقية ولعقود من الزمن وليومنا هذا يتمتع طاقمها «بالزي الأسود الموحد».. وكذلك اجتاحت اوربا وامريكا الشمالية نخبة عالية من خامات الاقمشة والحرير الملون بالأسود وهذا ما نلاحظه فى عالم الموضه والازياء وزي الرجال في حفلات الزواج .

توكسيد و(السترة الرجالية السوداء الأنيقة)

ظهرت هذه السترة قبل ١٠٠ عام كملابس فخرية تلائم المناسبات الرسمية، لتعلن تسيدها بعد أن كانت السترة الخطافية ذات الذيل الطويل المشقوق المنتشرة أنذاك لباسًا رسميًا للإنجليز الشديدي التأفف فى بداية القرن التاسع عشر.

بدأت قصة التوكسيدو فى عام ١٨٨٦م[1] فى قرية صغيرة تبعد عن الولاية الشهيرة نيويورك ٢٠٠ ميل هي توكسيدو بارك، كان بيرلوريلا الرابع الفرنسي الاصل وريث ثري، يبحث عن لباس أقل رسمية من السترة ذات الذيل الطويل المشقوق لارتدائه فى حفلات الخريف، فكلف خياطًا بتجهيز عدد من السترات السوداء المجردة من الاذيال والمشابهه لسترة ركوب الخيل القرمزية، حتي انتشرت تلك السترات بين صيادي الثعالب البريطانيين

(١) انظر كتاب قصة العادات والتقاليد لتشارلز باناتي، ص٣٢٩.

فيما بعد، ثمة الكثير من الدلائل تشير إلى أن استلهام لوريلارد لفكرته من أمير ويلز ادوارد السابع الذى بحكم مركزه أمر خياطه بتقليم ذيل معطفه أثناء زيارته للهند تخفيضًا للحرارة الشديدة هناك.

كانت القوانين فى ثمانينات القرن التاسع عشر بصدد تحديد الملابس الرائعة لا تكفي «لرفع الحاجبين» اندهاشًا لاختيار اللون القرمزي والسترات القصيرة، وكان يمكن لتلك البدعة ان تنسى لو لم يصممها اللوريلارد ويرتدونها فى بلدة مشيدة على أرض تملكها العائلة، إلا أن اللباس غير الرسمي المذكور تحول للمساء والسهرة.

تدعى رابطة اللباس الرسمي الأمريكي، أن ثورة عائلة ليوريلارد على التقليد أسهمت إلى حد كبير فى ظهور صناعة تدر ملايين الدولارات، ففي عام ١٩٨٥ درت عمليات بيع وتأجير السترات السوداء وملحقاتها حوالي ٥٠٠ مليون دولار، وشكلت حفلات عقد القران قرابة ٨٠٪ وألحق حزام عريض يربط الخصر، ويسمي الكمر، بسترة التوكسيد السوداء فى الحفلات والأعراس، يعود اسم توكسيدو لجذور بشرية وجغرافية وتاريخية يرجع إلى الهنود «الكونكيان» الذين قطنوا سابقًا فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم «توكسيد وبارك» نسبة لزعيم الهنود الكونكيان الحمر توك سيت ومعناه الذئب وأطلق الهنود الحمر اسم زعيمهم على هذه المنطقة التى يقيمون بها لتقديرهم له.

ختامها مسك

> في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «أطيب الطيب المسك» والمسك طيب أسود اللون اشتهر في الشرق.. وأنتقل إلى الغرب بشكل لافت.. ويسمى ظبي المسك بالفرنسية mnsk porte أي حامل المسك «وكلمة مسك» أصلها بالفارسية «مشك» إذا أن

المسك يفرزه الظبي..

يقول المتنبي في سيف الدولة:

فـإن تفـق الأنـام وأنـت منهم ... فـإن المسـك بعـض دم الغـزال

وظبي المسك الذكر هو الذي يتفجر المسك من جيوية، بواسطة عدة غدد صغيرة.. بعد أن يتلذذ باحتكاكه بالصخور وتسيل منه هذه المادة العطرية النفاذة وهي إشارة من أجل التزاوج مع الأنثى وجذبها..

ويعيش الظبي «حامل المسك» بين الغابات والإماكن الباردة وبين الثلوج في سيبيريا والتبت وجبال الهملايا والصين وأسيا بشكل عام، هذا الظبي «الحذر.. الشارد» الفائق الجمال والعذوبة يحب الضوء والنور!! ويشاهد غالبًا وهو ينتزة في الانفراجات المضيئة في الغابات ويتحسب كثيرًا إذا اضطر للخروج في الفجر أو في الغسق.. أنه «شارد» بالفعل!!

حر.. حتى أقصى حدود الحرية.. يقفز قفزات شديدة الأناقة.. ثم يتوقف مراقبًا بعينيه الكحيلة السوداء.. بقلق.. وخوف.. وما يحيط به.. فإذا استقر، عاود الخطو بهدوء هانئ، وغرق في البعد المتناهي للمنحدرات والغابات..

يتجول، ويبحث عن النباتات الجبلية النادرة ليتناولها ومن أحبها إلى قلبه نبتة النادرين

التي يتناولها بشهية فائقة، وفي الصيف يستمتع باكل النباتات العطرية.. وفي الشتاء البارد يتناول الظبي الشارد أو حامل المسك (الحزاز) المتدلي من الأشجار..

لذلك فإن أجود «المسك» الذي يفرزه ظبي التبت.. وقد أعتاد الصيادون أن يسدوا أنوفهم لدى الاقتراب من ذكر المسك لأن الرائحة المسكية القوية.. تسبب لهم الزعاف.. وتصفه العرب بـ«الأذفر» لشدة رائحته[1]..

لما حوصر الأمير الأموي: «الحكم الربضي» بقرطبة من قبل الثوار وهم أهل الربض الواقعة على الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير وزحف الثوار وأحاطوا القصر الأميري..

قال في هذا الأثناء لفتيانه: أحضرو لي «غالية المسك» فذرفها على شعره..

فقال فتيانه: أهذا يوم طيب يا سيدي؟!

فقال الأمير بحدة: هذا يوم وطنت فيه نفسي على الموت أو الظفر بهؤلاء، فأردت أن يُعرف رأس الحكم، من بين رؤوس من يقتل معه[2]!!

في عام ١٣٠٠م تحدث الرحال المشهور «ماركو بولو» عن ظبي المسك، فيقول: عند تمام البدر، تتفتح صرة هذا الحيوان لتشكل مثانة مليئة بالدم، فيحاول الإنسان صيده ليخلصه من هذه الزائدة، وتجفف في الشمس وهي تحتوي المرهم الأندر، الأكثر رهافة ولطافة ونعومة بين كل ما عرف من العطور..

---

(١) انظر كتاب الطيب والعطر في الشرق لناديه الغزي، ص٢٣.
(٢) انظر كتاب (في تاريخ المغرب والأندلس) لدكتور أحمد مختار العبادي، ص١٢٣.

المصادر والمراجع

- القران الكريم.

- الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة.

- روائع الإعجاز العلمي في القران الكريم - هيثم جمعة هلال (دار الكتاب العربي، بيروت).

- زاد المعاد - ابن قيم الجوزية (دار الكتاب العربي، بيروت).

- البداية والنهايه لابن كثير (دار الحديث، القاهرة).

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني (دار الكتاب العربي، بيروت).

- محاظرات الأدباء - الراغب الأصفهاني (دار الكتاب العربي، بيروت).

- قصة العادات والتقاليد واصل الأشياء لتشارلز باناتي _ ترجمة مروان مسلوب (دار الخيال، بيروت).

- لقطات من العالم لإبراهيم وعلي شرف الدين (دار الكتب الحديثة، بيروت).

- حول العالم. للكاتب فهد عامر الأحمدي (دار طويق، الرياض).

- ماذا عن الإحتمال الآخر. للكاتب فهد عامر الأحمدي (مؤسسة اليمامة، صحيفة الرياض).

- أشهر السرقات من المتاحف . لدكتور صبحي الشاروني (الدار المصرية البنانية).

- الطيب والعطر في الشرق . الكاتبة نادية الغزي (الدار العربية للعلوم ناشرون).

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني (مكتبة الثقافة الدينية).

- كتاب الحيوان للجاحظ (دار الكتب العلمية، بيروت).

- عيون الأخبار لدميري (دار الحديث، القاهرة).

- المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي (المكتبة العصريه، صيدا، بيروت).

- الكشوف الجغرافية. لدكتور يسري عبدالرزاق الجوهري (دار النهضة العربية، بيروت).

- فك اسرار ذى القرنين. تأليف حمدي بن حمزه أبو زيد (دار الملك فهد الوطنية لطباعة والنشر).

- التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر. لدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن (دار النهضة العربية، بيروت).

- في تاريخ المغرب والأندلس. لدكتور أحمد مختار العبادي (دار النهضة العربية، بيروت).

- بيت العطار - لدكتور عبدالباسط محمد السيد (غراس لنشر والتوزيع).

- الغذاء يصنع المعجزات - جايلورد هاوزر (دار النفائس).

- كتاب الأوائل. عبدالرحمن عمر الحامد (دار طويق لنشر).

- البجعة السوداء للموالف نسيم طالب (الدار العربية للعلوم ناشرون).

- طوق الحمامة. لابن حزم (دار الكتاب العربي).

- وسط حدائق الخزامى للكاتبه غول إيربولو (الدار العربية للعلوم ناشرون).

- شرح ديوان المتنبي. عبدالرحمن البرقوقي (دار الكتاب العربي).

- المجموعة الغزلية الكاملة. لشاعر نزار قباني (دار النشر لنزار قباني).

- الهائمون والمتيمون العرب. أنطوان وحيد نعيم (دار الكتاب العربي).

- مجلة ناشيونال جيوغرافيك العربية.

- مجلة (Tilppahty) الطبية البريطانية.

- مجلة الجزيرة السعودية.

- جريدة الشرق الأوسط.

- جريدة الرياض.

- موسوعة الأعجاز العلمي في القران الكريم. للأستاذ عبدالدائم الكحيل. عن طريق الانترنت - الموقع الرسمي (www. Kahe 17. com).

- أسرار عالم النحل. موقع الدكتور حسان شمس الدين. شبكة الانترنت.

- «الطاووس» التاريخ الطبيعي والثقافي للمؤلف/ كريستين جاكسون. ترجمة / يارا البدوي.

- مقالين مطولين عن تاريخ اللونيين الأزرق والأسود للأستاذ ساطع هاشم. عبر شبكة الإنترنت. الموقع الرئيسى «الحوار المتمدن».

المحتويات